الشرح القرآني
لكتاب مشاهد الأسرار القدسية

للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

تأليف

عبد الباقي مفتاح



الشرح القرآني

لكتاب مشاهد الأسرار القدسية

للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

تأليف

عبد الباقي مفتاح



Title : AL-ŠARḤ AL-QURʾĀNI
LIKITĀB MAŠĀHID AL-ʾASRĀR AL-QUDSIYYAH

الكتاب : الشرح القرآني
لكتاب مشاهد الأسرار القدسية
للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

Classification: Sufism
Author : ʿAbdūl-Bāqi Miftāḥ
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 224
Size : 17*24
Year : 2010
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

التصنيف : تصوّف
المؤلف : عبد الباقي مفتاح
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات : 224
قياس الصفحات: 24*17
سنة الطباعة : 2010
بلد الطباعة : لبنـــان
الطبعة : الأولى

ISBN 978-2-7451-6700-2
ISBN 2-7451-6700-6
9782745167002
90000

القسم الأول

- تاريخ كتابة المشاهد .
- الشراح السابقون لكتاب المشاهد .
- بعض دلالات العدد 14 الذي هو عدد أبواب المشاهد .
- دلالات عنوان الكتاب .
- المفاتيح القرآنية للمشاهد .
- علاقة كتاب (المشاهد) بكتاب (الإسراء) وقلب القرآن(يس)
- ما هي إشارات الشيخ إلى علاقة المشاهد بفواتح السور ؟
- جدول تسلسل كتاب المشاهد وارتباط نهاية كل باب ببداية الباب الذي يتلوه
- بنية كتاب مشاهد الأسرار
- مشاهد القرآن عند الشيخ الأكبر وأهل العرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمّد فاتح مشاهد الأسرار القدسية وخاتم مطالع الأنوار الإلهية وعلى آله وصحبه

مدخل

هذا الكتاب يندرج في إطار دراسات كتب وآثار الشيخ الأكبر محيي الدين أبي عبد الله محمد ابن العربي الحاتمي (560 - 638 هـ) الترجمان الأعظم للتصوف الإسلامي. وقد ذكرت في كتاب (مفاتيح فصوص الحكم) (*) أنّ جل كتب الشيخ ترجع بكيفية جلية أو خفيّة إلى سور القرآن الكريم وآياته أو إلى حضرات الأسماء الحسنى وآثارها في الآفاق والأنفس. فآيات القرآن والأسماء الحسنى هي مفاتيح فهم ما كتبه الشيخ الأكبر. وكمثال لهذا الفهم نقدّم هذا الكتاب.

تاريخ كتابة المشاهد

لما بلغ الشيخ الأكبر من العمر ثلاثين سنة (590هـ)، وفي بحثه المتواصل عن أولياء عصره خصوصا خلفاء الشيخ أبي مدين (ت: 589 هـ)، زار الشيخ تونس

(*) طبع هذا الكتاب بمراكش - دار القبة الزرقاء للنشر - سنة 1417 هـ - 1997 م. ثم أعيدت كتابته وأضيف إليه جزء ثان وأصبح عنوانه " المفاتيح الوجودية والقرآنية لفصوص الحكم لابن العربي" وطبع ببيروت - دار البراق - سنة 1425 هـ - 2004 م.

حيث صحب أحد أولئك الخلفاء وهو الشيخ عبد العزيز المهدوي (توفي 621هـ). وكان من عادة الشيخ الأكبر عند اجتماعه برجال الطريق أن يرفع هممهم إلى طلب المزيد من الترقي في مدارج العلم الإلهي... وخلال مذاكراته مع بعض مريدي المهدوي وقعت لهم حيرة وإنكار على تعابير كان يتكلم بها الشيخ كالتي نجدها في المشاهد: (قال لي الحق - قلت له - أشهدني الحق) وأمثالها. وقد استعمل بعض الصوفية السابقين للشيخ مثل تلك العبارات كأبي يزيد البسطامي (توفي في 261هـ) ومحمد بن عبد الجبار النفري (ت: 354هـ) في كتابه " المواقف والمخاطبات". فلما رجع الشيخ من تونس إلى المغرب الأقصى بدأ في كتابة تأليف موجّه لأصحاب المهدوي وخصوصا لابن عمّه أبي الحسين علي ابن العربي الذي كان أيضا من تلاميذ المهدوي، وقسّم التأليف قسمين:

- القسم الأول: مقدمة بدأ كتابتها في سنة 590 هـ يبيّن فيها وراثة الأولياء لعلوم الأنبياء وأحوالهم، وأنّ الإنكار على إلهامات وأسرار الأولياء ليس له سند شرعي. وقد نشر الأستاذ حامد طاهر سنة 1985 م هذه المقدمة منفصلة عن بقية الكتاب، طبعها في القاهرة تحت عنوان " رسالة في الولاية" في العدد الخامس من مجلة " أَلِفْ".

- القسم الثاني: هو كتاب المشاهد هذا بأبوابه الأربعة عشرة وخاتمته، وهو يمثل شهادة عملية واقعية لتلك المقدمة النظرية. وهذا القسم الثاني حققته ونشرته الأستاذة سعاد الحكيم، مع ترجمته للإسبانية للأستاذ بابلو بنيتو، بإسبانيا سنة 1994؛كما ترجمه للفرنسية الأستاذ روسبولي.

الشراح السابقون لكتاب المشاهد:

أول شارح للمشاهد هو الشيخ إسماعيل بن سودكين النوري (ت: 646 هـ) الذي كان من خواص أصحاب الشيخ الأكبر. وجل شرحه منقول من كلام الشيخ نفسه، وعنوانه: " النجاة من حجب الاشتباه "، وهو في غاية الاختصار. وقد

استَلهمتُ منه الكثير من المعاني في هذا الكتاب.

الشرح الثاني للمشاهد هو للعارفة ست عجم بنت النفيس بن أبي القاسم البغدادية (كانت حيّة سنة 686 هـ). وقد حقق هذا الشرح وقدّم له الأستاذ بكري علاءالدين والأستاذة سعاد الحكيم، وطبع ونشر بالمعهد الفرنسي للشرق الأوسط بدمشق سنة 2004 م. وهو - حسب ما يبدو لي - شرح جيد في بعض المواقع، ومحتمل أحيانا، وبعيد عن مقصود الشيخ في العديد من المواقع الأخرى.

لكن هذان الشرحان لم يبينا المرجعية القرآنية للمشاهد، وبالتالي البنية الكلية لتسلسلها، كما سأحاول تفصيله في هذا الكتاب.

وقيل إن عبد الرؤوف المناوي (ت: 1031هـ) شرح هو أيضا المشاهد، لكن لم يوجد لهذا الشرح أثر حتى الآن حسب قول الأستاذ عثمان يحيى في كتابه حول تآليف الشيخ الأكبر ابن العربي.

بعض دلالات العدد 14:

-- العدد (14) الذي هو عدد أبواب المشاهد يتعلق عند الشيخ بعدّة أمور نوجز أهمّها فيما يلي:

- أولا: نصف الفلك بمنازله الأربعة عشر. فنصفه الظاهر يرمز للظهور والتشبيه والبقاء، ونصفه الغائب يشير للبطون والتنزيه والفناء.

- ثانيا: البدر الذي يرمز إلى كمال الرؤية، رؤية الحق تعالى، وإلى كمال المشاهدة أو كمال الظهور.

- ثالثا: درج معالي السعداء كما فصّلها في أواخر الباب (19) من الفتوحات وهي: الإسلام، الإيمان، الإحسان، العلم، التقديس، التنزيه، الغنى، الفقر، الذلة، العزّة، التلوين، التمكين، الفنا، البقاء.

- رابعا: فصول القبضة الإلهية في أصولها الخمسة، كأصابع قبضة اليد بمفاصلها الأربعة عشرة. فصّل الشيخ ذلك في جوابه عن السؤالين (120/

121) من أسئلة الترمذي.

- خامسا: حرف النون لأنّ مرتبته في الحروف اللفظية والرقمية هي الرابعة عشر. وشكله يرمز لنصف دائرة الفلك. وعدده الصغير هو عدد أصول تلك الفصول من القبضة، أي عدد الحفظ وهو الخمسة مجموع الرقمين (4+1=5).

- سادسا: نصف عدد الحروف، وقد جمعنا في كتاب «مفاتيح فصوص الحكم» أهمّ ما ذكره الشيخ في الفتوحات حول العدد(28).

- سابعا: حقائق فاتحة الكتاب السبع المثاني (7 X2 = 14) كما فصلها الشيخ في منزلها من الفتوحات (الباب 383) وفيه ذكر أن قمّة مملكة الولاية تتألف من الأربعة عشر شخصاً وهم: القطب والإمامان، والأوتاد الأربعة، والأبدال السبعة.

- ثامنا: عدد فواتح السّور، وعدد الحروف المشكلة لهذه الفواتح ولكل منها مناسبات مع نشأة الأفلاك والبروج ونشأة ظاهر الإنسان وباطنه. وقد ذكر العلماء أن الحروف الفواتح تشتمل على أنصاف جميع أجناس الحروف؛ فمن المهموسة العشرة نصفها: (ص- ك - ح - هـ - س)؛ ومن المجهورة الثمانية عشرة نصفها: (ا - ل - م - ع - ط- ر- ق - ي - ن)؛ ومن الشديدة الثمانية نصفها: (ا - ك - ط - ق)؛ ومن الرَّخوة نصفها وكذلك المطبقة والمنفتحة والمستعلية والمنخفضة والمقلقلة.

ومدار هذا الكتاب على بيان التناسب بين أبواب المشاهد والفواتح الأربعة عشر.

عنوان الكتاب:

(مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية)

إذا علمنا أن كتاب المشاهد يستمدّ من حضرات فواتح السور يمكن القول

أن كلمة مطالع هنا تعني مطالع نجوم الآيات القرآنية من السور المفتتحة بالحروف النورانية المقطعة. فإذا طلع نجم آية في قلب العارف يستنير وعي القلب بنور معنى تلك الآية الإلهية فيشاهد ما تنطوي عليه من أسرار مقدّسة، وهي مقدّسة لأنها من كلام الله تعالى، ولهذا قال الشيخ في المقدمة: (استخرجتها لكم من الخزائن المحفوظة في غيابات الأزل المصونة عن طوارق الأعراض والعلل) يشير إلى سور القرآن الكريم وكلام الله القديم المحفوظ به تعالى.

وللتوسع في فهم الكلمات الستة للعنوان، يرجع إلى الأبواب التالية من الفتوحات:

- كلمة (مشاهد): الأبواب: (209 / 210 / 266)
- كلمة (أسرار): الباب (199)
- كلمة (القدسية): الباب 558 حضرة التقديس (**IV** ص 201 - 202)
- كلمة (مطالع): الباب (196)
- كلمة (الأنوار): الأبواب: (206/ 258 / 360 /) وتراجع معاني الأنوار الثمانية في كتابه: (مواقع النجوم)
- كلمة (الإلهية): بداية الباب (558)- **IV** ص 196-197.

وأهمّ كلمة في العنوان هي كلمة (أسرار) لأن مطالع الأنوار الإلهية وسيلة لإدراك تلك الأسرار فهي الغاية. وقد عرّف الشيخ في الباب (199) سرّ العلم فقال: (سرّ العلم بالله هو جمع الأضداد بالحكم في العين الواحدة من حيث ما هو منسوب إليه كذا مما له ضد من ذلك بعينه ينسب إليه ضدّه) وجمع الأضداد في نفس العين هو ما نجده في كل من المشاهد الأربعة عشر.

المفاتيح القرآنية للمشاهد:

تأمل هذا الكتاب يكشف أن بنيته تتعلق بفواتح السور الأربعة عشر، لكل

باب فاتحة حسب ترتيب ظهورها في القرآن بداية من أوّلها صعودا وهي (ن، ق، حم، عسق، حم، ص، يس، الم، طسم، طس، طه، كهيعص، الر، المر، المص)، ومن حيث ارتباطها بقلبها (يس). وقد ورد في الحديث الشريف أنّ (يس) قلب القرآن.

فإن قيل: لماذا كانت المشاهد الأربعة عشر مرتبطة بـ(يس)؟

فالجواب إنها كذلك من حيث الشكل ومن حيث المضمون.

- فمن حيث الشكل فلأن هيئة كتاب المشاهد هي كدائرة فلكية، ولكل دائرة قطب. وقطب المشاهد هو مشهد (يس) لأن (يس) قلب القرآن، ولهذا جعل الشيخ عنوان مشهدها السادس قريب من عنوان الكتاب الذي هو: (مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية) وعنوان مشهدها: (مشهد نور المطلع بطلوع نجم الكشف). ولهذا أكد ابن سودكين في مقدّمته، كما أكّد الشيخ في خاتمته على ذكر القلب وتقلبه ووجوهه الثمانية ووجوهه الستّة، وكاد ابن سودكين أن يصرّح بهذا حين قال مباشرة قبل المشهد الأول: [فاعرف حقيقة القلب في تقلباته وعدم ارتباطه بوصف يقيده به وتأمل عند تجلي هذه الحقيقة القلبية بعين كشفك قوله عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربّه لترى عجبا].

- أما من حيث المعنى فقد قال الشيخ في الباب (348) من الفتوحات المخصوص بمنزل سورة (يس) إن من منزلها ظهرت جميع المنازل. إذن فتلك الفواتح ظهرت من القلب الياسيني[1]. فكأن الغاية السلوكية من هذه المشاهد هو أن يكون السالك عين هذا القلب الياسيني القطبي الجامع للأضداد، الثابت رغم تغير الشؤون وتعاكس الحقائق حسب تجليات الكمال المطلق الذي لا يتقيد بصفة دون غيرها؛ فهو في نقطة مركز الاعتدال الذي يشير إليه الشيخ بقبة أرين. وقد أكد

---

(1) وعدد (ياسين) بحساب الجمل الصغير هو: (1+1+6+1+5= 14) أي عدد الفواتح أو عدد أبواب المشاهد. أما عدد (ياسين) بحساب الجمل الكبير فهو: (10+1+60+10+50= 131) وهو عدد الاسم (سلام) الذي هو مفتاح آيتها القلبية الآية 58: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨ ﴾.

الشيخ تأكيدا خاصّا مُلحًّا متكررا مرات كثيرة في كل المشاهد على ذكر كل حقيقة متبوعة بضدها. ولهذا يمكن إعطاء عنوان لموضوع هذه المشاهد، وهو (مجمع الأضداد في قبّة أرين)أو: (ملتقى الحقائق في قلب ياسين).

وقد قيل إنّ في كتب الشيخ وأقواله تناقضا كثيرا. وقولهم هذا له وجه من الصحّة لكنهم أخطأوا في انتقاده. والسبب في ذلك هو ما يلي:

الشيخ الأكبر- عند كل منصف - هو الترجمان الأعظم لعلوم وحقائق مقام الختام الأحمدي الجامع لجميع أذواق ومعارف الولاية. وهذه الأذواق والمعارف بحكم حقيقتها متناقضة لأنها نابعة من الأسماء الحسنى المتقابلة كالأول والآخر، أو الظاهر والباطن، أو الرحيم والمنتقم، أو النافع والضار، أو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. وقد أفصح الشيخ عن هذا المعنى بقوله في الباب (559):

|الختم الخاص هو المحمدي ختم الله به ولاية الأولياء المحمديين أي الذين ورثوا محمدا صلى الله عليه وسلم وعلامته في نفسه أن يعلم قدر ما ورث كل ولي محمّدي من محمد صلى الله عليه وسلم فيكون هو الجامع علم كل وليّ محمدي لله تعالى وإذا لم يعلم هذا فليس بختم ألا ترى إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما ختم به النبيين أوتي جوامع الكلم واندرجت الشرائع كلها في شرعه اندراج أنوار الكواكب في نور الشمس|.

علاقة كتاب (المشاهد) بكتاب (الإسراء) وقلب القرآن(يس):

في شهر جمادى من سنة 594 هـ أكمل الشيخ كتابه (الإسراء) الذي فصّل فيه بأسلوب أدبي رائع معراجه الروحاني عبر مراتب الوجود. وفي كتابه المشاهد بيان لنموذج آخر من المعارج العرفانية عبر منازل القرآن العظيم. فالكتابان

متكاملان من حيث أنهما مظهران من مظاهر معارج العارفين والأولياء التي يمكن تصنيفها في الأنواع التالية:

- معارج المبتدئين عبر المراتب الكونية وآيات الآفاق. وقد خصّص الشيخ لبيان هذا المعراج كتاب (الإسراء) و(رسالة الأنوار) و(عقلة المستوفز) والأبواب التالية من الفتوحات (381/198/367/167) و(رسالة الاتحاد الكوني).

- معارج العارفين عبر المراتب الإنسانية وآفاق الأنفس. وخصّص الشيخ لبيان هذا المعراج كتبا مثل (التدبيرات الإلهية) و(مواقع النجوم) و(عنقاء مغرب) حيث بيّن التناسب بين مظاهر الكون ومظاهر الإنسان. وفي هذا المعراج يتحقق صاحبه بالمقامات والأحوال التي خصّص لها الشيخ أبواب الفصلين الثاني والثالث من الفتوحات.

- معراج علماء الأولياء عبر منازل السور القرآنية والآيات الفرقانية. وقد خصص الشيخ لبيان هذا المعراج كتبا مثل: "كتاب التراجم" و"كتاب الشاهد" و"كتاب العبادلة" وكتاب "إشارات القرآن في عالم الإنسان" والباب (22) من الفتوحات وجميع أبواب فصوله: الرابع والخامس والسادس. وأهل هذا المعراج يسميهم الشيخ: (أهل الجمع والوجود) أي الجمع القرآني والوجود الفرقاني.

- معراج المحققين في الحقائق الإلهية من حضرات الذات والأسماء والصفات والأفعال، كما يظهر في مواضع متفرقة من الفتوحات، خصوصا في أبواب الفصل السادس، وكتاب فصوص الحكم، وكتاب " إنشاء الدوائر".

فكتاب "الإسراء" لأهل النوع الأول من المعارج، وكتاب "المشاهد" لأهل النوع الثالث كما سيظهر عند الكلام على بنية الكتاب، ففيه معراج عبر منازل فواتح السور الأربعة عشر النورانية. ولتأكيد معنى المعراج جعل الشيخ نهاية كل باب مدخلا للباب الموالي الذي يتلوه كما هو ظاهر في جدول لاحق.. وقد أكد ابن سودكين في مقدمة شرحه على هذا التكامل أو التواصل بين كتابي (الإسراء) و(المشاهد) فقال: [فالغالب على الإسراء السفر إليه، والغالب على المشاهد- إذا لم

يكن كلها - السفر فيه، فهي أجل قدرا وأعلى فخرا وأعظم أمرا، لأنها معارف مطلقة غير مقيدة بحضرة من الحضرات الكيانية، وليس كذلك كتاب الإسراء وإن كانت حضراته معنوية...] إلى آخر ما فصّله رحمه الله. ومن مظاهر هذا التكامل بين (الإسراء) و(المشاهد) أن بداية الإسراء وقعت عند اجتماع السالك في ينبوع أرين بالفتى الروحاني الذات الرباني الصفات. ونهاية (الإسراء) كانت عند قول: [وقد أعطيت المفتاح فإن شئت فافتح]. ومن مظاهر هذا المفتاح - الذي أسنانه حروف الاسم الأعظم- فواتح السور النورانية التي عليها مدار كتاب المشاهد. فنهاية (الإسراء) هي بداية فتح المشاهد.

وذلك الفتى هو عين ذلك الروح الذي لقيه الشيخ خلال طوافه بالكعبة ومن ذاته أخذ علوم كتاب (الفتوحات المكية) كما فصّل الشيخ ذلك في بابه الأول. وكان أول علم أخذه عنه هو علم أسرار الحروف كما فصّلها في بابه الثاني، حيث يقول عن أسرار أعداد الحروف: [... فهذا وجه من الوجوه التي سقنا عدد الحروف من أجله... وهو المفتاح الأول ومن هنا تنفتح لك أسرار الأعداد وأرواحها ومنازلها فإن العدد سرّ من أسرار الله في الوجود ظهر في الحضرة الإلهية بالقوة فقال صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلاّ واحدا من أحصاها دخل الجنة»، وقال: «إن لله سبعين ألف حجاب" إلى غير ذلك، وظهر في العالم بالفعل وانسحبت معه القوة فهو في العالم بالقوة والفعل.]

وفي كتابه (لطائف الأسرار) يشير الشيخ إلى أن مفاتيح كيمياء السعادة في أسرار الحروف فيقول على لسان روحانية آدم عليه السلام مخاطبا السالك: [... فإن كنت إلى تدبير هذه الصنعة وإيجاد هذه الحكمة بالأشواق فانزع هذه الطباق وسل عن الجبل المعروف فستجد مطلوبك في الحروف..]

الفتى الياسيني

ذلك الفتى الرباني الصفات الذي أسرى بالشيخ إلى أن سلّمه مفتاح

المشاهد والفتوحات هو روح القرآن العظيم سرّ الإمام المبين وحقيقة الإنسان الكامل. وقد أشار الشيخ إلى هذا المعنى في خلاصة الباب الأول من الفتوحات في أوّل فقرات الباب (559) حيث جعل عنوانها: (سرّ الإمام المبين) إشارة إلى ذلك الفتى.. وقلب الفتى هو مفتاح حروف هذا العنوان أي السّين من كلمة السرّ. وإذا كان الفتى هو مظهر القرآن، فقلبه هو(يس) لأنها قلب القرآن. وسين ذلك السرّ هو سين (ياسين)مفتاح اسمه تعالى (سلام) من الآية 58: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ التي هي قلب يس التي ورد في آيتها (12) قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾... وهنا نصل إلى النتيجة وهي أنّ قلب الفتوحات والمشاهد هو سورة (يس) أي صورة سيادة الإنسان الكامل.

ما هي إشارات الشيخ إلى علاقة المشاهد بفواتح السور ؟

الجواب: أولا هو كونها أربعة عشر المناسبة لعدد الفواتح. ثانيا موضوع كل مشهد مناسب لتلك الفواتح حسب ترتيبها: فأوّل مشهد يتكلم على موضوع الوجود القديم والحادث والعدم، فهو مناسب لمرتبة أول موجود بارز من العدم النسبي إلى الوجود النسبي، وهو الملك النوني أو حضرة علم الإجمال في القلم الأعلى الذي هو أول مظاهر الحقيقة المحمّدية ذات الخلق العظيم، أي أن المشهد الأول مناسب لأول الفواتح: (ن) من سورة القلم؛ والقلم هو أول آخذ للعلم من الحق تعالى بلا واسطة، ومن رموزه أول حروفه أي القاف، ولهذا ختم الشيخ المشهد الأول بمقدمة المشهد الثاني بقوله: (فلو اطلعت على الأخذ لوقفت على الوجود الحقيقي) ثم بدأ بقوله: (أشهدني مشهد نور الأخذ وطلوع نجم الإقرار) فهذا المشهد الثاني مناسب لثاني الفواتح: (ق).

وختم المشهد الثاني بمقدمة المشهد الثالث قائلا: (إن أردت أن ترني فارفع الستور) ثم قال: (أشهدني الحق مشهد نور الستور بطلوع نجم التأييد) والستور هي

الحجب التي ذكرت في آخر سورة الشورى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ...﴾ الآية 51. والستور هي أيضا الأسماء الحسنى وأشهرها التسعة والتسعون المرموزة في عدد (حاميم = 8+1+40+1+40 = 99). فالمشهد الثالث مناسب لفاتحة (حم عسق). ولهذا أكّد ابن سودكين في شرحه لهذا المشهد على روح هذه السورة وهي آيتها 11: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. ولهذا أيضا نجد الشيخ في عنوان فقرة من الباب (559) من الفتوحات يشير بالستور إلى سورة الشورى، والعنوان هو: (اللؤلؤ المنثور من خلف السُّتور) وهي فقرة الباب (384) المخصوص بتعريف المنازلات الخطابية وفيه يقول إنّ أصلها الكلام من وراء حجاب من سورة الشورى (**IV**- ص 406.).

وأمّا حرف (ص) من سورة (ص) فله المشهد الخامس. وأخذه الشيخ في هذا المشهد كمفتاح للصمت، أي الصمت الدائم للمخلوق والكلام الدائم من الخالق، والخلق المتجدّد بكلمة (كن). ولهذا جعل عنوانه: (مشهد نور الصمت بطلوع نجم السلب).

وفي المشهد السادس ذكر ثلاثين مطلعا هي عين آيات سورة (يس).

وفي المشهد السابع المناسب لفاتحة (الم) تطابق بين عنوانه وحروف (الم). فعنوانه: (مشهد نور الساق بطلوع نجم الدعا) أي الدعا للسجود المتمثل في دائرة الميم ونزول تعريفتها إلى الأسفل كالذي يخرّ ساجدا. ولا سجود إلا بعد حصول المعرفة المتمثلة في الألف واللام إذ أنهما هما حرفا التعريف.

وأحيانا يكاد الشيخ يصرح بالمفتاح القرآني للمشهد مثلا في نهاية المشهد العاشر المناسب لفاتحة سورة (طه) يذكر آيتها الرابعة عشر: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ والمشهد الثالث عشر يسميه مشهد نور العمد ليشير إلى السورة المناسبة لهذا المشهد والمفتتحة بـ(المر) أي إلى الآية الثانية من سورة الرعد: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾.

والمشهد الأخير الرابع عشر مناسب لآخر أحوال العباد على أرض الساهرة في الآخرة، ومناسب لفاتحة (المص) لأنها فاتحة الأعراف، والأعراف هو السور الذي من وقف عليه شاهد أهل الجنّة وأهل النار كما وصفهم الشيخ في هذا المشهد. وهذا المشهد الحشري متفق مع ما ذكره الشيخ العارف عبد العزيز الدباغ (ت: 1142 هـ)في كتاب "الإبريز" من أن معنى (ص) في لغة الأرواح السريانية هو الفراغ الذي تجتمع فيه كل الخلائق في يوم المحشر مع تميز كل شخص عن غيره حسب حاله من السعادة والشقاء.

وهكذا يظهر للمتأمل التناسب التام بين المشاهد والفواتح وسورها.

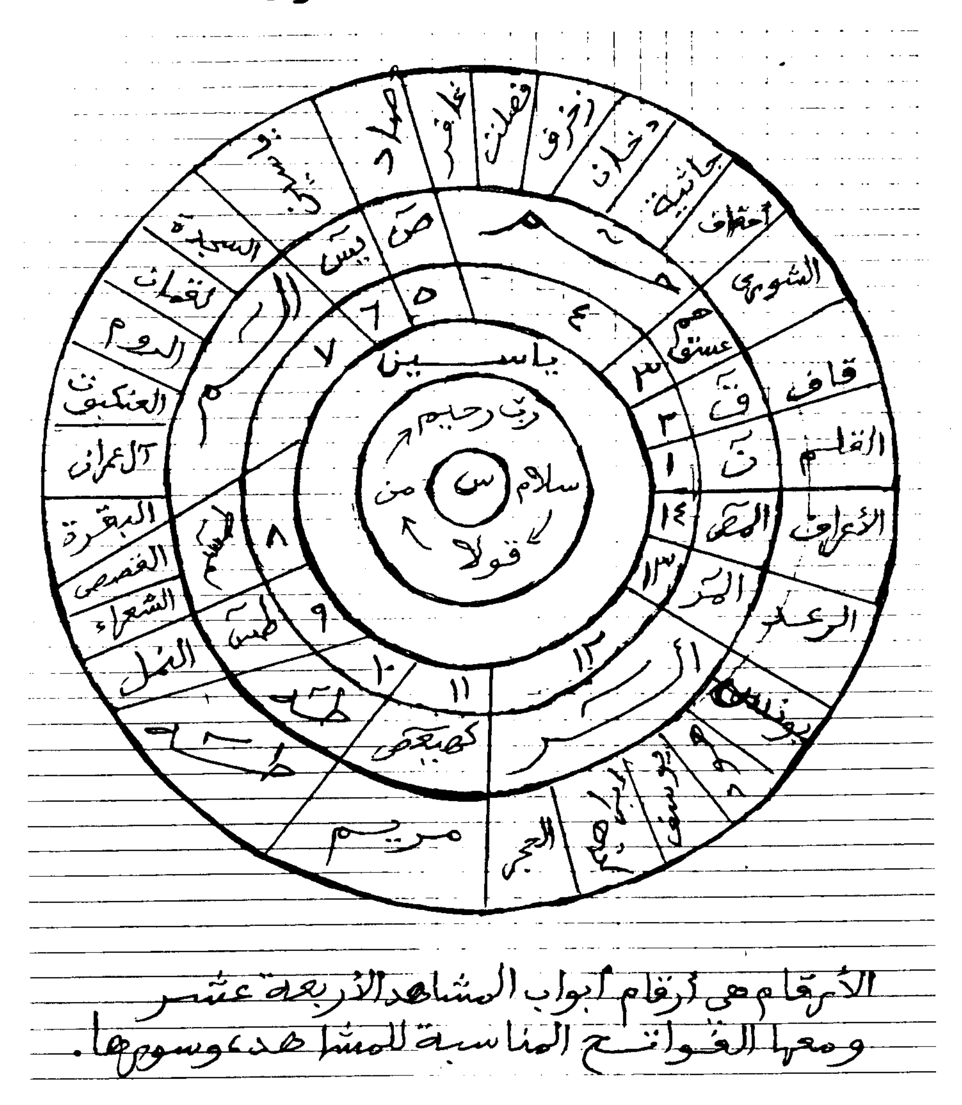
وكعادة الشيخ في ربط أبواب كتبه وفصولها في سلسلة متناسقة، فقد أكّد في هذا الكتاب على تسلسل مشاهده كمراحل متتابعة في معراج عرفاني عبر منازل الفواتح القرآنية. والشيخ حريص في كتبه على مثل هذا التسلسل لإشعار أصحابه من قرّائه بالجمال التام والتناسق الكامل بين آيات الآفاق وآيات الأنفس وآيات كلام الله عزّ وجل.

وختم الشيخ آخر المشاهد بقوله: (وكن على حذر، ولا تفارق الأمر). كأنه يشير إلى الأمر الوارد في أواخر السورة المناسبة للمشهد الأول، أي الآية 48 من سورة القلم: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ﴾. وصاحب الحوت هو يونس ذو النون عليه السلام. وحرف النون هو فاتحة هذه السورة، وهو الحرف الرابع عشر في جميع تراتيب الحروف. وعنوان المشهد الأخير: (مشهد نور الحجاج وطلوع نجم العدل)، فكلمة (العدل) هي من أسماء القلم الأعلى، حسب ما ذكره الشيخ في الباب 320 من الفتوحات. وكأن في هذا المعنى إشارة إلى المشهد الأول المناسب لسورة القلم. وهكذا انعطفت آخر المشاهد على أوّلها، إشارة إلى الهيئة الدائرية لبنية كتاب المشاهد، المتسلسلة أبوابه في حلقات متماسكة كما يظهر في الجدول التالي.

تسلسل كتاب المشاهد وارتباط نهاية كل باب ببداية الباب الذي يتلوه

	نهاية الباب		بداية الباب الموالي
		1	مشهد نور الوجود وطلوع نجم العيان
1	لو اطلعت على الأخذ لوقفت على الوجود الحقيقي	2	مشهد نور الأخذ وطلوع نجم الإقرار
2	إن أردت أن ترني فارفع الستور	3	مشهد نور الستور وطلوع نجم التأييد
3	وفي الشعور تلويح لأهل النظر للأمور	4	مشهد نور الشعور وطلوع نجم التنزيه
4	فإذا ركبت فاصمت	5	مشهد نور الصمت وطلوع نجم السلب
5	فاطلع تكشف	6	مشهد نور المطلع وطلوع نجم الكشف
6	يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود	7	مشهد نور الساق وطلوع نجم الدعاء
7	عليك يعتمد الساق وبه يستمسك صاحب الصخرة	8	مشهد نور الصخرة وطلوع نجم البحر
8	ولا تفارق أرين تقف على سر الأنهار	9	مشهد نور الأنهار وطلوع نجم الزيت
9	فرمى بي في بحر الحيرة وتركني أسبح فيه	10	مشهد نور الحيرة وطلوع نجم العدم
10	شهد العدم للحيرة أني أنا الله لا إله إلاّ أنا	11	مشهد نور الألوهية وطلوع نجم لا
11	وفني الفنا عن الفنا بأنا	12	مشهد نور الأحدية وطلوع نجم العبودية
12	هو الذي رفع السماوات بغير عمد	13	مشهد نور العمد وطلوع نجم الفردانية
13	إياك والحجاج فإنه يورث الهلاك	14	مشهد نور الحجاج وطلوع نجم العدل
14	فكن على حذر ولا تفارق الأمر		

بنية كتاب مشاهد الأسرار



مشاهد القرآن عند الشيخ الأكبر وأهل العرفان

ليس القرآن عند السالكين كلمات تردّد فحسب، وإنما آياته وكلماته وحروفه مطالع تجليات ومشاهد أسرار لا نهاية لها، ومظاهر كمال وعظمة مطلقة،

فالقرآن عندهم معاناة ذوقية وتحقق ذاتي. ولهذا نجد الشيخ الأكبر عندما يصف منازل القرآن إنما يصف عين أحواله ومشاهده وأذواقه في قالب القرآن الذي يكلم الله تعالى به عبده المحمدي. وفي هذا التحقق القرآني يكون القلب هو عنصر التحقق ببعده السمعي وبعده البصري قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ - سورة ق الآية37- فقوة القلب السمعية تسمع من الحق تعالى كلامه وعين سماعه عين فهمه. وقوّته الشهودية بالبصيرة تشهد ذلك المعنى في صور مثالية. وقد يقوى التجلي القرآني حتى يرى القلب نفسه عين الآية المتجلية: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ - سورة هود الآية 17 -. وكمثال لهذا الحال يقول الشيخ في الباب (**345**) المخصوص بسورة (الزمر) التي وردت فيها الآية 3: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ يقول: [تجلت لي هذه السورة في مدينة حلب وقيل لي لما رأيتها هذه سورة لم يطمثها إنس ولا جان فرأيت لها ومنها ميلا عظيما إلى جانبي وقد مُثلتْ لي في شبه هذا المنزل الذي كنت دخلته قبل ذلك - يعني الشيخ سورة الإخلاص - ثم قيل لي: هي خالصة لك من دون المؤمنين. فلما قيل لي ذلك فهمت الإشارة وعلمت أنها ذاتي وعين صورتي لا غير، فإنه ما لموجود شيء مخلص له ليس لغيره قديمه وحديثه إلا ذاته خالصة] وقد عبّر عبد الرزاق القاشاني(ت: 730هـ) في كتابه" " اصطلاحات الصوفية " عن مثل هذا المعنى في تعريفه لكلمة (المطلع) فقال: [هو مقام شهود المتكلم عند تلاوة آيات كلامه متجليا بالصفة التي هي مصدر تلك الآية. كما قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: «لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون». وكان ذات يوم في الصلاة فخرّ مغشيا عليه فسئل عن ذلك فقال: ما زلت أكرّر آية حتى سمعتها من قائلها. قال الشيخ الكبير شهاب الدين السهروردي قدّس الله روحه كان لسان جعفر الصادق في ذلك الوقت كشجرة موسى عليه السلام عند ندائه منها: ﴿ أَنَا ٱللَّهُ ﴾. ولعمري إن المطلع أعمّ من ذلك

وهو مقام شهود الحق في كل شيء متجليا بصفاته التي ذلك الشيء مظهرها لكن لما ورد في الحديث النبوي: «ما من آية إلاّ ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع» خصّصوه بذلك».

يقول الشيخ أبو محمد روزبهان الشيرازي (ت: 606 هـ) في الفصل 21 من الباب 17 من كتابه " مشرب الأرواح ":

[سماع القرآن كاشف حجب عظمة الآزال والآباد وموضع ظهور جمال الذات والصفات، لا تحتمل وارده إلاّ قلوب الموحدين المصطفين].

وفي حضرة اسمه - تعالى - " الجميل " من الباب 558 من الفتوحات ينبه الشيخ على شرف سماع القرآن فينشد:

ما الدين بالدف والمزمار واللعب ... لكنما الدين بالقرآن والأدب
لما سمعت كتاب الله حركني ... ذاك السماع وأدناني من الحجب
حتى شهدت الذي لا عين تبصره ... إلا الذي شاهد الأنوار في الكتب
هو الذي أنزل القرآن في خلدي ... يوم الخميس بلا كد ولا نصب
إلا عناية ربي حين أرسلها ... إلى فؤادي فنادتني على كثب

فمناداة هذه العناية الربانية في فؤاده هي التي نجدها في مشاهد هذا الكتاب.

وفي الكتب التي خصّصها الشيخ لبيان لطائف الإشارات القرآنية كثيرا ما يبدأ الجملة بكلمة (قال) أو (قال لي)يعني به لسان الحق تعالى في قلبه وهذا ما نجده في كتاب (العبادلة) و(كتاب الشاهد) وكتاب (إشارات القرآن في عالم الإنسان) وهذا الكتاب (مشاهد الأسرار) وغيرها. وفي بعض الكتب الأخرى يؤكد على المشاهد المتجلية في الآيات وهو ما نجده في هذا الكتاب أيضا، وكذلك في كتاب (التجليات) المخصوص بآيات سورة البقرة. وفي الفتوحات المكية نجد بعض هذه المشاهد القرآنية مبثوثة في أبواب مختلفة نذكر بعضها فيما يلي:

ا - أول صورة يتمثل فيها القرآن في الفتوحات نراها في الباب الأول منه

وهو الذي عنوانه: [في معرفة الروح الذي أخذت منه تفصيل نشأته وما سطرته في هذا الكتاب وما كان بيني وبينه من الأسرار.] ثم يبين أن هذا الروح قد ظهر له على هيئة (الفتى الفائت المتكلم الصامت الذي ليس بحي ولا مائت المركب البسيط المحاط المحيط). فهذا الروح الفتى الذي أخذ منه الفتوحات هو عبارة عن القرآن الكريم ومظهر الإمام المبين. وإلى هذا المعنى أشار في الأبيات التي ذكرها في مقدمة الفتوحات، ونطق بها أمام أصحاب الشيخ عبد العزيز المهدوي خلال زيارته له بتونس سنة 590 هـ ونصها:

أنا القرآن والسبع المثاني ... وروح الروح لا روح الأواني

فؤادي عند معلومي مقيم ... يشاهده وعندكم لساني

فلا تنظر بطرفك نحو جسمي ... وعد عن التنعم بالمغاني

وغص في بحر ذات الذات تبصر ... عجائب ما تبدّت للعيان

وأسرارا تراءت مبهمات ... مسترة بأرواح المعاني

ب - وفي الباب (72) في الفصل: (الجمعة بعرفة) يقول: [واقعة وقعت لنا في ليلة من كتابتي هذا الوجه وهي مناسبة لهذا الباب: كنت أرى فيما يراه النائم شخصا من الملائكة قد ناولني قطعة من أرض متراصة الأجزاء مالها غبار في عرض شبر وطول شبر وعمق لا نهاية له فعندما تحصل في يدي أجدها قوله تعالى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾.. إلى قوله: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ - البقرة: 150-152-152. فكنت أتعجب ما كنت أقدر أن أنكر أنها عين هذه الآيات ولا أنكر أنها قطعة أرض. وقيل لي: هكذا أنزل القرآن أو أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم فكنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول لي هكذا أنزلت عليَّ فخذها ذوقا وهكذا هو الأمر فهل تقدر على إنكار ما تجده من ذلك قلت لا فكنت أحار في الأمر حتى قلت لغلبة الحال عليّ في ذلك.

ما ثمّ إلاّ حيرة عمت ... كلي وبعضي وهي من جملتي

والله مـــا ثـــمّ حـــديث ســـوى هـــذا الـــذي قـــد شـــهدت مقلتـــي
فمـــا أرى غيـــري ومـــا هـــو أنـــا وذاك مجـــــــلاه وذي كلتـــــــي

فقلت هذا كشف مطابق للجمعة التي جاء بها جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة مرآة مجلوة وفيها نكتة وقال له يا رسول الله هذه الجمعة وهذه النكتة الساعة التي فيها والحديث مشهور فانظر ما أعجب الأمور الإلهية وتجليها في القوالب الحسية وهذا دليل على ارتباط الأمر بيننا وبين الحق] انتهى.

ج - وفي نفس هذا الباب - باب الحج - يذكر الشيخ واقعة أخرى حصلت له خلال كتابته لفصل (رمي الجمار) وكلامه فيها طويل نختصره فيما يلي: (I - ص 722 - 723): [اعلم وفقك الله بينا أنا أكتب هذا الكلام في مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ومقامه عليه السلام قوله تعالى فيه: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ -النجم: 37- لأنه وفى بما رأى من ذبح ابنه، أخذتني سنة فإذا قائل من الأرواح أرواح الملأ الأعلى يقول لي عن الله تعالى: «ادخل مقام إبراهيم وهو أنه كان أوّاها حليما» ثم تلا عليَّ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ التوبة 114. فعلمت أن الله لا بدّ أن يبتليني بكلام في عرضي من أشخاص فأعاملهم مع القدرة عليهم بالحلم عنهم... فنرجو أن يكون لنا نصيب من الخلّة كما حصل من درجة الكمال والختام والرفعة السارية في الأشياء في هذه الأمّة الحظ الوافر بالبشرى في ذلك.. وأن أكون ممن يأمره الله في سره فيمتثل مراسمه بلا واسطة. ومن مقامه عليه السلام أيضا الصلاح والصلاح عندنا أشرف مقام يصل إليه العبد وعندنا من العلم به ذوق عظيم ورثناه من الأنبياء عليهم السلام... ورأيت في هذه الواقعة أنواعا كثيرة من مبشرات إلهية بالتقريب الإلهي وما يدل على العناية والاعتناء فأرجو من الله أن يحقق ذلك في الشاهد فإن الأدب يعطي أن أقول في مثل هذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن يكن من عند الله يمضه» مع العلم بأنه من عند الله، فما قلت مثل هذا قط في واقعة إلا خرجت مثل فلق الصبح فإني في هذا القول متأس ومقتد برسول الله صلى الله عليه

وسلم لما رأى في المنام أن جبريل عليه السلام أتاه بعائشة في سرقة حرير حمراء وقال له هذه زوجتك فلما قصّها على أصحابه قال إن يكن من عند الله يمضه فجاء بالشرط الذي يعطيه مقام النوم وحضرة الخيال فكان كما رأى وكما قيل له فتزوجها بعد ذلك. فاتخذت ذلك في كل مبشرة أراها وانتفعت بالاتباع فيه وما قلت هذا كله إلا امتثالا لأمر الله في قوله: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ وأيّة نعمة أعظم من هذه النعم الإلهية الموافقة للكتاب والسنة.] انتهى.

هـ - وفي الفصل (27) من الباب (198) تتمثل له الهوية الإلهية بقسميها قائلا: [وفي ليلة تقييدي لهذا الفصل وهي الليلة الرابعة من شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وستمائة الموافقة ليلة الأربعاء الذي هو الموفى عشرين من شباط رأيت في الواقعة ظاهر الهوية الإلهية وباطنها شهودا محققا ما رأيتها قبل ذلك في مشهد من مشاهدنا فحصل لي من مشاهدة ذلك من العلم واللذة والابتهاج ما لا يعرفه إلا من ذاقه فما كان أحسنها من واقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة وصورتها مثالا في الهامش كما هو فمن صوّره لا يبدله. والشكل نور أبيض في بساط أحمر له نور أيضا في طبقات أربع صور وأيضا روحها في ذلك البساط في الطرف الآخر في طبقات أربع فمجموع الهوية ثمانية في طرفين مختلفين من بساط واحد فأطراف البساط ما هي البساط ولا غير البساط فما رأيت ولا علمت ولا تخيلت ولا خطر على قلبي صورة ما رأيت في هذه الهوية. ثم إن لها حركة خفيفة في ذاتها أراها وأعلمها من غير نقلة ولا تغير حال ولا صفة.] انتهى. فانظر كيف أكد الشيخ هنا على تسجيل تاريخ هذه الواقعة. وذلك لأن زمنها موافق تماما لصورتها. فهذا الفصل من الباب (198) هو السابع والعشرون والواقعة حصلت في السنة السابعة والعشرين من القرن السابع؛ وللصورة أربع طبقات وكذلك لروحها لأن الهوية الإحاطية ظهرت في القرآن مع أربع أسماء حسنى فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ - الحديد: الآية3-، وحصلت الواقعة في الليلة

الرابعة وهي ليلة أربعاء - أي رابع أيام الأسبوع - من رابع الشهور القمرية الموافق للعشرين من شباط، أي تمام العشرة الثانية من الشهر الشمسي الثاني، فمجموع الاثنين أربعة، فللأربعة الشمسية ظاهر الهوية وللأربعة القمرية باطنها. وحركة الهوية تظهر في الرفعة فوق الهاء...

و - وفي الباب (272) المخصوص بسورة الإخلاص يصف الشيخ منزلها فيقول: [فإنه يظهر في الكشف الصوري المقيد بالظاهر كالبيت القائم على خمسة أعمدة عليها سقف مرفوع محيط به حيطان لا باب فيها مفتوح فليس لأحد فيه دخول بوجه من الوجوه. لكن خارج البيت عمود قائم ملصق إلى حائط البيت يتمسح به أهل الكشف كما يقبّلون ويتمسحون بالحجر الأسود الذي جعله الله خارج البيت وجعله يمينا له وأضافه إليه لا إلى البيت كذلك هذا العمود لا يضاف إلى هذا المنزل وإن كان منه إلا أنه ليس هو خاص به فإنه موجود في كل منزل إلهي وكأنه ترجمان بيننا وما تعطيه المنازل من المعارف، وقد نبّه على ذلك ابن مسرة الجبلي في كتاب الحروف له، وهذا العمود له لسان فصيح يعبر لنا عما تحويه المنازل فنستفيد منه علم ذلك. ومن المنازل ما ندخل فيه ونمشي في زواياه فنجد الأمر على حد ما عرفناه فيه. ومن المنازل ما لا سبيل لنا إلى الدخول فيه مثل هذا المنزل فنأخذ من هذا العمود التعريف بحكم التسليم فإنه قد قام الدليل لنا على عصمته فيما يخاطبنا به في عالم الكشف كالرسول في عالم الحس فهو لسان حق. ومن الناس من يلحقه بأعمدة البيت فإن بعض الحائط عليه ولا يظهر لنا منه إلا وجه واحد وسائره مستور في الحائط فيقول بعض المكاشفين إن البيت قائم على ستة أعمدة فلا تناقض بين مثبتي الخمسة والستة في قيام البيت عليها فقد بينا لك ذلك حتى لا تتخيل أن الحق في أحد القولين ومع إحدى الطائفتين فكل طائفة منهما صادقة فلهذا أخبرتك بكيفية ذلك وهكذا جميع ما يظهر للناس أنهم اختلفوا فيه فليس بين القوم بحمد الله خلاف فيما يتحققون به بل هم في شغلهم أصح وأحق من أهل الحس فيما يدركونه بحواسهم.] انتهى.

فالبيت هو سورة الإخلاص. وأعمدته الخمسة هي آياتها الخمسة والعمود السادس الذي هو كالحجر الأسود وهو ترجمان معارف المنازل هو البسملة، فبعضهم يعتبرها آية من كل سورة، وبعضهم يعتبرها آية مستقلة تفصل بين كل سورة وأخرى. وبسملة كل سورة عند العارفين تنطوي على كل أسرار تلك السورة. وقد ذكر هذا المعنى في آخر سورة (المسد) في الباب (273) حيث يصف تمثل البسملة على هيئة بيت الدهليز فيقول: [فهذا قد ذكرنا جميع ما يحويه هذا المنزل من خزائن العلوم قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾- الحجر: 21- غير أني تركت عند الدخول إلى هذا المنزل بيتا واحدا في دهليز هذا المنزل لا تفتح لكل أحد وقد فتح لي ودخلته وعرفت ما فيه وهو يتضمن ويخزن فيه جميع مفاتيح الخزائن كلها التي تتضمنها هذه المنازل التي في هذا الكتاب وهو يحتوي على أمور جليلة وللعارف به تحقق في إيجاد الكائنات عليه] يريد الشيخ ما ذكره في مواقع أخرى أن البسملة للعارف بمثابة (كن) للحق تعالى... أما كون بيت سورة الإخلاص لا باب فيه فلا سبيل للدخول فيه فلأنها لا تحتوي إلاّ على أسماء التنزيه التي لا سبيل إلى التخلق بها فهي خالصة لله تعالى وهي خمسة (هو الله أحد الله الصمد) وكذلك الصفات (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤ أحد). وأما عمود البسملة فيتمسح به ويُدْرَكُ من وجهه الخارجي الذي هو (الرحمان الرحيم) فيمكن التخلق بالاسم (الرحيم) وأما وجهه في داخل البيت وهو (بسم الله) فلا سبيل للعبودية أن تتخلق بالألوهية لأن الحقائق لا تنقلب والاسم (الله) للتعلق لا للتخلق.

ز - وفي آخر الباب (274) المخصوص بسورة النصر يقول: [فما من منزل إلا وله بيوت وخزائن وأقفال ومفاتيح]. وفي الباب (273) الذي قبله المخصوص بسورة (المسد) فصّل تفصيلا وافيا بيوت منزلها وخزائنها وأقفالها ومفاتيحها. فالمنزل هو السورة، وبيوته هي آياتها، وخزائنها كلمات الآيات، وأقفالها حروفها، ومفاتيحها مجموع الحرف ونقطه، وحركات كل مفتاح على عدد ذلك الحرف

بحساب الجمل المعروف، وعدد أمهات العلوم التي تظهر للعارف من كل حرف مساو لعدد ذلك الحرف.

ح - وفي الباب (278) المخصوص بسورة (قريش) يقول: [واعلم أنّ هذا المنزل إذا دخلته تجتمع فيه مع جماعة من الرسل صلوات الله عليهم فتستفيد من ذوقهم الخاص بهم علوما لم تكن عندك فتكون لك كشفا كما كانت لهم ذوقا.] ثم ذكر الشيخ بعض تلك العلوم. وإذا تأملنا كلامه يبدو أن تلك الجماعة من الرسل يحتمل أنهم الرسل العرب هود وصالح وشعيب وسيدنا محمد صلوات الله عليهم وسلامه، لنسبتهم مع قريش العربية حرّاس بيت الرب بمكة أم القرى، ويحتمل أن تكون الجماعة من الرسل أقطاب السماوات السبع (آدم وعيسى ويحيى ويوسف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم) عليهم السلام، لعلاقتهم بالكواكب السيارة السبعة السابحة في أفلاكها بين رحلة الشتاء والصيف المذكورة في سورة (قريش).

واجتماع العارف المفتوح عليه بأرواح الأنبياء والأولياء في حضرات آيات القرآن أو في حضرات الأسماء الحسنى معروفة عند أهل الله تعالى، وقد ذكر الشيخ أمثلة لها في كتاب التجليات، وهو الكتاب الذي يستمد من آيات سورة البقرة كما بيناه في بحث خاص. ففي التجلي الرابع والخامس والسادس يقول إنه تحضر فيه حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن آيات تلك التجليات متوجهة في خطابها إليه صلى الله عليه وسلم، أو تشير إلى مقام يختص به دون غيره كمقام الحتمية الأحمدية في التجلي السادس من آية ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾- البقرة: 7-.

وكذلك نجد الشيخ يجتمع بالنفري (ت: 361 هـ)في تجلي (لا يعلم التوحيد)، ويجتمع بالشبلي (ت: 334هـ) في تجلي: (ثقل التوحيد)، وبالحلاج (ت: 309 هـ)في (تجلي العلّة)، وبالجنيد(ت: 298 هـ) في تجلي بحر التوحيد، وبذي النون المصري(ت: 245 هـ) في تجلي سريان التوحيد، وبابن عطاء(ت: 369 هـ) في تجلي من تجليات المعرفة، وبيوسف بن حسين (ت: 304 هـ) في تجلي ريّ التوحيد، وبإبراهيم الخواص (ت: 291 هـ) في تجلي النور الأحمر، وبأبي بكر

الصديق في تجلي النور الأبيض وبعمر بن الخطاب في تجلي النور الأخضر، وبعلي بن أبي طالب وهو يمر مسرعا في تجلي النور الأحمر... إلى آخره. وما من تجل إلا ومرجعه لآية معينة في البقرة.

مثلا تجلي النور الأبيض حيث أبي بكر الصديق رضي الله عنه على رأس الدرجة مستندا ناظرًا إلى الغرب، له الآية (177): ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ إلى قوله في رأس هذه الدرجة الصديقية: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ فآخر هذه الآية هي الدرجة التي يستند إليها الصديق الأكبر المتحقق بكل ما هو مذكور في الآية فأولها كقوله [ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله] والمشرق يرمز للتشبيه والمغرب للتنزيه ولهذا رآه الشيخ ناظرا للغرب لقوله [العجز عن الإدراك إدراك].

مثال آخر: في تجلي المناظرة الرابع والخمسين يجتمع الشيخ بالجنيد ويقول في آخره: [وكنت في وقت اجتماعي به في هذا المقام قريب عهد بسقيط الرفرف] وحال هذا الشخص، سقيط الرفرف - كما بيّنه الشيخ في الباب 73 من الفتوحات - هو حال الخشية والهوي للسجود وآيته: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾- النجم: 1- فحاله قريب من حال الجنيد الذي عبر عنه لما سئل عن سبب عدم تحركه عند السماع بقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ - النمل: 88- وهي تذكر بالآية 74 من البقرة: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٧٤ ﴾.

ط - وفي مواقع من الفتوحات يصف الشيخ معاناته أو مواجيده القرآنية وصفا ينبئ عن امتزاج ذاته المعنوية والحسية بالمعاني القرآنية. ففي الباب (217)

في معرفة الفتوح يصف تنزل القرآن على قلوب الأولياء فيقول ما نختصره فيما يلي:

[ويكون التنزل على صاحب هذا الفتح من الرتبة التي نزل فيها القرآن خاصة من كونه قرآنا لا من كونه فرقانا... ومن علامة صاحب هذا الفتح عند نفسه استصحاب الخشوع وتوالي الاقشعرار عليه في جسده بحيث إنه يحسّ بأجزائه قد تفرقت فإن لم يجد ذلك في نفسه فيعلم أنه ليس ذلك الرجل المطلوب ولا هو صاحب هذا الفتح.. النوع الثاني من الفتوح الذي هو فتح الحلاوة في الباطن... ومن أشد حلاوة من هذا الفتح مرّ عليّ في هذا الزمان لما تلي عليّ: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾- القلم: 1- فلم أجد لذّة أعظم من لذّة: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ - القلم: 4- فهذه أعظم بشرى وردت عليّ ثم إنه تليت عليّ مرّتين في زمانين متتابعين فزادني إعجابا بها تكرار التلاوة عليّ بها وتكرار التلاوة فينا مثل تكرار نزول الآية أو السورة على الرسول مرتين كما جاء في نزول سورة المرسلات وغيرها... وفتح الحلاوة في الباطن هو سبب جذب الحق بأعطافه وإن كانت معنوية فإن أثرها عند صاحبها يحسّ به كما يحسّ ببرد الماء البارد... وطريقها في الحس من الدماغ ينزل إلى محل الطعم فيجدها ذوقا مع استرخاء في الأعضاء والمفاصل وخدر في الجوارح لقوة اللذة واستفراغا لطاقته... فوقتا نزلت علينا في قضية فدامت معنا ساعة ثم ارتفعت ثم نزلت في واقعة أخرى فدامت أياما ليلا ونهارا... وهذه الحلاوة لا يمكن أن يشبهها لذة من اللذات المحسوسة لكونها معنوية كما لا تشبه حلاوة حصول العلوم المعشوقة بل هي أعلى وأجل وأثرها في الحس أعظم.]انتهى.

ومن أمثلة المعاناة القرآنية عند الشيخ ما ذكره في بداية منزل (القارعة) - الباب (283)- / وبداية منزل (المزمل): الباب (311) / - وأواخر منزل (القمر): الباب (330)/ وبداية منزل (ص): الباب 346 / وأوائل منزل (البقرة): الباب 382 / والآية 24 من التوبة في الباب (516) والآية (6) من يونس في الباب (531) /

والآية الأولى من (ن) في الباب (534)/ والآية (188) من آل عمران في الباب (554) / وغيرها كثير... وفي كتاب (المشاهد) هذا نجد وصفا لعدّة مشاهد تتجسد فيها مثاليا معاني بعض الآيات القرآنية.

وصل:

في هذا الكتاب تستعمل أحيانا أعداد الحروف بحساب الجمل المعروف الذي له عند الشيخ محيي الدين أهمية عميقة[1]. ويختلف حساب المغاربة عن حساب المشارقة في أعداد ستة حروف هي: (س، ص، ش، ض، ظ، غ). وفي ما يلي أعداد الحروف بالحساب الكبير، وما بين قوسين عدد الحرف بالحساب المغربي. وأما في الحساب الصغير فتحذف الأصفار من العشرات والميآت والألف فلا تبقى إلا الآحاد، بحيث يكون مثلا نفس العدد واحد للحروف:

ا، ي، ق، غ؛ ونفس العدد 7 للحروف: ز، ع، ذ.

ا=1/ب=2/ج=3/د=4/هـ=5/و=6/ز=7/ح=8/ط=9/ ي=10/ك=20/ل=30 /م=40/ن=50/س=60 (300)ع=70/ف=80/ص=90(60) ق=100/ر=200/ش=300 (1000)/ ت=400/ث=500/خ=600/ذ=700/ض=800 (90)/ظ=900 (800)غ=1000(900)

(1) حول هذه الأهمية ينظر في الفتوحات الأبواب: 2/ 109/26 (II ص 193) / 131 (II ص 215) / 198 (IIص 440)/ 73: أجوبته على أسئلة الترمذي 39- 40-41- 42/ 559 (IVص 220) حضرة الفتاح. وينظر أيضا في كتابنا «المفاتيح الوجودية والقرآنية لكتاب فصوص الحكم لابن العربي» في قسمه الأول: فصل أهمية علم أسرار الحروف والأعداد عند الشيخ الأكبر- ص 33. 38.

القسم الثاني/

مقدمة الشيخ محيي الدين ابن العربي لكتاب المشاهد

- رسالته لأصحاب الشيخ عبد العزيز المهدوي التونسي.
- فصل في تأييد المكاشفات والمشاهدات بالنصوص الشرعية.
- فصل: وجوه القلب الثمانية، وما يناسبها من الحضرات.

رسالة الشيخ محيي الدين ابن العربي إلى أصحاب الشيخ عبد العزيز المهدوي التونسي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

قال العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد بن علي بن العربي الحاتمي الطائي، عفى الله عنه: كتبت بهذه الرسالة إلى صحب الشيخ الفاضل العارف أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر، القرشي، المهدوي[1]، رضي الله عنهم، عند رجوعي من عنده من تونس، أمنها الله، سنة تسعين وخمسمائة؛ كتبت بها إليهم عامة، ولابن العم الشيخ الصالح أبي الحسين علي بن عبد الله بن محمد ابن العربي خاصّة، ليطرز بها ميعاد تدريسه، ويجعلها روحا لربيع القول ونفيسه، رضي الله عنه، فأقدم ما ينبغي أن يقدم، وبه أختم وأتمم:

الحمد لله رب العالمين حمد إنية، لا حمد هوية، حمداً منزها عن النماء،

1- توفي سنة 621 هـ (1224م) وهو من كبار خلفاء الشيخ أبي مدين (ت: 589 هـ) في التربية الروحية. له كثير من التلاميذ منهم أبو سعيد الباجي (ت 628 هـ) وقبره مشهور بمرسي جراح بتونس. زاره الشيخ الأكبر سنة 590، ثم بقي معه نحو 9 أشهر عند انتقاله من المغرب إلى المشرق سنة 598 هـ وإليه أهدى كتابه " روح القدس" وكتب في مناقبه تأليفا عنوانه: " فضائل الشيخ عبد العزيز المهدوي"، وإليه يتوجه في خطبته " الفتوحات المكية" واصفا له بـ«العاقل الأديب الولي الحبيب». انظر السفر الأول من الفتوحات تحقيق عثمان يحيى، الفقرات: 37-45. وملحق أعلام هذا السفر ص: 505 (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972). ينظر حول المهدوي أيضا كتاب " أنس الفقير" لابن قنفد (ص 97- 98) وكتاب " الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي" لمحمد البهلي النبال (ص 218. 222) تونس 1965.

موجودا قبل الماء، متعليا عن الصفات والأسماء، يكون قدوة لجميع المحامد المتفق عليها، والمختلف فيها، ومادة لألفاظها ومعانيها، والصلاة على حقيقة المحقق، والمثبت الممحق، صلاة تتحد بالإليّة، على صاحب الحضائر القدسية، محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وشرف وكرم.

أما بعد، أصلح الله سرائركم، وصفى من كدرات الشرك ضمائركم، ووفق ظواهركم للإسلام، وزين بواطنكم بالإيمان الوافر التام، وجلى خواطركم بالأسرار السنية الواردة من عين الحقيقة على أفئدة أهل الإلهام، فإني أمرت ممن إليه آنفا أشير.

وذلك أن الله، جلّت قدرته، وعظمت منّته، وعمّت البر والفاجر نعمته، لما حجبني عن تفصيلي، ونزهني عن تجميلي، أدخلني حضرات جمّة، على قدر ارتقاء الهمّة، حتى انتهيت وما انتهيت، ورأيت وما رأيت، وأتاني في حضرة الهوية الخطاب، بإبراز هذا الكتاب، وإخراجه إلى العالم المحسوس، وتعريفهم بإنزاله من حضرة التقديس، على الجوهر النفيس ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ ﴾ -الواقعة الآية 79 - من التخييل والتلبيس، وقيل لي: خذه بقوّة، وأخبر كل من تراه وحققه، وأمعن النظر فيه ودققه، إن وقف مع الأضداد في ظاهره كان له ران على قلبه لا يفتح له باب، ولا يبدو لسرّه لباب. ولا ينبغي أن يقف عليه إلاَّ الوارثون، لا العارفون ولا الواقفون. إذ المعرفة حيرة، ويثبت الواقف غيره.

فإن قيل لك: كل خطاب حجاب. وهذا خطاب فهو حجاب وأنت تدعي أن لا حجاب. فلتقل: لا تسع العبارة أكثر من هذا المقام، وإلاَّ لو تركنا وحدنا لما تصوّر خطاب ولا مراجعة. فلما اضطررنا إلى التوصيل، فتحنا باب التفصيل. قال الله، عزّ وجل ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ ﴾ - سورة الدخان الآية 4 - وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ﴾ - سورة الإخلاص الآية 1-.

فإن قيل: ولعلك جريت على أسلوب من تقدموا، وعمّا أودعوا في كتبهم

وترجموا، قيل عند ذلك: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾- سورة يس الآية 39 -. وهو كمال الوجود، وإن اختلفت العبارات، وزاد آخرون اثني عشر اسما. ليس مسمياتها سوى هذه الثمانية والعشرين، ثم قيل له: أما لك نظر في (...) ما أنت إلاّ ممّن قال أساطير الأوّلين.

أما رأيت التوراة والإنجيل، والصحف والتنزيل. أما كان يكفي كتاب واحد من أولئك، فكذلك إلهامه، سبحانه، لأوليائه. وقد يفتح لشخص ما غير ما يفتح لشخص آخر. بل لا يتصور إلاّ هذا. لكن بعض الفتوح أكمل من بعض، وإلاّ لو كان لكل واحد من سالكي طريق الله، تعالى، الواصلين لعين الحقيقة فتح يخصّه، ويستحيل أن يتّصل به الآخر، لما فهم بعضهم بعضا، ولقام الجاهل وساق كلاما سفسافا، وقال: هذا فتح من الله، ولا ينكر عليه، إذ لا برهان إلى ذوق، ولا دليل على فتح. فللمدعي أن يدّعي وليس الأمر كذلك.

فإن قيل لك: كيف هذا يقدّم، ولا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت تدّعي خطابا وكتابا منزلا، فادعيت النبوّة بلسان الحال، وهذا يفتح من لسان القال، فقل له: إن كان انقطع جبريل، عليه السلام، فما انقطع عن صدور الأولياء الإلهام. وقد أودعنا للرد على هذا الاعتراض والكيفية لحصول هذه العلوم فصلا في آخر الكتاب. ولنمهد هنا طرفا يقع التأنيس به لما يرد في داخل الكتاب من غوامض الأسرار، ولباب التوحيد مهاد.

نعم، فالحق سبحانه وتعالى، لما زال ولا يزال، يلهم أولياءه أسراره، ويطلع في سماء قلوبهم شموس علمه وأقماره. فموارده على قلوبهم ليس لها حد ولا نهاية. بحور ليس لها سواحل، يستمد منها المخصب والماحل، وتستصحب القاطن والراحل.

أوقفني من أوقف كل وارث وعارف، وأمدني بالأسرار الإلهية في المشاهد والمواقف، وأثبتني في ديوان الكشف والظهور، وجعلني أتردّد بين سدرة المنتهى والبيت المعمور، إذ هي درجة الصديقية، الجارية على أسلوب الآثار النبوية. قال:

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[1] وإنما يرث الرجل أقرب الناس إليه رحما ونسبا، فلما كان العلماء أقرب نسبا إلى الأنبياء، عليهم السلام، ورثوهم فعلا وحالا وقولا وعلما، ظاهرا وباطنا، وكفى بورثة النبيين شرفا ورفعة في الدجات العلى، والطريقة المثلى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ - المجادلة الآية 11-. وهم الناظرون بعين العقل في تفاصيل النقل ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ - العنكبوت الآية 43-. ومن أحوالهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ - فاطر الآية 28-. وأي شرف وأيّ عناية أبلغ من عناية من أثنى الله تعالى عليه، أزلا وأبدا، فله الحمد على هذه العناية.

مسألة: اعلم وفقك الله تعالى، أنّ هذه المسألة التي أذكرها هي السبب الذي حرك دواعينا إلى إبراز هذا الكتاب إلى الوجود الحسّي، إسعافا لبعض من تعيّن علينا إسعافه، لما تمادت زعلته، وكثر إلحاحه وطلبه، ورأيناه لذلك أهلا فأجبناه إلى ما سأل، وأسعفناه فيما طلب.

قال العبد: سألني الأخ الولي الصفي ابن العم أبو الحسن علي بن عبد الله بن العربي، بمحرس المنارة الميمون بقرطاجنة، شرقي تونس، أمنها الله، وكان قد سمع من شيخه أبي محمد بن عبد العزيز بن أبي بكر القرشي، المهدوي، نفعنا الله برؤيته، وأعاننا على مبرّته، وكان محققا في شأنه، أنه قال (..) الله بركته: «**علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم**» وتركها مهملة ومر في كلامه، وأرسل عنان خطابه.

---

(1) هو طرف من حديث أخرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي، كل منهم في سننه، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، وساقه البخاري في صحيحه في كتاب العلم بلفظ (إن العلماء هم ورثة الأنبياء). وقد ورد بلفظ: "علماء أمتي كأنبياء سائر الأمم" وفي رواية: "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"، ينظر " كشف الخفاء" للعجلوني حديث رقم 1742، طبعة دار الكتاب العلمية - بيروت -.

قال العبد: فقلت له: صدق، رضي الله عنه، فيما قال. أشار بذلك في العلم والهداية للخلق والإرشاد للصراط المستقيم، وإمساك العلم على الجمهور حذرا من الضلال باستيلاء الجهل عليهم، ولو ترك العلم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، ضل الناس، ولم يبق من يحرز ما أوجب الله عليهم من وظائف التكليف من تحليل وتحريم، ومباح ومكروه، ووجوب وندب، إلى مثل هذا النمط الأول. والعلم الثاني حرزهم على عالم الجبروت، وهو العالم الأوسط، عالم الإيمان، وذلك العلم يتعلق بالصفات الموصلة إلى النجاة، مثل الزهد والورع والتوكل والصبر والخوف والرجاء وما أشبه ذلك، وهذا هو النمط الثاني. والعلم الثالث حرزهم على عالم الملكوت، وهو العالم الأعلى، عالم الأرواح والإحسان، وذلك العلم يتعلق بصفات الحق، جل جلاله، من الجلال والهيبة والجمال والعظمة والكبرياء وما أشبه ذلك من صفات الجلال، وفي هذا المقام - أعني في ابتدائه - يتصف الإنسان بالأوصاف التي ذكرها الصوفية من الصحو السكر والذوق والمحق، ومحق المحق، وفناء العين. وأنا أقول بالبقاء، ولا أقول بالفناء إلا في مقام ما، وعلى وجه ما، وهذا هو النمط الثالث، وليس وراءه مقام، ولا مرمى، إلاّ مقام ما لا يقال، وهو في سورة الأحزاب، عند ذكر مسكن الصفات المحمدية، هنالك نبّه الله تعالى عليه[1]. وهذا كله وراء طور العقل، إذ هو صادر عن الموجود المطلق، إذ هو شيء لا يتصور في هذا الطريق الشريف- أعني الخلاف - وقد أشرت في نظم إلى البقاء، وظهور اللفظ يعطي الفناء، لحال غلب عليّ البقاء، فنطق غيري، وهو:

لا عـين تبقـى مـع الأعلـى ولا أثـرا ولا لـسانا ولا سـمعا ولا بـصرا

---

(1) يشير إلى الآية 13 من سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ ﴾. وفي العديد من المواقع في الفتوحات تكلم الشيخ على الانعتاق من الانحصار في مقام مقيّد، وأن الجامع للمقامات ما له مقام يقتضيه، وخصص لهذا المعنى الباب 420 في معرفة منازلة التخلص من المقامات. وقد خصّص أبواب الفصلين الثاني والثالث من الفتوحات للتعريف بأحوال الطريق ومقاماته وتركها.

فغب عن الكل تبقى واحدا صمدا — لا غيــر موجــود إلا ربــا مقــتدرا
واضرب على سر سر السر قفل حجى — وانظر واعرض واصرف نحوك القدرا
وكــنه علمــا، ونــزه أن يكــون لــه — عكس الذي قال من قد سار أو عبرا
قالــوا نكــنه فقلــنا بــل يكــونكم — فلــم يــرى أزلــي مــازج البــشرا
هــيهات هــيهات لا كــل فأطلــبه — ولا وحقــي جــزء فــي العــلا ظهــرا
مــن العبــيد مــن المولــى إذا نظــرت — حقــيقة الحــق مــنك الــسر والــصورا
مــن عابــد مــنك مــن معــبوده فلقــد — جهلــت فــامعن لــدى أسـرارنا النظــرا
لا علــم لا عــين لا إحــساس يدركــنا — لا عقــل لا جمــع لا تفــريق لا غيــرا

فالعلوم محصورة بإحصار المعلومات في ثلاث: إما علم يتعلق بحضرة الدنيا وأسبابها وما يصلح فيها، وإما علم يتعلق بالآخرة، وإما علم يتعلق بالحق، علم ذوق وشرب. والأنبياء عليهم السلام هم الذين جمعوا هذه العلوم، والعلماء الذين هم ورثة لهم. وما عدا هذين الصنفين فإنما يعلق بالبعض.

تتميم: قال العبد: ثم تقول: إن كان فُقد شخص النبي عليه السلام ورؤيته فما فقدت شريعته وسنته، بل أودعها الله تعالى خزائن صدور العلماء الورثة، فإذا قرع السائل بسؤاله تلك الخزائن انفتحت أبوابها، وهي ألسنة العلماء، فأخرجوا له ما يحتاج إليه، لا يزيدونه على ما يحمله عقله شيئا، اقتداءً بالنبي، صلى الله عليه وسلم حيث قال، «**خاطبوا الناس على قدر عقولهم** [1]». فمن ثم قال هنا الشيخ عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه: «علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم» وأما في درجة النبوّة فلا، إذ النبي عليه السلام قال: «لا نبي بعدي»[2]. وأجمع المتصوفة، أهل الحقائق،

(1) في صحيح البخاري عن علي - عليه السلام - [حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله.] وأورده العجلوني في " كشف الخفاء" حديث رقم (607)، ولفظه كما في الأحاديث والمراسيل (4/ 210)(حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله) عن علي مرفوعا وهو في البخاري موقوف.

(2) تنظر الأحاديث الخاصة بختمية نبوته صلى الله عليه وسلم في كتاب" الشريعة " للآجري =

وشيخنا صاحب مسألتنا، معهم، أن آخر قدم يضعه الولي هو أول قدم يضعه النبي عليه السلام فبدايات الأنبياء نهايات الصديقين والأولياء.

وفيه أيضا سر لطيف لا يمكن كشفه لقلة احتمال الخلق له، وقصور العقول المحجوبة بالأكوان عن إدراكه وقد نبّه عليه شيخ الشيوخ سهل بن عبد الله التستري في قوله: «إن لكذا سر لو ظهر لبطل كذا» [1] فوكلناك إلى نفسك، ونبهنا عليه لترتفع همتك إلى طلبه، ويفتح لك من نفسه فيه، فتعرف لذّة ذوق الأسرار، ويؤيدك لذلك رغبة فيها.

وبعد هذا فإشارة الشيخ المؤيد بنور الله، أبي محمد عبد العزيز، ألطف وأخفى من أن أعثر عليها، أو أعبر عنها أو أشير إليها، مع أن الذي ظهر لي فيها بمنّ الله تعالى لو كشفته لرأيت مقاما وراء طور العقل، لكن إذا قرنته بالذي أشار إليه شيخنا وجدته كالقشر الأخضر الذي على الجوز، ووجدت الذي أراده الشيخ كالسر الذي في دهن لب الجوز، فانظر ما بيني وبينه من مهامه تنقطع فيها رقاب المنقطعين السالكين، فالحمد لله الذي وهب لشيخنا سر الوجود من خزائن الجود.

دقيقة: قال العبد: ثم لتعلم أيها السائل أن لفظ النبي ورد فيه عن العرب لغتان: الهمز وبنيته، فقيل: تأتي في كلام العرب على سبعة معان، والذي نحتاج إليه

=

(457-456).

(1) سهل بن عبد الله التستري من أكبر أئمة التصوف في القرن الثالث الهجري. توفي عام 283 هـ. وقوله: «إن لكذا سر لو ظهر لبطل كذا» يشير إلى قوله: «إن للألوهية سرّ لو ظهر لبطلت الألوهية» وفي رواية أخرى: «إن للربوبية سر لو ظهر لبطلت الربوبية» وفي أخرى: «إن للربوبية سر لو ظهر لبطل العلم، وإن للعلم سر لو ظهر لبطلت النبوة، وإن للنبوة سر لو ظهر لبطلت الأحكام» وفي رواية أخرى "إن للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة، وإن للنبوة سر لو ظهر لبطل العلم، وإن للعلم سر لو ظهر لبطلت الأحكام» وقد شرح الشيخ الأكبر هذا القول في مواقع عديدة من الفتوحات (ج 1 ص: 42/ ج 2 ص: 154- 462 - 479- 551) وينظر أيضا الفص السابع من فصوص الحكم، ومنزل الميراث الأنبيائي من مواقع النجوم.

من ذلك ما أتى بمعنى فاعل، مثل عليم وقدير وكريم، وما أتى بمعنى المفعول مثل قتيل وجريح، فنقول: من همز جعله من النبأ، وهو الخبر، وكذلك الأنبياء أخبروا وأُخبروا، وهذا شائع في الولاية، إذ الولي يخبر بالإلهام، ويخبر غيره، لكن لا على تحديد شريعة، ونسخ أخرى، فمن هنا وقع الشبه. غير أن اللفظ مقصور مخافة الارتباك، ولهذا قال الشيخ «أنبياء» ولم يقل «رسل»، فجاء باللفظ العام، فساغ التأويل، فإذا فهم المعنى فلا مشاحة في الألفاظ.

ومن لم يهمز، جعله من النبوة وهي الرفعة، وهي تكون للعلماء والأنبياء، قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾ - سورة المجادلة الآية 11-.

قال العبد: ثم نرجع فنقول: وما بنية الكلمة؟ فنأخذ اسم الفاعل منها، ونجعله خاصا للمرسل، إذ ليس كل نبي مرسلا، وإن كان فيه حظ وافر لغير المرسل والولي الوارث. لكن نقتصر به على المرسل اصطلاحا وشرعا. وأما الذي بمعنى اسم المفعول سواء أيضا همز أم لم يهمز، فهو الذي منه للوارث قسط عظيم، وحظ جسيم، وهو مقام النبي غير المرسل. لكن الفرق بينهما أن إخبار الله سبحانه وتعالى لأحدهما بواسطة الملك، والآخر بالإلهام، وهو صفاء المحل لإدراك الصور وكل ملك. لكن العقول قاصرة، والنفوس قد جمدت على التقليد. ألم تر إلى قول الخضر ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ - سورة الكهف الآية 82 - وهو مع موسى عليه السلام وقال له: ﴿ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾- سورة الكهف الآية 67 - 68 - فلو كانا في مقام واحد لما قال له ﴿ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ ومن حصل في مقام، فلا شك أنه قد أحاط به، فلما اختلف المقام لم يتعدّ كل واحد منهما مقامه، وقد تساويا في الإنكار. ولولا قطع البلعوم لأظهرت هنا سرا يهتزّ له العرش وما حواه، لكن في هذا تنبيه وغنية.

تكملة: قال العبد: استشراف الأولياء على الأسرار على قدر مقاماتهم التي

وهبهم واهب العقل سبحانه، فاستشرف بهم، وهي العناية الكبرى، على حبائل الشيطان ومصائده، ومكايد النفس ومخادعها، ونظروا إلى سلطان الهوى كيف يتصرف في الخلق بأعوان الشهوات وأجناد الأماني، وهم برحمة الله تعالى، وقديم القَدَم قد عصموا باطلاعهم على ذلك. وشهودهم له عصمة علم لا عصمة حال. فكذلك علماء هذه الأمة، وهم المتبعون والقدوة، وأوّلهم الصحابة، رضوان الله عليهم، ثم التابعون، وتابعوا التابعين إلى هلم جرا ممن جرى على مهيعهم، وسلك طريقتهم المثلى، ورغب في الرفيق الأعلى، مثل أبي بكر الذي فضل غيره بالسر الذي وقر في صدره[1]، وعمر أن جعل من المحدثين [2]، وسماع سارية لما دعا عمر من مكاشفات بدايات القوم، وهل هو إلاَّ أمر إلهي، وسر رباني وخرق عادة في الأجسام، إذ كان بينهما مسيرة أيام، فما عسى أن يبلغ الصوت في حق العادة. لكن من كوشف على عالم الأرواح ورأى اتصالها ونسبة بعضها من بعض، وأن ما بينها افتراق، ولا في حقها زمان، سهل عليه مثل هذا، ولم يعسر عليه مخرجه، وللإنسان في نفسه أوضح دليل:

فإنك تجول بسرك المودع فيك أسرع من لمح البصر، بل في الزمان الفرد، مشارق الأرض ومغاربها، وتخترق العالم بتلك القوّة، فلو كانت من قبيل الأجرام أو قطع المسافات لأدركها النصب، قال عليه السلام: «**زويت لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ أبدال أمتي ما زوى لي منها**»[3] وهنا كنز أقمنا عليه

---

(1) يشير إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما فاتكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا بقيام وإنما فاتكم بشيء وقر في صدره)- رواه الحكيم الترمذي في " نوادر الأصول" (1 / 88) وغيره.

(2) يشير للحديث (قد كان في الأمم محدَّثون فإن يك في أمتي فعمر بن الخطاب) رواه الحكيم الترمذي في "ختم الأولياء" كما روى الحديث (كان في الأمم قوم يتكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يك في أمتي فعمر منهم) وروى البخاري ومسلم وغيرهما قوله صلى الله عليه وسلم: [إن الحق لينطق على لسان عمر].

(3) حديث (زويت له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها.)أخرجه مسلم من حديث فاطمة وعائشة. انظر تخريج أحاديث الإحياء للعراقي على هامش الإحياء (1/ 386 تعليق رقم 5).

جداره، حتى يبلغ اليتيمان أشدهما، فابحث عليه في نفسك. فعالم الملكوت ليس مثل عالم الشهادة. وكذلك المنام، ترى نفسك في أعلى عليين وتارة بالمشرق ثم بالمغرب، وأنت في شبر من الأرض في مضجعك، ففضلت هذه الطائفة غيرها في أن الذي يدركه الإنسان في النوم يدركونه في اليقظة، وذلك أن الواحد أنزل تلك القوة المدركة في مكانها إلى العالم الأدنى فانحجبت عن أصحابها بذلك، فإذا نام ذلك المحل ارتفعت إلى موضعها، لكن ارتقاء معتلا، وقد نبهنا على منشأ الاعتلال في كتابنا المترجم بـ" التدبيرات الإلهية ". والصنف الآخر لم ينزلوا تلك القوة من مقامها بل ألقوها في عالمها، فهي تشاهد عالمها سواء نام الجسم أو لم ينم. فمن هنا أدرك هؤلاء في اليقظة، وهو الإدراك الكلي، ما أدرك غيرهم في المنام الصحيح. وهذا مقام الأبدال المشهور ذكرهم، وذلك لما صارت أبدانهم بالغة لأرواحهم زويت لهم الأرض، وهم صنفان: محمول وغير محمول. فإن كل شيء إذا كان له الحكم رد المحكوم إلى طبعه وإن كان ضده، فإن القهر أشد في الحال من الطبع. فالشيء إذا ترك وطبعه جرى إلى مركزه، فإن الحجر إذا رميت به علوا فإن القهرية حتمت عليه وقهرته، فلما زالت عنه في الهواء بقي طبعه، فطلب مركزه فنزل إلى الأرض، فصعوده في الهواء بغيره، ونزوله إلى الأرض بنفسه، وكذلك النار، وفي نزول جبريل، وإسراء رسول الله، عليهما السلام، يتضح ما أردناه، وكل قد رجع إلى عنصره بطبعه.

والعلماء بالله تعالى الذين أشار إليهم شيخنا - أما في مسألتنا فلا تزوى لهم الأرض، ولا تقرب لهم مسافة إلا في بدايتهم، إن كانت تجمع الطرفين خاصة، وفي ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ - سورة الإسراء آية 1 - سرّ ما أشرنا إليه أبدا، فإنّ العلّة بينة. فإذا انتهوا ولا نهاية، استوطنوا واستقروا ولم يجولوا جولان الأبدال، وتصرّفت ظواهرهم على مجرى العادة، لأن الهمة وقفت مع من لا يجوز عليه التحرك والانتقال، فحظهم من الحركة في طول أعمارهم حظ الحق من النزول في الثلث الباقي من الليل. فهؤلاء مع المعنى، وأولئك مع الحرف الذي حاله (...)

قال العبد: والعلماء على ضربين عند الوصول: منهم من رجع ومنهم من لم يرجع، ومنهم من اختير له المقام. فمن لم يرجع اصطلحنا على تسميته واقفا، ومن رجع انقسم على ضربين: رجوع خصوص، ورجوع عموم. فالخاص سميناه عارفا، والعام سميناه عالما ووارثا، وهو صاحب المقام.

وهذا موضع غلط لكثير من المتصوفة لفظا، فيسمون الواصل عارفا، ويسمون صاحب علم الأحكام عالما، ويقولون: العارف فوق العالم. واستشهدوا بكلام أبي يزيد البسطامي على ما قالوه، واتخذوه دليلا، ولا دليل لهم فيه. وهو قوله، رضي الله عنه: «العارف فوق ما يقول، والعالم تحت ما يقول».

والذي أقوله وذهب إليه أبو محمد عبد العزيز المهدوي، أن يقال: عارف بين عالمين: عالم بالأحكام، وعالم بالله تعالى، لأن تعلق المعرفة إنما هي بالنفس، ومحل هذه المعرفة حضرة الربوبية. وفي هذا المقام يقال للعارف: رباني. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من عرف نفسه عرف ربه**[1]»فلما كان حظ العارف مع نفسه فوق ما يقول، إذ هو قد ارتقى عن مقام نفسه وهو الذي أراد أبو يزيد، ولما كان العالم بالله لا ينطق إلا له، لا به، كان تحت ما يقول، إذ العالم تحت الحضرة الإلهية، وكل موجود، وهو الذي أراد أبو يزيد بقوله «تحت ما يقول»، لا ما ظنوه.

خرّج الترمذي عن أنس، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**إن الرسالة قدم التحقيق، والنبوة قد انقطعت. فلا رسول بعدي ولا نبي**» قال: فشقّ ذلك على الناس، فقال «**لكن المبشرات**» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**رؤيا المسلم جزء من**

---

(1) الحديث أورده العجلوني في " كشف الخفاء"، رقم 2530، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت. وهذا الحديث ليس بثابت من طريق الرواية، لكنه ثابت كشفا ومعناه صحيح. وفي (أدب الدنيا والدين) للماوردي عن عائشة رضي الله تعالى عنها سئل النبي صلى الله عليه وسلم: (من أعرف الناس بربه؟ قال: أعرفهم بنفسه). وللحافظ السيوطي رسالة عنوانها: "القول الأشبه في الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه ". ينظر هذا الحديث في الفتوحات: ج 1 ص 328 ، 331، 347، 353/ ج 2 ص 298 - 299 / ج 3 ص 536 / ج 4 ص 245.

أجزاء النبوة». قال أبو عيسى: هذا الحديث حسن صحيح.

قال العبد: فانظر، نور الله بصيرتك ما أشدّ تحرّيه في قوله «علماء» ولم يطلق عليهم «أنبياء»، وإن كان قد حصل لهم جزء ما من النبوة، فتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقف عند قوله «العلماء ورثة الأنبياء» فإن الشيخ رضي الله عنه لما رأى أن الصوفية يقع الشبه بينهم وبين الأنبياء من وجهين: من جهة المقام، ومن جهة العلم، قال: «علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم» - أراد مثل الأنبياء غير المرسلين. وهذا شائع في كلام العربي. فإن العرب تشبه الشيء بالشيء من جهة ما، وإن خالفه من باقي الوجوه نقول: زيد الأسد قوة، وزيد زهير شعرا، لكن المشبه بالشيء لا يقوى قوة المشبه به. فإذا وصفنا زيدا لم نصفه بالأسد ولا بزهير، إنما نقول: زيد الشديد، وزيد الحسن الشعر، لأن الشبه إنما وقع بالشدّة وبالشعر، ولو سميناه باسم واحد منهما لم نغلط، لكن بقرينة وتقييد.

كذلك إذا قلنا الصوفي النبي علما، فالصفة التي وقع بها الشبه العلم، وإن لم يكن يقاومه فيه كما تقدم شرعا، فإن اللفظ يلقي في نفس السامع شيئا ما كما نتجوز في اصطلاحنا أن نقول في الزاهد أو الورع والمتوكل: صوفي، لأن الصوفي عندنا عبارة عمن جمع هذه المقامات كلها، مع كشف إلهي، وسر رباني، وتخلق سماوي. فصاحب السر هو الصوفي، فإذا كنا نتحرى هذا القدر في مقام الولاية، فأحرى وأجدر أن نتحرى ذلك في مقام النبوة.

فمنزلة الصوفي من النبي منزلة الزاهد من الصوفي، حسنات الأبرار سيئات المقربين. فنهايات الصادِقِين بدايات الصوفية. ونهايات الصوفية بدايات الأنبياء. ونهايات الأنبياء بدايات الرسل. ونهايات الرسل أول صفات الحضرة الإلهية. فهذا وجه الشبه من العلم.

وأما الشبه من جهة المقام، فإن النبي المهمل تابع للرسول وعلى شريعته، لكن على غاية الاتباع. كذلك الصوفي متبع أيضا حالا وقولا وعملا، برهان ذلك أن هارون ويوشع كانا متبعين لموسى، عليه السلام، وكذلك إسماعيل وإسحاق مع

إبراهيم، عليهما السلام، مع كونهم أنبياء، ولم يكونوا أصحاب شريعة. كذلك علماء هذه الأمة، وهم القدوة، وهم الأمناء، وخلفاء الرسول، على أمته من بعده، كهارون على قوم موسى. والفرق بين المقامين قد تقدم.

إشارة وإفادة: كان شيخ الشيوخ، سلطان الوارثين، سر العارفين، لسان وقته أبو مدين رضي الله عنه، وكان الشيخ جمال الحفاظ، رئيس العلماء، عماد الرواة الأثبات، رأس الزاهدين المحدثين، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي[1]، الخطيب المؤلف قد واخاه ببجاية، وأقر له بالسبق في طريق الحق، وإرشاد الخلق. فكان الشيخ أبو محمد إذا دخل على سيدنا أبي مدين، ويرى ما أيده الله به ظاهرا وباطنا، كان يجد في نفسه حالة سنية لم يكن يجدها قبل حضور مجلسه، فيقول عند ذلك: «هذا وارث على الحقيقة، فقد قال النبي عليه السلام: لو كنتم في أهليكم كما كنتم عندي لصافحتكم الملائكة في الطرق، أو كما قال عليه السلام، مما هذا معناه»، فلشهود النبي عليه السلام في نفس المشاهد حالة ما، لا يجدها إلا عند مشاهدته. كذلك الأولياء عند مشاهدة الغير لهم. هذا ضروري يجده كل من جالسهم وشاهدهم.

مسألة: وكان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه يقول: «من علامات صدق المريد في بدء إرادته فراره عن الخلق. ومن علامات فراره عن الخلق وجوده للحق. ومن علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق».

فانظر وفقك الله، هذا النور الإلهي والكشف الذوقي. فنقول: هذه المقامات

---

(1) ولد سنة 510هـ وتوفي سنة 582هـ. تنظر ترجمته في "عنوان الدراية" لأحمد الغبريني - الطبعة الثانية - الجزائر 1970- ص 73-75. ونص الحديث الذي سيذكره لاحقا هو: «لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة». وروى أبو يعلى في مسنده عن أنس: (لو أنكم إذا خرجتم من عندي تكونون على الحال الذي تكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكة بطرق المدينة). وقريب منه ما رواه أحمد في مسنده والترمذي عن أبي هريرة وفيه: (. لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم).

صحاح بينة، لكن المقام الثالث فيه نظر. وهو قوله: «ومن علامات صدق وجوده رجوعه» تكلم الشيخ بلسان حاله، ونطق معربا عن صورة مقامه، وهو الكمال في مقام الوراثة، ودونه أن يصل ولا يرجع، كما تقدم. وربما هنا لبعض المشايخ كلام، وهو أبو سليمان الداراني[1]، فقال: «لو وصلوا ما رجعوا» فيظن الظان أن بين كلام الشيخين تناقضا ومعارضة، وهي مزلة قدم، فالله الله! حافظ على نفسك، واعلم أن كل واحد منهما أطلق لفظ الرجوع على معنى بخلاف المعنى الذي أطلقه الآخر، فلا يصحّ الخلاف حتى يقع التوارد على شيء واحد.

فأما ما أراده أبو سليمان فليس هذا موضعه. وأما الذي أراده شيخنا أبو مدين، رضي الله عنه، فهو المقام الذي أشار إليه شيخنا أبو محمد عبد العزيز في المسألة المتقدمة، ونعما ما قاله الشيخ أبو مدين، وعلى طريق النبوة سلك، ومن نورها اقتبس، وفي بردتها التحف، ومن زهرتها اجتنى واقتطف، وذلك أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، اعتزل في أول نشوئه المبارك، ومبدئه الميمون ونظره النبوي المسدد المعصوم بغار حراء، للتحنث به. قالت عائشة، رضي الله عنها: «ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء للتحنث فيه» أي يتعبد فهذه إشارة الشيخ بقوله: «من علامات صدق المريد في بدء إرادته فراره عن الخلق» جريا على هذا الأسلوب، واقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ - سورة الأحزاب الآية 21 - وقد أجمع المحققون قاطبة من المتصوفة، واتفقوا على أن العزلة في البدايات واجبة بالجسم إلا عن الشيخ الذي يرشده، فلم يزل النبي عليه السلام، على ذلك حتى فاجأه الحق، فهذا قول الشيخ «من علامات صدق المريد فراره عن الخلق، ووجوده للحق» ووجودهم لا كوجود الأنبياء، فإن

(1) من أئمة التصوف في أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الهجري، توفي سنة 215 هـ. وقد شرح الشيخ الأكبر قوله: «لو وصلوا ما رجعوا» في كتابه "مواقع النجوم" وفي الفتوحات (ج 1 ص 251).

هذا وجود نبوة. فإياك أن تتوهم من هنا مثل من توهم من كيمياء السعادة[1] فتقول: إن هذا الشيخ يقول باكتساب النبوة. معاذ الله! إنما هذا شرح حقيقة الوراثة الظاهرة، وأما الباطنة فليس هو عشك فادرجي [2] فلن تعدو قدرك، والله، لقد انقطعت دونها رقاب الأنجاد وهي للمرادين لا المريدين، للمقتطعين لا للمنقطعين، ولا تظن أن كلامنا هنا في شرح كلام الشيخين (عبد العزيز المهدوي، وأبي مدين)، إنما هو شرح لفظ ساحر، وأما المتعمق في الأسرار، وما أراداه على الحقيقة الكلية، فلا يفي بذلك الوقت، رضي الله عنهما.

فنرجع ونقول: فلما بلغ النبي، صلى الله عليه وسلم، الأشد، أرسل إلى جميع الخلق، وهذه إشارة الشيخ بقوله «ومن علامات صدق وجوده رجوعه إلى الخلق» جريا على هذا المهيع السني، والطريق النبوي، فاجتمع كلام الشيخين، رضي الله عنهما، وكل له مقام معلوم.

أيها السائل عما يعنيه، شرح الله صدرك. ما أراده شيخنا عبد العزيز، رضي الله عنه بقوله «علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم» على الإيجاز وقدر فهمك، وكيف لا يصدر مثل هذا السر الإلهي والكشف الرباني من صدر مثل ذلك الشيخ الكبير، والعلق الخطير، وهو ممن اقتفى آثار النبي، صلى الله عليه وسلم، وقدح زنده، واستضاء بنوره، واقتدى فاهتدى، فحصل له الشرف الشامخ، والمجد الباذخ، إذ لا يصح شرف المخلوق على الكمال، إلا بطاعة الله واجتناب محارمه. ولذلك قيل: من أراد أن ينتقل من الذل إلى العز، فليتحول من معصية الله إلى طاعته. ألم تر إلى الملوك الذين لهم الشرف الكامل في الدنيا، لم يزالوا على ممر الأعصار والدهور، إلى هلم جرا، يأتون أبواب الصالحين والفقراء، وذلك لما ذكرناه من التملي في

---

(1) خصّص الشيخ لمعرفة كيمياء السعادة بابا نفيسا طويلا في الفتوحات هو الباب 167. ولبعض الفلاسفة تأليف عنوانه " كيمياء السعادة".

(2) يستخدم ابن عربي هذه العبارة كثيرا عندما يشير إلى ما يتحدث عنه من الأسرار المكنونة التي لا يريد البوح بها في موطن ما.

مقام الاقتداء. ولقد قال شيخ الشيوخ أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، [1] رضي الله عنه: «لو رأيتم أحدا يسير في الهواء، ويمشي على الماء، وتطوى له الأرض، وتجري عليه أنواع الكرامات، وقد خالف أدبا من آداب الشريعة، ولو أدنى أدب، فلا تلتفتوا ولا تنظروا إليه، فإنه مستدرج».

حكاية: قال العبد: وجاء رجل فقال له: يا أبا يزيد، في عصرنا هذا رجل يذكر أن عنده سرا من أسرار الله تعالى، فتعال إليه، قال أبو يزيد: نعم. فلما وصلا إلى منزل الرجل الصالح قرعا الباب، فخرج الرجل وسلم عليه فجاءته نخامة فرماها تجاه القبلة، فتركه أبو يزيد وقال لصاحبه: سر بنا عن هذا الرجل، هو لم يحافظ على أدب من آداب الشريعة، ولا حُفظ عليه، كيف يؤمن على سر من أسرار الله تعالى.

قال العبد: فانظر نور الله بصرك كيف صارت مباحات الشريعة كبائر عند هؤلاء فما ظنك بحسناتهم! هيهات! فازوا وخسر المبطلون، وهذا من شأنهم، رضي الله عنهم، استصحاب المراقبة والموافقة في جميع أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم. هذا وإن كان ذلك الرجل لم يكن في مسجد وإنما كان على الطريق لكن أبا يزيد لما رأى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا» [2]، والقبلة موجودة في أيّ موضع كنت في الأرض، والصوفي بما هو صوفي مناج في كل أحواله، بمنزلة العابد في وقت صلاته، فما يلزم المصلي في صلاته من الأدب مع الحق جلّ جلاله ذلك بعينه يلزم للصوفي في جميع أحواله، فإنهم يعملون على حديث عائشة: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يذكر الله على كل أحيانه» وهذا الحديث صحيح أخرجه مسلم، إلا لضرورات وما لا بد منه. لكن الذكر في

(1) البسطامي من أشهر أقطاب التصوف في القرن الثالث، توفي سنة 261 هـ. وقد ألف الشيخ الأكبر كتابا مستقلا في شرح بعض أقواله. وهو أكثر الصوفية ذكرا في الفتوحات المكية. وقوله المذكور هنا شرحه في الفتوحات (ج 2 ص 369).

(2) رواه البخاري وغيره.

المواطن والمناجات بها موجود بالقلب. وسر منعنا كشفه، مخافة النقاد العمي الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا (...) في حق من تعلق بكون من الأكوان. فتخلق الصوفي بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾- سورة المعارج الآية 23 -. فما أشد محافظتهم على قلوبهم مع الله، وهل شغلوا أنفسهم بشيء سوى الله، جل جلاله!

فصل: في ذكر بعض مناقب الشيخ أبي عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي المخاطب بهذه الرسالة، رضي الله عنه، وأرضاه به منه. قال العبد الفقير إلى رحمة ربه: ولو أني أصف لك فيها ما شاهدته وما سمعته عن الثقات لبقيت مبهوتا في عجائب ما يهب الله تعالى لمن يشاء، لكني استخرت الله تعالى على إخراج فضائله ومناقبه في جزء مفرد يكون إماما لمن أراد أن يسلك هذه الطريق، وإني ذاكر في هذا الفصل طرفا مما شاهدته منه، ومن طلبته وتلاميذه يكون دليلا على فضله، إذ العبد من طينة سيده، والتلميذ على مذهب شيخه. والذي دعا إلى ذكرها في هذا الكتاب أن في زماننا من طعن عليه حسدا، وهو لم يشاهده، ومن شاهده وأبت النفس الإنصاف ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ - سورة التوبة الآية 32 - فهو كما قال بعضهم:

عذلـــوا فـــي الحـــب أنفـــسهم حـــسدا مـــن عـــند أنفـــسهم

فمن ذلك أني شاهدت منهم أمرا غريبا ما رأيته قط إلا عنده، وما سمعت به إلا حكاية عن السلف، وهو مما يدل على متابعته للسنة وذلك أنه فاتتني صلاة العصر في الجماعة فدخلت منزله، فصليت فردا، فلما أكملت صلاتي، ما بقي أحد من طلبته إلا عزاني وصافحني، ودعا لي بخير التخلف، وقوى صبري، فلم أميز والله نفسي، وظننت أني قد خرجت عن زماني، وبقيت متعجبا أن يكون في مثل هذا الزمان على ركاكة أهله وخساسة أهله مثل هؤلاء، وذكرت قول حاتم الأصم[1]،

(1) هو أبو عبد الرحمن حاتم الأصم من قدماء كبار مشائخ خرسان. مات مرابطا سنة 237 هـ =

حيث قال: «فاتتني الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة الآف»، فحمدت الله الذي شاهدت في زماننا على خسّته قوما هم على ما كان عليه السلف، وعملوا على قوله صلى الله عليه وسلم: «من فاته العصر في جماعة، فكانما وتر أهله وماله»[1] وذلك فيه العزاء، فأولى في فوت ثواب لا يفنى. فبمثل هؤلاء ينبغي أن يقتدى، وبأنوار هؤلاء المصابيح تقطع ظلمات الغفلة ويهتدى، ألحقنا الله بهم، وفيهم أقول:

بنفسي أحباب تواصوا بكل ما — تواصى به أهل الحقيقة والسرّ
تواصوا بذكر الله في كل لحظة — فأفناهم المذكور عن حضرة الذكر
فلما فنوا عن كل ما هو كائن — ولم يأنسوا شيئا سوى ليلة القدر
تبدل جمع القوم وترا مقدسا — فصار خطاب الوتر يسري إلى الوتر

ومن أحوالهم، رضي الله عنهم، الموروثة عن ذلك العنصر الطاهر، أنهم ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ - سورة الفتح، آية 29 - ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ ﴾ - سورة الفتح آية 29 - ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ - سورة الأحزاب أية 23 - ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ - سورة النور، الآية 37- ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴾ - سورة النحل آية 50 - أمات الحياء نفوسهم، وأقنع الخوف رؤوسهم:

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم — لا خوف ظلم، ولكن خوف إجلال

=

على جبل في ما وراء النهر نحو ترمذ.

(1) روى البخاري في كتاب مواقيت الصلاة من صحيحه الحديث: (الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله). وروى أيضا الحديث: (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله). وصلاة العصر عند الشيخ الأكبر هي الصلاة الوسطى، ينظر في الفتوحات الباب 281 ج 2 ص 614- 615.

أطالوا الصمت إلا من ذكر الله، وغضوا أبصارهم إلا عن الاعتبار، وقبضوا أيديهم إلاّ عن الدعاء، نحلت جسومهم (وشابت) رؤوسهم، ليلهم قيام، ونهارهم صيام. أشرقت وجوههم بأنوار العناية، وظهرت عليهم آثار الهداية. تحسبهم لشدّة الحياء عذارى مقصورات في الخيام، أشرف عليهن سيدهم، عمّروا أوقاتهم، وطرحوا أقواتهم. رضي الله عنهم.

ومن سيرته رضي الله عنه، وجه لي، إحدى الليالي، لأدخل معه الحمام وكنت تواقا إلى ذلك. وكان معنا تلك الليلة الشيخ المنقطع المتبتل الحارس أبو محمد جراح، رحمه الله وكان حارسا بمرسى عبدون وبه دفن [1]. قال العبد: فلما وصلنا الحمام، جعل رضي الله عنه المناديل حذاه، واستدعى الطلبة واحدا واحدا، يرديه بمنديل ويؤزره بآخر، وحينئذ يعريه من ثيابه حتى أتى على آخرهم، ثم فعل بي مثل ذلك، وبنفسه، وكانت مصبغة إذ هي أستر، فبتنا بخدمة الشيخ بأنعم ليلة بتها، وأصلح حالة، ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ ﴾ - سورة الحاقة الآية 22 - 23 - إلى أول الثلث الباقي من الليل، انصرفنا إلى منزله المبارك، وأقاموا على أورادهم حتى طلع الفجر. فقال لي والدي، رحمه الله: ما كان من أمر الشيخ في الحمام؟ فأخبرته القصّة. فتعجب مما سمع، وأنكر هذا في هذا الزمان، وفي ذلك البلد. نفعنا الله بخدمتهم، وألحقنا بهم.

ومن متابعته للسنة رضي الله عنه ما رأيته قط يقوم إلى صلاة إلا شاص فاه بالسواك، وكذلك طلبته، حتى إني رأيت منهم من يعلق السواك في طوقه. وما رأيت أحدا منهم أحدث إلا توضأ، ولا توضأ إلا رأى أن لله عليه ركعتين، فيبادر إليهما. ورأيتهم إذا دخل رجب، جدّوا واجتهدوا وزادوا في الأوراد، وربما من كان ينام

---

(1) ذكر الشيخ في الفتوحات وروح القدس والدرة الفاخرة أبا محمد جراح الذي صحبه بتونس مدة تقرب من سنة وذلك سنة 590 هـ، وقال عنه أنه كان من سادات القوم ويجتمع بالخضر وله مكاشفات وكاتما لأحواله، وكان قد سلك الطريق عند أبي مدين الذي كان يحبه ويعظمه، وكان مرابطا بمرسى عبدون بتونس، وتوفي سنة 590 هـ وهو شيخ مسن.

على فراش طوى فراشه وأزاله. رأيت ذلك لتلميذه الولي الفقيه الفاضل أبي الحسين بن كثير، ولابن عمي، ولجماعة منهم سمعت. وكذلك من كان يصوم أياما معلومات واصل صومه إلى الفطر نفعنا الله برؤيتهم.

ومن مكاشفاته، رضي الله عنه، كنت أزوّر المسألة في نفسي في منزلي أسأله عنها، إذ أتيته، فإذا قعدت بين يديه، تكلم لي عليها، قبل أن أسأله عنها. ثبت ذلك عندي تجربة فاستفاض هذا عنه، عند من يحضر ميعاده، حدّثني به غير واحد ممن يؤثق بقوله، رضي الله عنه وألحقنا به.

ومن اعتناء الله به كنت أقرا عليه بين الظهر والعصر، في ميعاد الخواص أيضا في الحكمة لأبي الحكم بن برجان، رحمه الله فلما فرغ الميعاد، قام إلى علو كان له بدار تدريسه وقعدنا على سبيل العادة، نتذاكر كلام الشيخ فوجدت في نفسي قلقا مزعجا، وباعثا محركا للقاء الشيخ، لا أستطيع معه المقام، فلما أشتدّ عليّ طلبت سببا لنفسي، (...) إلى لقائه، فلم أجده، فعلمت أن ذلك الباعث همّة الشيخ، فصعدت إليه مسرعا، فما جاوزت خمسة أدراج إلاّ والشيخ واقف ينتظرني، فابتسم وقال: «ما الذي أمسكك عن المبادرة في أول الخاطر؟» وذكر لي كلاما في حق نفسه، فجاوبته عليه، وقضى حاجته، وسكن قلقي، فعلمت أن ذلك من اعتناء الله به، حتى لا تقف الهمة إلا معه. نفعني الله برؤيته.

ومن تمكنه في المقام، رضي الله عنه، كان يقرأ عليه في مجلسه كتاب «لوامع أنوار القلوب، في أسرار المحب والمحبوب» لأبي القاسم (...) فيمر عليه مقام لا يمكن ذكره، فكان يتزلزل، ويحمر ويصفر وتتوالى على بشرته أنواع الصفات، وتمكنه يأبى إلا الستر ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ - سورة النمل آية 88-. فإذا مرّت عليه الأسرار التي لا يمكن كشفها يمهدها أحسن تمهيد عند السامعين، ويدخلها في قالب المعاملة، غيرة منه على الكشف. وهذا من أقوى الدليل على ثبوت أسرار الحال عندهم، ولو كانت متلقاة، فلا تعرف ما عنده (...) وربما هلك فيه، ولم يدر في ماذا ولماذا.

ومن تحفظه عن الفتن أن تصيب تلامذته عزله الأحداث عن مجلسه ومجانبة النساء ونهيه لأصحابه عن مجالستهم، فإنه حكى عن بعض الصوفية أنه قال: لقيت إبليس فقلت له: كيف حالك مع الصوفية؟ قال: لم يتركوا لي طريقا إليهم إلا سدوه ولا بابا إلا أوثقوه، وأغلقوه، غير أن لي فيهم لطيفة. قال: وما هي؟ قال: صحبة الأحداث. فالشيخ رضي الله عنه قد سدّ هذا الباب على تلامذته، وأوثقه، وأما النساء فأجدر وأحرى.

قال العبد: ولقد كان جملة الطلبة من أهل الظاهر المتفقهين والمتكلمين والأصوليين مثل الفقيه القاضي أبي محمد عبد السلام ابن الفقيه أبي القاسم الجزري وبنيه، والفقيه أبي محمد عبد العزيز الزيتوني، والفقيه أبي محمد سعيد بن سفيان، والفقيه أبي الحسن بن الكثير يحضرون ميعاد تدريسه، ويسمعون كلامه في الفن الذي هو بسبيله، فيستحسنون ويقولون: هذا هو الحق، وكل ما عنده إنما هو فتح من الله، ومن خزائن الغيوب.

قال العبد: ولو تقفينا آثاره المشهورة، وتقصينا مناقبه الحميدة خرجنا عن مقصودنا من الإيجاز، حتى نستوفيه في الكتاب الذي نخرجه في مناقبه، إن شاء الله. وفي هذا القدر ما يدل على فضله وكماله، في أفعاله وأقواله وأحواله.

قال العبد: فلما أكملت شرحي لكلام الشيخ، وتيقنه السائل، فرح بذلك واستبشر، وزاده رغبة في شيخه، ومحبة فيه، وغبطة به، وقوة إلى يقينه، وهذا كله من بركات النبي، صلى الله عليه وسلم، وعائد عليه، وله الفضل الكامل، إذ باتباعه واقتفاء أثره لاحت الهداية، وتحققت العناية، وصح كل ما ذكرناه، ففي الثناء على الأولياء شرف الأنبياء، وفي التحدث بها الإقرار بنعمة الله تعالى، فيكون المثنى عليهم، والذاكر لهم من المرتسمين في ديوان الشاكرين، لقوله صلى الله عليه وسلم: «التحدث بالنعم شكر» وأيّ نعمة أفضل من هذه العناية التي اختص الله بها من شاء، وقال تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾- سورة الضحى الآية 11 -. ولا نعمة بعد كلمتي الشهادة أكمل من الاستقامة على حدودها، والاستيفاء بشروطها، والله

الموفق والهادي لا رب غيره.

فصل: فإذا وقفت، وفقك الله تعالى على مطالع هذا الكتاب ومشاهده، وتسمع فيه «قال لي الحق» و«قلت له» وترى فيه من المعارضة ما تقف عليها عند مطالعتك إياه، فاطلب المعنى في تلك المعارضة، وحقق النظر، فإنها ليست بمعارضة، لكن الألفاظ تشكل. فلكل لفظة معنى، ولكل مسألة دليل، ولكل طريق سالك، ولكل مقام مقال، ولكل علم رجال.

صلة: اعلم وفقك الله، أن في قولي «أشهدني الحق» و«قال لي» و«قلت له» فالحق صفة من صفات أفعاله، جردها من ملابس حنادس غيوب كلماته، وأرسلها فياضة على حقيقة جوهرية ذاتية، ثم ناداها في الكون فأجابته، إجابة صورة المرآة للناظر، وإجابة الظل لشخصه القائم، فالفعل يثبت الوصف، والوصف يستدعي بطبعه الموصوف، ولا يخفى عن العقلاء أن الباري سبحانه منزه عن قيام الأصوات والحروف بذاته، بل هو سبحانه متكلم على الإطلاق بكلام قديم هو صفة معنى اتصف به ذاته، لا يقال: هو هو، ولا هو غير، كعلمه وقدرته وإرادته وسائر صفاته، تنزه - سبحانه - كلامه عن الصوت والحروف، والتقدم والتأخر، وكل كلام ظهر في الوجود محدث، فإنه خلق له واختراع، إذ هو القائل ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾- سورة الصافات آية 96- وكلامنا من أعمالنا، فهو خلق له، فهو سبحانه يخاطبنا بكلامه، ويرد على نفسه: إما بكلامه الذي هو صفة ذاته، وإما بفعله وخلقه من غير توهم تأخر ولا تقدم. مثل ذلك أن يقول ﴿ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾ - سورة طه آية 90-، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾- سورة طه آية 14 - ولا بد لنا من الجواب، ولا قدرة لنا على ذلك ما لم يخلق الكلام لنا، فإذا أراد أن يجيب نفسه بفعله خلق الكلام في قلوبنا، وخلق العبارة عنه في ألسنتنا، فنقول عند ذلك ﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾ - سورة البقرة الآية 285-. فيكون هو سبحانه قد رد على نفسه بفعله، نعوذ بالله من الدعوى، فنطلق عليه من قولنا (سمعنا وأطعنا)، فيكون

﴿ وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ﴾ - سورة الممتحنة الآية 4-. أنه خالق للكلام، لا أنه متكلم بما خلق - كما تدعيه المعتزلة، فإنها تقول: المتكلم من فعل الكلام، لأنها ما عقلت كلاما إلا أصواتا وحروفا. والباري منزه عن قيام الصوت بذاته، وسمى نفسه متكلما، فلا بدّ عندهم من إثبات الكلام له، فقالوا: هو متكلم من حيث إنه فعل الكلام، وهنا ينفصلون عن المتصوفة بشيء آخر، وهو أن الإنسان عندهم قادر على فعل كلامه، فلا يقول إن الباري متكلم لأنه فعل كلامنا وهو ما فعل شيئا لاستحالة مقدور بين قادرين، فإن ما يفعله سبحانه الكلام في شيء يستحيل عليه الكلام مثل الجماد، فهو متكلم عندهم من حيث إنه خلق الكلام في جماد، والإنسان بخلاف ذلك، إذ الإنسان قادر على فعل كلامه، والجماد ليس كذلك.

قال العبد: ثم نرجع فنقول: وقد يتوسع في العبارة، ويسمي كلام الله: ما دل على كلامه، سبحانه، كقوله تعالى ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ - التوبة الآية 6 -. وإنما سمع أصواتا وحروفا من النبي، صلى الله عليه وسلم، فحصل بذلك الشرف العظيم لنطق الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ - سورة النجم الآية 4 -. فالكلام الذي صدر من النبي صلى الله عليه وسلم ووقع في سمع الأعرابي كلام الله القديم القائم بذاته، الذي هو صنعته، ألا ترى إذا تكلم معك إنسان وحصل لك معنى ما تكلم به فأردت أن تذره لشخص آخر، وربما يكون شخصا أعجميا، والشخص الذي تخبره به عربيا فتعبر عن كلام الأعجمي بألفاظ عربية يتوصل السامع بها إلى معرفة كلام الأعجمي، فالكلام الذي هو الأصوات في الحين كلامك، والكلام على الحقيقة هو كلام النفس، والألفاظ والرقوم والرموز والإشارات دلائله. وليست هي بكلام، إلا إن اصطلح عليها، فذلك مباح.

قال العبد: فمن سمع «قال لي الحق» و«قلت له» أو«يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي» وتوهم أن الحق يصمت ما دام العبد يقول الحمد لله رب العالمين، ثم يراجعه، فليس عنده حقيقة بكلام الله تعالى.

ومن توهم أيضا أن ما بين الدفتين المحفوظ في الصدور المقروء بالألسنة

أنه ليس كلاما، فهو عن سنن الهداية حائد ولطريق العماية قاصد، وإذا لم يؤمن هذا المتوهم الضال بكلام ليس بصوت ولا حرف فلا يؤمن برؤيته من حيث إنه ما عقل مرئيا بالأبصار إلا جسما وكونا ومتكونا، والباري تعالى، عندنا وعندهم، ليس بجسم ولا كون ولا متكون فتستحيل رؤيته. وكيف تستبعد يا معتوه كلاما ليس بصوت ولا حرف، وأنت تحدثك نفسك بما مضى وغير مراد، على الدوام من غير صوت ولا حرف، وهو الكلام على الحقيقة واللسان ترجمانه إلى عالم الشهادة. أترضى لنفسك أن يكون الأعرابي الجاهل الفدم أعرف بالكلام منك حيث يقول:

إن الكـــلام لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا جعـل اللـسان علـى الفـؤاد دلـيلا

تمهيد: قال العبد الفقير إلى رحمة ربه سبحانه: اعلم وفقك الله، أن قلب الإنسان أوسع من السماوات والأرض بل ومن العرش المحيط، حيث قال أبو يزيد وقد أشرف على ساحة قلبه: «لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس بها» أراد، رضي الله عنه، قوله صلى الله عليه وسلم: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي [1]» مخبرا بذلك عن ربه، فقلب يسع القديم كيف يحس بالمحدث موجودا! فافهم هذه السعة، وهذا القلب، وماهيتهما. فقلب العارف لا تدرك له نهاية، إذ هو محل نظر الله من العبد، وموضع تجليه وحضرة أسراره، ومهبط ملائكته، وخزانة أنواره، وبحر علومه.

فتدبر هذه المقدمة يسهل عليك ما يأتي بعد من «قال لي الحق» و«قلت له». إنما هي أسرار يجدها أهل هذه الطريقة في أنفسهم، يتردد الخطاب بها على وجودهم. فالخطاب منك إليك، على قدر ما يفتح لك. ولهذا تفاوتت درجاتهم في المكاشفات والمشاهدات، وانظر رؤيتك للحق أو للرسول في النوم. فتقول له، ويقول لك، فإنما الرائي منك إليك مما استقر في خزانة خيالك. فابحث عن هذا السر في المتكلم والمخاطب ترشد إن شاء الله تعالى.

---

(1) ينظر تخريج هذا الحديث القدسي في " كشف الخفاء للعجلوني" رقم 2254، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

واعلم، رحمك الله تعالى، أن كل متكلم في هذه الطريق إنما يتكلم من مقام المكاشفة بعد النزول من مقام المشاهدة، لأن المشاهدة للبهت، وهو الحجر الذي تكلمنا عليه في التدبيرات الإلهية، في باب خواص الأسرار، فتقوم لأهل الطريق، رضي الله عنهم، صور المعقولات في غيابات قلوبهم فيوقد لهم جل وتعالى سرج الهداية فيهتدون بها في ظلمات غيوب التوحيد فيشاهدون الانفعالات الإلهية، وأسرار القدر، كيف يحكم في الخلائق. فعندما يخرجون لحسهم وعالم شهادتهم يخرجون على قسمين: من خرج بسراجه الذي دخل به، فذلك محفوظ صديق، ومن لم يخرج بسراجه فهو أحد الرجلين: إما سكران وإما زنديق، ووجه التمييز بينهما عند حلول البلايا البشرية، فإن ظهر التغيير فذلك زنديق، وإن غلب الحال فذلك سكران.

فصل: اعلم وفقك الله أن علوم هذه المشاهد القدسية التي أودعتها هذه الرسالة فريدة. وفيها من العلوم التي يجب سترها، ولا يجوز كشفها إلا لأربابها:

جئتمانـــي لـــتعلما ســـر ســـعدى تجدانـــي بـــسر ســـعدى شـــحيحا

فهذه الأسرار، أجرى الله العادة عند أهل هذه الطريق ألاَّ يهبها إلا للأمناء، ولذلك قال أبو يزيد في الحكاية المتقدمة: «كيف يؤمن على سر من أسرار الله تعالى؟!

ومـــستخبر عـــن ســـر ليلـــى رددتـــه بعمـــياء مـــن ليلـــى بغيـــر يقـــين

يقولـــون: خبـــرنا فأنـــت أميـــنها ومـــا أنـــا إن أخبـــرتهم بأمـــين

وكيف يجوز أن يخبر كل أحد بأسرار، نبعت من منبع سر الصديقين، وانبعثت في روضة الصفة الوترية، وهي من العلوم التي قال فيها علي بن أبي طالب، وضرب بيده إلى صدره، رضي الله عنه: «إن هاهنا لعلوما جمّة، لو وجدت لها حملة»، ومن العلوم التي قال فيها ابن عباس، لما جاء لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ - سورة الطلاق آية 12 -: «لو ذكرت تفسيره لرجمتموني» وفي رواية «لقلتم إني كافر» وقول أبي هريرة:

«لقطعتم مني هذا البلعوم». ومن هذه العلوم قول أبي موسى الدنبلي، خادم أبي يزيد البسطامي: «نقلت إلى قبري ثلاثمائة كلمة أخذتها عن أبي يزيد، لم أجد قط لها أهلا»، وإليه أشار النبي، صلى الله عليه وسلم، بقوله «إنّ من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا العالمون بالله[1]». وهذا العلم تنتجه التقوى في قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ - سورة البقرة الآية 282-.، وإليه أشير بسرّ أبي بكر، وقد أفردنا له كتابا سميناه" البحث والتحقيق، على السر الذي وقر في نفس الصديق" وإليه أيضا أشار الحسين بن علي - وقيل الرضي- رضي الله عنهم- بقوله: [2]

يــا ربَّ جوهــر علــم لــو أبــوح بــه لقــيل لــي: أنــت ممــن يعـبد الوثـنا
ولاســتحل رجــال مــسلمون دمــي يــرون أقــبح مــا يأتــونه حــسنا

فاستروحنا من هذه الألفاظ كلها عدم إباحة كشف هذه العلوم. ومثل هؤلاء غاروا عليها وحجبوها وصانوها. وتالله لولا صاحب «المواقف»، وأبي موسى الدنبلي، وأبو الحكم ابن برجان، وأبو العباس بن العريف[3]، ما أودعوها في كتبهم،

(1) الحديث رواه أبو منصور الديلمي في المسند، وأبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين التي له في التصوف، وذكره المنذري في كتاب العلم من الترغيب والترهيب.

(2) قبل البيتين المذكورين، تذكر المصادر بيتان آخران هما:

إنــي لأكــتم مــن علمــي جواهــره كــي لا يـرى الحـق ذو جهـل فيفتتـنا
وقــد تقــدم فــي هــذا أبــو حــسن إلـى الحـسين ووصـى قـبله الحـسنا

والأبيات الأربعة تنسب للإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المتوفى في المدينة المنورة سنة 94 أو 95 هـ. وليست الأبيات للشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أبي الطاهر، الذي ولد ببغداد سنة 359 وتولى بها نقابة الأشراف وبها توفي سنة 406 هـ. وقد ذكر الشيخ البيتين في مقدمة الفتوحات.

(3) يعني بصاحب «المواقف» الشيخ محمد بن عبد الجبار النفري توفي: 354 هـ وقيل 361 هـ، وله كتاب «المواقف والمخاطبات». وأبو موسى الدنبلي من أخصّ أصحاب أبي يزيد البسطامي المتوفى في أواخر القرن الثالث الهجري، وروى عنه أقواله وأحواله. وأبو الحكم بن برجان هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمان اللخمي الإشبيلي، من كبار صوفية وحكماء الأندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري. من تآليفه: " شرح الأسماء الحسنى"، تفسير القرآن وعنوانه: "إيضاح الحكمة " وربما هذا هو =

ما فعلت ذلك.

فليس كل من سلك وصل، ولا كل من وصل حصل، ولا كل من حصل حصّل ولا كل من حصّل فصّل، ولا كل من فصّل وصل، ولا كل من وصل أوصل، فلكل علم رجال، ولكل مقام مقال.

فصل: اعلم أن هذه العلوم ليست مما تدرك بالتعلل والمنى، ولا وصل إليها الرجال بالقصور والهوينى، بل، والله، جدّوا، واجتهدوا وكدّوا، لم يفتروا نهارا ولا ليلا، ولا سحبوا للبطالة ردنا ولا ذيلا، ولا كانوا ممن اشتهى بطرا نهارا ولا ليلاً، كانوا رضي الله عنهم، إذا غشيهم الظلام قطعوه بأفئدة حاضرة، وعيون دامعة، وقلوب خاشعة، وأسرار لمناجاته والخلو به متعطشة، وألسنة لكلامه العزيز تالية، وأما النهار فبطون خامصة، وعيون خاشعة، وآذان مصمة، وألسنة صامتة، واعتزال دائم، وهم حاضر ملازم، رداهم الجبار برداء السكينة والوقار، وميزهم في حضرة الأسرار. هذه حالهم آناء الليل وأطراف النهار، على مر الدهور والأعصار، (..) شموا من هذه الطريقة رائحة، وظهرت لهم فيها لائحة، ولاح لهم سرّ، وانكشف لهم أمر.

فمتى يا مغرور تورمت في هذه الطريق أقدامك، ونطق بلسان حاله عليك صيامك وقيامك، ووهبك التلذذ بمناجاته علامك وقيامك. هيهات هيهات! شغلتك الأماني والترهات، عن مراقبة جبار الأرض والسماوات. تهت في البدع، وقطع بك عن اللحوق بهم قواطع الأصل والطمع.

=

الكتاب الذي ذكره الشيخ عند قوله السابق في هذه الرسالة أنه كان يقرأ مع المهدوي في ميعاد خاص في الحكمة لأبي الحكم بن برجان. وقد توفي ابن برجان في مراكش عام 536 هـ وقبره بها مشهور يزار.

وأبو العباس بن العريف الصنهاجي من ألمع شيوخ التربية الصوفية في الأندلس، توفي بمراكش سنة 536 هـ وقبره بها مشهور يزار. خلف عددا كبيرا من الشيوخ، وله مكتوبات ورسائل وأشعار وله كتاب " محاسن المجالس". كان الشيخ الأكبر يجله كثيرا واستشهد بأقواله في الفتوحات.

فنحمد الله الذي لا إله إلا هو، ولا حامد ولا محمود سواه. فالعجز عن قيام الحمد حمد كامل، لما أسداه وأولاه. والحمد لله على كل حال، وهو حسبنا ونعم الوكيل. تمت هذه الرسالة بحمد الملك الوهاب.

فصل[1]

فصل في تأييد هذه المكاشفات العلمية والمشاهدات المقدسة وما يتعلق بها من عجائب المعاني بالآيات والآثار والأخبار، ووجوه القلب الثمانية وما يناسبها من الحضرات:

لعلك ستطلب أيها الباحث عن هذه الأسرار، والمبتغي اقتباس هذه الأنوار، شواهد عليها من الآيات والأخبار والآثار، ليقوى طلبك عليها، وتكون ممن ينتدب إليها. نعم سدّدك الله بنظرة الصائب، نمهدها لك أحسن تمهيد، ونفرق لك بين المعوجّ منها والسديد، ما إذا عملت بمقتضاه، كوشفت على حقيقته ومعناه، وشاهدت هذه المشاهد المقدسة والمكاشفات العلمية التي أوردت منها في هذا الكتاب، على قدر ما حُدَّ لي في الخطاب، حتى لو بينتُ لك ما أسدى إليّ سبحانه من أسراره العلية وأنواره السنية (...) وغيوبه الأزلية، وتكون الأبحر مدادا، والشجر أقلاما، لفنيت الأدوات وبقيت الأسرار والواردات. فَألْقِ سمعك إن كنت على الحقيقة طالبا، ولتكن فيما أورده عليك راغبا.

أما الآيات فقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ - الكهف الآية 65-. ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾- البقرة الآية 282-. و﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ - البقرة الآية 269-. ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ - مريم الآية 12-. ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ

(1) هذا الفصل موجود في آخر كتاب المشاهد وإنما قدّم هنا لمناسبته للرسالة السابقة، ولأن موضوعه ممهد للمشاهد.

ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ - الأنعام الآية 83-. ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ - الأنعام الآية 122 -. ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ - العنكبوت الآية 69-. ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا ﴾ - الأعراف الآية 175-.

وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم:

«من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»(1)

وقال عليه السلام «العلم نور يضعه الله في قلب من يشاء»(2)

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن من العلم كهيأة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله» (3)

وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه: «ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا» (4)

وفي حديث أبي سعيد: «القلوب أوعية: قلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن» (5)

وأما الآثار فقد قال علي- رضي الله عنه - وضرب بيده على صدره: «إن ههنا لعلوم جمّة لو وجدتُ لها حملة».

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ

(1) أخرجه أبو نعيم في " حلية الأولياء" عن أحمد بن حنبل في ترجمة أحمد ابن الحواري.

(2) في ترجمة الإمام مالك بن أنس، روى عنه أبو نعيم في " حلية الأولياء" الخبر: [العلم نور يضعه الله حيث يشاء ليس بكثرة الرواية].

(3) أخرجه الديلمي في الفردوس، والمناوي في فيض القدير، والحافظ المنذري في الترغيب والترهيب كلهم عن أبي هريرة. وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوي، ودرء تعارض العقل والنقل.

(4) رواه البخاري عن أبي هريرة، وأحمد عن عائشة، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة، وابن السني عن ميمون وأبو نعيم في "حلية الأولياء"، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

(5) حديث: [القلوب أربعة: فقلب أجرد فيه مثل السراج أزهر، وذلك قلب المؤمن] أخرجه أبو نعيم في الحلية، والإمام أحمد في المسند، وهو أيضا في المعجم الصغير، ومجموع الزوائد، وإتحاف السادة المتقين، والدر المنثور، وتفسير ابن كثير.

سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ - الطلاق الآية 12- (لو ذكرتُ تفسيره لرجمتموني) وفي رواية (لقلتم إني كافر).

وقال علي - رضي الله عنه - «لو أذن لي أن أتكلم في الألف من ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ (لتكلمت فيها) سبعين وقرا» إلى أمثال هذا ممَّا لا تحصى كثرة.

وهذه هي العلوم التي اختصّ الله بها بعض عباده ونهى عن كشفها لغير أهلها في الكتاب والسنة. وفقك الله وسدّدك.

وسبيل حصول هذه العلوم المذكورة في قلوب أهل الحقائق له شروط جمّة لا يفي بها إلاَّ أهل العناية والموفقين السالكين سواء الطريق فنقول:

إن القلب على خلاف بين أهل الحقائق والمكاشفات كالمرآة المستديرة لها ستّة أوجه، وقال بعضهم ثمانية، هذا محل الخلاف. ولولا التطويل وخروجا عما أردناه من الاختصار لأزلنا الخلاف، وبينا وجه الجمع بين هذين المقامين بأدلة قطعية. لكنا قد تممنا هذا المقصد في كتابنا المترجم بـ" جلاء القلوب". ولا يلتفت إلى من رأى لها وجها تاسعا، لأن الحكمة الإلهية منعت من ذلك، وإلاَّ في الإمكان أن يوجد لها من الوجوه ما لا يتناهى، إذ صفات الجلال لا تحصى.

ولعلك تقول: يُسْتَشْعَرُ من هذا القول الذي ذكرته مناقضة الإمام أبي حامد حيث قال: (وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم)[1]. نعم يشعر ذلك عند من يَقْصُرُ إدراكه عن الاطلاع إلى هذه العلوم السماوية. أما عند من فحص كلامنا وبحث عن حقيقة ما أشرنا إليه يرى أن لا مناقضة بينهما؛ فقد أشبعنا القول بالأدلة الواضحة في شرح كلام الإمام أبي حامد - رضي الله عنه -: (ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم) في كتاب «الجمع والتفصيل في معاني التنزيل»[2] لما تكلمنا على قوله

---

(1) هذه المقولة ذكرها أبو حامد الغزالي (ت: 505 هـ) في كتابه إحياء علوم الدين، ودار حولها جدل كبير قبولا ورفضا. ينظر حولها في الفتوحات: ج1 ص: 4- 45 - 259- 552/ ج2 ص: 103- 321- 345/ ينظر أيضا: (تشييد الأركان في ليس في الإمكان أبدع مما كان) لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، وأواخر كتاب "الإبريز" لأحمد بن المبارك الفاسي (ت: 1156هـ)، وكتاب " المواقف" للأمير عبد القادر الجزائري المواقف: 226-248 الفصل الثاني- 369.

(2) ذكر الشيخ تفسيره الكبير هذا في الفتوحات، وقال عنه في فهرست تآليفه: [فمن ذلك كتاب =

تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1].

(ثم قال): وقد جعل الله في مقابلة كل وجه من وجوه القلب حضرة من أمهات الحضرات الإلهية تقابله، فمهما جلى وجه من هذه الوجوه، تجلت تلك الحضرة فيه. فإذا أراد الله سبحانه أن يمنح عبده من هذه العلوم شيئا، تولى سبحانه بتوفيقه مرآة قلبه (فنظرها بعين) اللطف والتوفيق، وأمدّها ببحر التوحيد والتأييد، فاهتدى ذلك الموفق للرياضات والمجاهدات فوجد الإرادة والمحبة من قلبه فبادرت الجوارح بالطاعة للقلب إذ هو مالكها وسيدها، فاستعمل الأفكار وعلّق الهمة، وتخلق بأخلاق الله، وغسل قلبه بماء المراقبة حتى ينجلي عن القلب صدا الأغيار، وتتجلى فيه حضائر الأسرار.

- فالوجه الأول ينظر إلى حضرة الأحكام، وصقالة ذلك الوجه المجاهدات.
- والوجه الثاني ينظر إلى حضرة الاختيار والتدبير، وصقالة ذلك الوجه بالتسليم والتفويض.
- والوجه الثالث ينظر إلى حضرة الإبداع، وصقالة ذلك الوجه بالفكر والاعتبار.
- والوجه الرابع ينظر إلى حضرة الخطاب وصقالته خلع الأكوان.
- والوجه الخامس ينظر إلى حضرة الحياء، وصقالته بالتبري والفناء.
- والوجه السادس، وهو الثامن عند من أثبتها ثمانية، ينظر إلى حضرة

=

"الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل" أكملت منه إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ ﴾- الكهف الآية 60- وجاء بديعا في شأنه ما أظن على البسيطة من نزع في القرآن ذلك المنزع وذلك أني رتبت الكلام فيه على كل آية على ثلاث مقامات: مقام الجلال أولا، ثم مقام الجمال، ثم مقام الاعتدال، وهو برزخ من حيث الورث الكامل المحمدي فهو مقام الكمال (.) وفي هذا المقام أتكلم على ما فيها من أسرار الحروف والكلمات والحروف الصغار التي هي الحركات والسكون الحي والسكون الميت إن كان فيها من ذلك شيء والنسب والإضافات والإشارات وما أشبه ذلك. فإذا فرغت من ذلك انتقلت إلى الآية التي تجاورها. وما فيه كلمة لأحد أصلا إلا إن كان استشهادا وهو قليل].

(1) البقرة الآية 30.

ما لا يقال وصقالته ﴿ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ ﴾- الأحزاب: الآية 13-.

وأما الوجهان اللذان هما محلّ الخلاف، فأهل السنة صرفوهما إلى حضرة الأحكام؛ وغيرهم قال:

- إن أحدهما ينظر إلى حضرة المشاهدة، وصقالته قمع النفس.
- والآخر نظره إلى حضرة السماع، وصقالته الصمت والأدب.

وليس ثمَّ وجه تاسع، ولا كشف لها سبحانه حضرة زائدة على هذه الثمانية، فكانت تجهلها، إذ ليس لها وجه فتتجلى فيه، للحكمة الإلهية التي سبقت بالإرادة القديمة. وهنا موضع نزاع بين الأشعرية والصوفية دقيق، لا يتفطن له إلاَّ صاحب ذوق.

ثم ليعلم أن لهذه الحضرات أبوابا في مقابلة ما على وجه المرآة من الصدا تسمى أبواب المنة، فعلى قدر ما تكون الصقالة يكون التجلي. وعلى قدر ما يفتح من الأبواب يكون الكشف. فليس كل مرآة مجلوة يكشف لها، لكنها معدّة لقبول الصور. كذلك ليس كل من سلك هذا الطريق يكشف له، قد يدخر له إلى يوم القيامة، أعني قيامته؛ كما تدخر المرآة المحسوسة ليوم ما، وإلاّ لأي معنى صقلت، أو لأي فائدة وجدت، لكن يلوح لها بوارق من المطلوب، وإن كانت لا تجلى عن صورة؛ لكن الصور التي قصدنا في هذا الباب صور مخصوصة انفردت بها مرآة أهل الحقائق. فإذا رقيت إلى هذه المنازل، [1] واطلعت على هذه المقامات صارت الغيوب مشاهدة في حقك، أعني غيوب ما بطن في ظاهر علوم الأدب، لا في نجى فلان، وزنى فلان، فإن تلك المكاشفات للسالكين.

وإن تشوش عليك خاطرك ولم ترزق الإيمان بهذا المقام فقد أجرى الله لك في ظاهر الكون مثالا تترقى به إلى ما ذكرناه، وهي المرآة المحسوسة: تتجلى فيها صور المحسوسات على قدر صقالتها وجلائها، وقد نبّه على ذلك سيّد البشر صلى الله عليه وسلم - حيث قال: «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» قالوا: «فما جلاؤها» قال: «ذكر الله وتلاوة القرآن» فقديماً نُصِبت الأمثال أدلة لعلوم ربانيّة، فمن وقف مع الأمثال ضل، ومن ارتقى عنها إلى الحقيقة اهتدى.

(1) كأن الشيخ يشير بالصور والمنازل إلى سور القرآن ومنازله.

ثم لتعلم أن لهذه الحضرات أسرار ظاهرة وأسرار باطنة، فالظاهرة لأهل الاستدراج، والباطنة لأهل الحقائق. فليس كل حكيم حكيما بل الحكيم من حكمته الحكمة وقيدته بالوقوف عند فصل الخطاب، ومنعته أن ينظر إلى سوى خالقه، ولزم المراقبة على كل أحيانه. فليس من نطق بالحكمة ولم تظهر آثارها عليه يُسمّى حكيما. فالنبي عليه السلام قد قال: «ربّ حامل فقه ليس بفقيه[1]»، إنما هي أمانة عنده يؤديها إلى غيره كمثل الحمار يحمل أسفارا. فإذا صدرت منك حكمة فانظر ما في نفسك، فإن كنتَ قد تحليْتَ بها فأنت صاحبها؛ وإن رأيت نفسك عارية عنها فأنت لها حامل ومسؤول عنها. وتحقيق هذا أن تنظر إلى استقامتك على الطريق الأوضح والمنهج السديد والميزان الأرجح في قولك وفعلك وقلبك؛ إذ الناس في الاستقامة سبعة أقسام: قسمان لهم الفضل، وخمسة لهم الدرك. فمستقيم بقوله وفعله وقلبه؛ ومستقيم بفعله وقلبه دون قوله؛ فهذان لهم الفضل، والأول أعلى. ومستقيم بقوله وفعله دون قلبه، يرجى له النفع بغيره، ومستقيم بقوله وقلبه دون فعله. ومستقيم بقلبه دون فعله وقوله. ومستقيم بفعله دون قلبه وقوله. ومستقيم بقوله دون فعله وقلبه. فهؤلاء عليهم لا لهم، لكن بعضهم فوق بعض. ولست أعني بالاستقامة في القول: ترك الغيبة والنميمة وشبههما، فإن الفعل يشمل ذلك، وإنما نعنى بالاستقامة في القول أن يرشد غيره بقوله إلى الصراط المستقيم، وقد يكون عرياً مما يرشد إليه؛ فهذا معنى الاستقامة. ويجمع ذلك مثال واحد: وهو رجل تفقه في أمر صلاته وحققها، ثم علمها غيره، فهذا مستقيم في قوله؛ ثم حضر وقتها فأداها على حد ما علمها ظاهرا وحافظ على أركانها الظاهرة، فهذا مستقيم في فعله! ثم علم أن مراد الله منه في تلك الصلاة حضور قلبه لمناجاته فأحضر قلبه، فهذا مستقيم بقلبه. ثم احمل هذا المثال على ما بقي من الأقسام تجده واضحا مطابقا إن شاء الله تعالى.

ثم لتعلم أن العلل التي تصدك عن طريق الاستقامة الكاملة غير منحصرة، مستقرها في كتاب الله تعالى وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «فلا يأمن مكر

---

(1) نص الحديث: (رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) رواه أحمد في المسند (183/5) والطبراني في الأوسط (5/ 234) وأبو يعلى في مسنده (1/ 189) وغيرهم.

الله إلاَّ القوم الخاسرون»الأعراف الآية 99. وَأَنَّى لك بالأمن ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اللهم إني أستغفرك مما علمت ومما لم أعلم» فقيل له: «أتخاف يا رسول الله - صلى الله عليك -؟» قال: «وما يؤمنني والقلب ما بين أصبعين من أصابع الرحمان يقلبه كيف يشاء» والله تعالى يقول: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ الزمر الآية 47.

فالإنسان محل للتغيير قابل لكل صفة ترد عليه. ولذلك قال بعض العارفين: «لو عرضت عليّ الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة لأني ما أدري ما يعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد إلى باب الحجرة». كن على حذر ما دام تركيبك. قال تعالى لموسى في التوراة: «يا ابن آدم لا تأمن مكري حتى تجوز الصراط».

فالآيات رحمك الله كثيرة، والخطوب جليلة، والطريق دقيق أدق من الشعرة وأحد من السيف لا يثبت عليه إلا أهل العناية. فاللحظة والخطرة تزل الأقدام. ألا ترى أبا موسى الداراني - رضي الله عنه - يقول: سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت إنكاره، فخفت أن يقتلني وما خفت من الموت، ولكني خشيت أن يتعرض لقتلي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت. فانظر حذرهم - رضي الله تعالى عنهم - من الزلل مخافة الفوت. فإن أردتَ أنوارهم وأسرارهم، فاسلك آثارهم.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا.

القسم الثالث /

شرح كتاب المشاهد

المشهد الأوّل/

مشهد نور الوجود، وطلوع نجم العيان

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهدني الحق بمشهد نور الوجود، وطلوع نجم العيان

هذا المشهد الأول أصله من (نون والقلم) من سورة (القلم). فالنون عبارة عن علم الإجمال والقلم هو أول مُبْدَع خلقه الله تعالى وهو المفصل علم الإجمال النوني في " وما يسطرون " في اللوح المحفوظ. وهو ما بيّنه الشيخ في الباب (316) من الفتوحات المخصوص بمنزل سورة القلم، وفقرة هذا الباب في الباب (559) عنوانها: (علم ما يكتب وكيف رتب)- **IV** ص 393-. ومدار هذا المشهد حول الصلة بين وجود الحق ووجود الخلق، أو الوجود الأول واجب الوجود والوجود الثاني الممكن الوجود، أو الوجود المطلق والوجود المقيد المسبوق بالعدم، أو الوجود القديم والوجود الحادث، وهو ما أشار إليه الشيخ في أول بيت من الأبيات التي افتتح بها ذلك الباب (316) حيث يقول:

سـرّ الـدواة والقلـم   علـم الحـدوث والقـدم

وفيها يقول أيضا:

[وألحـق الكـون إذا   أشـهده الحـق العـدم

فـسرّه فـي كـونه   كمـثله حـين عـدم.]

إنما ذكر الشيخ في هذا المشهد القلمي هذه المسألة لأن أول موجود خلقه الله تعالى هو القلم المستمد من النون. ففيه ظهرت قضية الوجود والعدم وعلاقتها

بالحدوث والقدم. وقد تكلم الشيخ على مقام النون والقلم في كثير من كتبه نذكر منها: (عقلة المستوفز) و(عنقاء مغرب) و(رسالة الاتحاد الكوني) وفي أبواب من الفتوحات منها الأبواب (6/7/10/11/22/198 الفصل: 11 / 307/316/348/ 371: الفصل الأول...). أما مسائل الصلة بين وجود الحق ووجود الخلق فمدار جل كتب الشيخ حولها، وكذلك جل أبواب الفتوحات تفصل جوانب من هذه المسألة الكبرى. هذا وإن في لفظة (نون) إشارة إلى العلاقات بين الحكمين الظاهرين في الوجود الواحد، أي حكم الإطلاق الأصلي الذي للحق وحكم التقييد الحادث الخلقي. فالنون الأولى من (نون) تشير إلى إنية الحق تعالى التي لها الرفع المُمِدّة للنون الثانية المشيرة إلى إنية المخلوق المحصور في دائرتها الساكنة في ثبوتها العيني. وقد أشار عارف إلى العلاقة بين عين نون إنية الحق وعين نون إنية الخلق فقال:

نونان نونان لم يكتبهما قلم ... في كل نون من النونين عينان
عينان عينان لم يكتبهما قلم ... في كل عين من العينين نونان[1]

ومن أبواب الفتوحات المناسبة لهذا المشهد الباب 428 في معرفة منازلة الاستفهام عن الإنيتين، ومرجعه - حسب الترتيب القرآني الخفي لأبواب المنازلات من الفصل الخامس للفتوحات - للآيات 116-117-118 من سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ...﴾ الآيات.

ومقام (نون والقلم) هو مقام قلب الكون المنبعث منه نفس الرحمن. ولهذا فثمّة علاقة أصيلة بينه وبين (يس) قلب القرآن التي قال الشيخ عن منزلها في الباب (348) من الفتوحات: [وهذا المنزل هو منزل ذلك التنفس الرحماني[2]].

(1) شرح الشيخ أحمد التجاني (1150 -1230) البيتان في كتاب تلميذه علي حرازم (ت: 1217هـ): "جواهر المعاني".

(2) عدد الكلمات (نون والقلم وما = 106+307+47=360) هو عدد كلمة (سين = 300+10+50=360) التي هي سرّ (يس) بالجزم المغربي الكبير. وفي العديد من المواضيع يكرر الشيخ بأن عدد أمهات العلوم التي سطرها القلم الأعلى في اللوح المحفوظ هو (360) وقد أكد الشيخ على أهمية هذا العدد في الأدوار الزمنية المعنوية والحسية في الكثير من مواضيع كلامه كقوله في الباب (348) المخصوص بسورة (يس): [فإذا ضربت ثلاثمائة يوم وستين =

وقرن النور بالوجود لأن الوجود مثل النور، يُدْرَكُ وَيُدْرَكُ بِهِ، خلاف الظلمة التي تُدْرك ولا يُدْركُ بها. لكن الإدراك لا يحصل إلاّ بوجود من يُدْرِكُ، فلولا العين المعاينَة المدركة لما ظهر نور، ولولا المظهر ما ظهر ظاهر. فلهذا قرن طلوع نجم العيان بمشهد نور الوجود. وقد فصّل الشيخ هذا المعنى في الباب 293 المتعلق بسورة (الشمس) وافتتحه بأبيات مطلعها يشير إلى ذلك المعنى وهو:

إذا مـا الـشمس كـان لهـا شـعاع فـذاك الـنور مـن قبلـي أتاهـا

وقال لي: من أنت؟ قلت: العدمُ الظاهر. قال لي: والعدم كيف يصير وجودا؟ لو لم تكن موجودا ما صحّ وجودك. قلت: ولذلك قلت العدم الظاهر؛ وأما العدم الباطن فلا يصحّ وجوده.

العدم نوعان: العدم المطلق الباطن الذي لا يمكن وجوده ولا ظهوره، والعدم النسبي الظاهر هو ممكن الوجود وهو يعم جميع الخلوقات. فقبل حدوثها هي ظاهرة للحق تعالى موجودة في علمه أعيانا ثابتة، ثم برزت في الظهور المقيد بأمره تعالى (كن) فتكون بالنسبة لها ولبعضها البعض. فلو لم يكن المخلوق موجودا في علم الله تعالى القديم - والعلم تابع للمعلوم - لما برز في الوجود الحادث. [1]

=

يوما في ألف سنة فما خرج لك بعد الضرب من العدد فهو أيام التقدير التي ليوم الرب فينقضي ثم ينشئ في الدهر يوما آخر لاسم آخر غير اسم الرب وكذلك بضرب ثلاثمائة يوم وستين يوما في خمسين ألف سنة فما خرج لك بعد الضرب من الأيام فهو أيام التقدير التي ليوم ذي المعارج من الأسماء الإلهية فإذا نقص ذلك اليوم أنشأ في الدهر يوما آخر لاسم آخر غير الذي لذي المعارج هكذا الأمر دائما.].

أما عدد (نون والقلم = 313)فهو عدد الرسل عليهم السلام الذين هم أقرب الكمل إلى القلب الياسيني أي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومظاهر النَّفَس الرحماني في عالم الإنسان كما بيناه في كتاب (مفاتيح فصوص الحكم) ولهذا كان عدد اسم (محمد = 40+8+40+4=132) هو نفس عدد (قلب= 100+30+2= 132) وهو أيضا عدد كلمة إسلام = (1+60+30+1+40) وهو عدد تكرار حرف (ن) في سورة (نون والقلم). وعدد تفصيل حروف (محمد) أي (ميم حا ميم ميم دال = 314) فهو الجامع لعدد الرسل (313) ومع الواحد الخاص بالجمعية المحمدية إذ هو صلى الله عليه وسلم الخاتم (313 + 1 = 314).

(1) للتوسع في معرفة أنواع العدم، وعلاقة الحدوث بالقدم، ومراتب الوجود الأولى بين الإطلاق والتقييد تراجع الفصول الأولى من الموقف 248 من كتاب المواقف للأمير عبد القادر
=

ثم قال لي: إذا كان الوجود الأول عين الوجود الثاني، فلا عدم سابق ولا وجود حادث؛ وقد ثبت حدوثك.

بروز المخلوقات من العدم النسبي إلى الوجود النسبي لا يعني أن أعيانها الثابتة انتقلت من حال إلى حال، بل هي أزلا أبدا على ما هي عليه إذ الحقائق لا تتبدل. وإنما ثبت حدوث المقيد بإدراكه نفسه بقول الله تعالى له (كن) فيكون. وهذا الإدراك الحادث لا يغير أمرا لم يكن عليه الوجود الحق إذ ليس هو - تعالى - عرضة للحوادث، بل الحوادث ظاهرة بظهوره قائمة بقيوميته، فالوجود واحد لا يتكاثر وإنما الموجودات هي المتكاثرة بتجدد الصور في الخلق المتجدد من تجلي حقيقة ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ . - الرحمن: 29.

ثم قال لي: ليس الوجود الأول عين الوجود الثاني. ثم قال لي: الوجود الأول كوجود الكليات، والوجود الثاني كوجود الشخصيات.

الوجود الأول هو المطلق، والوجود الثاني هو المقيد، فَفَرْقٌ بين إدراك الشخص المقيد لنفسه وبين إدراك المطلق لإطلاقه ولمظاهره المقيدة، ولا ينقلب الحق خلقا ولا الخلق حقا.

يقول الشيخ:

فالرّب ربّ والعبد عبد فلا تخالط ولا تغالط

ثم قال لي: العدم حق وما ثمّ غيره، والوجود حق ليس غيره.

حق كل شيء هو ما هو عليه، فحق العدم الباطن المطلق هو استحالة وجوده، وحق العدم الظاهر النسبي هو إمكانية وجوده وهو الحادث المقيد، وأشار إلى قيده بلفظة (ثمَّ)، أي كل مقيَّد هو عدم نسبي لأنه لا قيام لوجوده بنفسه وإنما قيامه بالوجود الحق. ووجوده سبحانه وتعالى حق مطلق قائم بذاته واحد أحد لقوله صلى الله عليه وسلم: [كان الله ولم يكن شيء غيره] أخرجه البخاري في صحيحه في باب بدء الخلق.

قلت له: كذلك هو قال لي: أراك مسلما تقليدا أو صاحب دليل؟ قلت لا

=

الجزائري (1222-1300 هـ).

مقلد ولا صاحب دليل.

لما عبر عن تحققه بالقول السابق بقوله: كذلك هو، أراد أن يبين أن التحقق بالأمور يكون إما عن تقليد كما هو حال العوام، وإما عن دليل ناتج عن تدبر وفكر كما هو شأن العقلاء وعلماء الكلام والفلاسفة، وإما عن كشف واطلاع ذوقي وتحقق يقيني مستعل عن تسليم المقلد، وعن شبهات دلائل الفكر.

قال لي: فأنت لا شيء قلت له: أنا الشيء بلا مثلية وأنت الشيء بالمثلية.

قال: صدقت.

يعني (أنا مثلك ولست مثلي) أي أنا مثلك من حيث اشتراكنا في الوجود، إذ لا وجود للمخلوق المقيد إلا بوجود الحق المطلق، وأخرج البخاري في صحيحه في باب بدء السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» وأخرجه مسلم في صحيحه في باب الجنة وصفة نعيمها بلفظ: «على صورة الرحمن».

وأنت لست مثلي، لأن لي نسبة إلى العدم لأنني حادث مقيد وأنت القديم المطلق، ولا نسبة لك مع العدم، إذ لك وحدك الوجود المحض.

ثم قال لي: ما أنت شيء ولا كنت شيئا ولست على شيء. قلت له نعم؛ لو كنت شيئا لأدركني جواز الإدراك، ولو كنت على شيء لقامت النسب الثلاث، ولو أني الشيء لكان لي مقابل ولا مقابل لي:

حيث إنه ليس للمخلوق إنية مستقلة عن إنية الحق تعالى، وليس له صفة غير قائمة باسم الله تعالى، وليس له مشيئة ولا فعل إلا بمشيئة وفعل الحي القيوم تعالى، فلا شيئية ثابتة له. ولهذا فإن عين الممكن هو المعبر عنه بـ«لا شيء» ولذلك فهو لا يدرك، وإنما يدرك وجود الحق الذي له الإطلاق الذاتي، أو الوجود بالحق الذي له التقييد الخلقي. وكذلك لا يصح أن يكون الممكن مقابلا لهذا الذي هو «لا شيء» لأن الشيء لا يقابل نفسه بل يقابل غيره.

ثم قلت له: وجدت في الأبعاض ولم أوجد، فأنا مسمى من غير اسم، وموصوف من غير وصف، ومنعوت بلا نعت، وهو كمالي. وأنت مسمّى بالاسم، وموصوف بالوصف، ومنعوت بالنعت، وهو كمالك.

الأبعاض هي الجزئيات أي الحضرات المقيدة، وكل مخلوق له وجود مقيد.

لكن أسماءه وأوصافه ونعوته المقيدة لا وجود لها ولا قيام لها إلاّ بالوجود الحق، فهو - أي المخلوق - من حيث نسبته لعدمه الأصلي الثابت لم يوجد. وكماله هو تحققه بعبودته لقوله تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾- هود الآية 123 - وقوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾- آل عمران الآية 128 - وقوله: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ - الروم الآية 4-. وأسماء وأوصاف ونعوت العبد ثابتة معلومة، وأسماء ونعوت الحق غير مكيفة لأنها مظاهر الذات التي لا تدرك. فلله وحده الأسماء الحسنى والأوصاف المطلقة والنعوت المقدسة التي هي مظاهر كماله اللامتناهي.

ثم قال لي: لا يعرف الموجود إلاّ المعدوم. ثم قال لي: لا يعرف الموجود على الحقيقة إلا الموجود.

الموجود هو الذي له وجود مقيد وهو المخلوق، لكن المخلوق كما سبق ذكره هو «لا شيء» وهو «العدم الظاهر» فهو المعدوم. فالمخلوق المعدوم هو الذي يعرف ذوقا أن وجوده مقيد بما هو عليه من العجز والحدوث. وهذا المخلوق الذائق لعدميته من حيث حدوثه هو الذي يذوق وجوده من حيث قيامه بالوجود الحق المطلق.

ثم قال لي: الوجود مني لا منك وبك لا بي.

وجود الأعيان في مراتبها وقيودها من الله البديع الخلاق، ولكن وجودها المقيد قيدته استعداداتها الذاتية الغير مجعولة في أعيانها الثابتة، وما أبرزها الحق تعالى بقوله «كن» للوجود النسبي إلاّ لأن لها قابلية الانفعال ولهذا قال عنها «فتكون» ولم يقل «فيكونها». فوجودها منه تعالى، وأحكامها من استعداداتها الذاتية الثابتة، وهذا هو سرّ القدر الذي به كانت لله الحجة البالغة على خلقه كما فصله الشيخ في الكثير من أبواب الفتوحات والفصوص.

من ناحية أخرى يمكن فهم «الوجود بك لا بي» يعني وجود المعرفة من حيث: «من عرف نفسه عرف ربه» أي وجود معرفة العبد بربه قائم بوجود معرفته بنفسه. قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾- الزمر الآية 41- وقال: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ - الذاريات الآية 21 - ثم أكّد هذا المعنى بقوله:

ثم قال لي: من وجدك وجدني ومن فقدك فقدني.

الخطاب هنا للإنسان الكامل وخلفائه، وهو المخاطب صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ - الفتح الآية 10-. والآيات في هذا المعنى كثيرة كقوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ - النساء الآية 80 - وكقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾- النساء الآية 64-.

كما يؤكد هذا المعنى أحاديث كثيرة كحديث شفاعته الكبرى صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة لأن الكمال الإلهي ما ظهر في جمعيته إلا في الصورة المحمدية. وكثيرا ما كرر الشيخ في الفتوحات أن أكمل رؤية للحق تعالى هي رؤيته في الصورة المحمدية بالعين المحمدية. ثم زاد هذا المعنى تأكيدا بقوله:

ومن فقدك فقدني

أي من لم يعرف نفسه لم يعرف ربّه. قال تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾- الحشر الآية 19-. ومن فقد اتباع رسول الله وخلفائه فقد الحق. ومدار جل كتب الشيخ الأكبر مؤكدة لهذه القواعد، ينظر مثلا الباب 486 من الفتوحات في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ - الأحزاب الآية 36 -.

ثم قال لي: من وجدك فقدني، ومن فقدك وجدني.

أي من نسب الوجود الحق إلى المظهر المقيد الحادث فلم ير قيومية الحق ظاهرة في المظاهر، فقد فقد شهود الحق. قال تعالى عن أشرف المظاهر وهم الرسل عليهم السلام في خطابهم لأقوامهم: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ - آل عمران الآية 64-. كذلك «**ومن فقدك وجدني**» أي من تحقق أن: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾- آل عمران الآية 128- وأن الأمر والخلق كله لله وحده: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾- الأعراف الآية 54-. و: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ - القصص الآية 56- فمن تحقق بهذه الآيات وأمثالها وجد الحق

تعالى أقرب إليه من نفسه لأن كل ما سواه كالسراب: ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ ﴾- النور الآية 39-.

ثم قال لي: من فقدني وجدني ومن وجدني لم يفقدني.

من فقدني وجدني: يعني أن الجهل بماهية الذات العلية هو عين العلم، إذ كل الخلق لا يحيطون به تعالى علما، ولهذا قيل: «العجز عن الإدراك إدراك» وقال صلى الله عليه وآله وسلم «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[1]». وقد خصص الشيخ في الفتوحات أبوابا لبيان هذه الحقيقة كالباب 401 في معرفة منازلة: (الميت والحي ليس له إلى رؤيتي من سبيل)، والباب 406 في معرفة منازلة: (ما ظهر مني شيء لشيء ولا ينبغي أن يظهر)، والباب 414 في معرفة منازلة: (ما ترى إلا بحجاب). والباب 442 في معرفة منازلة: (من رآني وعرف أنه رآني فما رآني).

وكذلك«من وجدني لم يفقدني»: أي من وجدني كما أخبرت عني في كتابي المنزل على رسولي لم يفقدني، كقوله تعالى الجامع بين التنزيه والتشبيه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ - الشورى الآية 11-.

ثم قال: الوجود والفقد لك لا لي.

أي أن الوجود والفقد من مقامات وأحوال السالك والعارف، وتعالى الحق عن الانحصار في مشهد من مشاهد المقامات والأحوال.

ثم قال: الوجود والفقد لي لا لك.

أي أن الوجود والفقد كسائر المقامات والأحوال هي من المنازل أو المنازلات التي يهبها الله تعالى لعبده ويقيمه فيها به لقوله تعالى: ﴿ خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ - الانفطار الآية 8 -، وقوله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾- الشمس الآية 7و8 -.

ثم قال لي: كل وجود لا يصحّ إلا بالتقييد فهو لك، وكل وجود مطلق فهو

(1) رواه أحمد في المسند حديث رقم25711 عن عائشة رضي الله عنها. ورواه أيضا مسلم وغيره.

لي. ثمّ قال لي: وجود التقييد لي لا لك.

للحق تعالى الوجود المطلق، وللخلق وجود نسبي مقيد قائم بالوجود المطلق، لكن عين تقييده ما هو إلا مظهر من مظاهر المطلق.

ثم قال لي: الوجود المفروق لي بك.

أي لولا الصور المخلوقة التي هي المظاهر المقيدة للوجود المطلق ما تحقق ظهور الأسماء الحسنى ولما تميزت مراتب الوجود من اسمه تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾- غافر: 15.

والوجود المجموع لك بي. ثم قال: وبالعكس.

مجموع وجود الموجودات ما هو إلا قبس ومظهر من الوجود الحق المطلق إذ لا قيام لها إلا به. وقوله: «وبالعكس» أي والوجود المجموع لي بك، من حيث إن الإنسان الكامل مخلوق في أحسن تقويم على صورة الرحمن فهو مرآة الكمالات الإلهية جميعها من حيث قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾. البقرة: 31.

ثم قال لي: الوجود بالأولية غير وجود، ودونها هو الوجود الحقيقي.

أي أن كل ما له بداية أولية فهو حادث فلا قيام له بنفسه، وبالتالي فلا وجود حقيقي له. ومن لا أولية له، أي لا بداية تحده هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن بكل شيء محيط، وليس إلا الوجود الحق المطلق، فهو الوجود الحقيقي القائم بذاته الغني عن العالمين.

ثم قال لي الوجود بي وعنّي ولي.

أي الوجود الحق لله وحده، سواء من حيث الإطلاق أو من حيث المظاهر المقيدة، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

ثم قال لي الوجود عنّي لا بي ولا لي.

أي الوجود في المظاهر المقيدة لا ظهور له إلا عن الوجود الحق المطلق، وكونه (لا بي ولا لي) لأن (بي) و(لي) قد يشعر بالإثنينية أو بالعلة والمعلول ولا اثنينية في الوجود إطلاقا وتقييدا، وإنما الاثنينية والزوجية في المظاهر المقيدة بالنسبة لبعضها بعضا. ولم يرد في الشرع أن الله تعالى علّة وجود العالم كما يقوله بعض الفلاسفة لأنه لا مناسبة بين المطلق والمقيد.

ثم قال لي: الوجود لا بي ولا عنّي ولا لي.

أراد أن ينفي بقوله: (الوجود لا عني) توهم وجود مناسبة بين الحق المطلق الباقي والخلق المقيد الفاني في كل آن، فلا مناسبة بين الوجود الواحد الأحد وبين العدم الظاهر، إذ لا إثنينية، لقوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾- البقرة الآية 115-.

ثم قال: إن وجدتني لم ترني، وإن فقدتني رأيتني.

الرؤية تستلزم التقييد، والوجود الحق له الإطلاق فهو منزه عن الانحصار في مظهر يُرى، مع أن المظهر المنحصر مجلى من مجاليه، يقول العارف محمد الحراق المغربي (ت: 1261هـ) في مثل هذا المعنى:

لـستَ بالعـين تـراها يـا فتـى إذ غـدت للكـل عينا يـا أخـي

وقد خصص الشيخ في الفتوحات أبوابا لبيان هذا المعنى منها الباب 426 في معرفة منازلة: (قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين استفهم عن رؤية ربه في ليلة الاسراء، فقال: نور أنىّ أراه)، ومنها الباب 442 في معرفة منازلة: (من رآني وعرف أنه رآني فما رآني)، ومنها الباب 443 في معرفة منازلة: (واجب الكشوف العرفاني).

وقوله: (إن وجدتني لم ترني) يعني إن وجدتني من حيث الحقيقة المطلقة في مجلى ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ لم ترني منحصرا في مظهر مقيّد رغم أن هذا المظهر المقيد وجه من الوجوه اللامتناهية للحقيقة الواحدة المطلقة.

ثم قال لي: في الوجود فقدي وفي الفقد وجودي.

هذا تأكيد للقول السابق الأخير، لكن القول السابق يتعلق بمقام عين اليقين لتعلقه بالرؤية، وهذا القول يتعلق بمقام حق اليقين لتعلقه بالوجد وفقده.

فلو اطلعت على الأخذ لوقفت على الوجود الحقيقي.

الوجود الحقيقي المطلق لا يمكن للمقيد الوقوف عليه لعدم المناسبة بين المقيد والمطلق كما سبق ذكره، وبالتالي فلا يمكن للمقيد الاطلاع على الأخذ وهو كيفية تجلي المطلق في الصور المقيدة، أو تعلق العلم بالمعلوم والقدرة بالمقدور، أو مشاهدة الحق في فعله، فكل ذلك لا يكيف ولا يدرك.

المشهد الثاني/

مشهد نور الأخذ بطلوع نجم الإقرار

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المشهد مناسب لفاتحة سورة (ق). وحرف القاف هو مفتاح أسمائه تعالى: (قدير قابض قيوم قريب قادر قاهر قوي قدوس). والقابض هو الآخذ، فلهذا جعل الشيخ اسم هذا المشهد (نور الأخذ وطلوع نجم الإقرار). ومعنى (قابض) من مظاهر (قادر) و(قوي) و(قاهر)، ولهذا تكلم الشيخ على القهر المتعلق بالأخذ، كما تكلم على اليد التي تعني القوة والقدرة. وتعلق القدرة بالمقدورات، أي تعلق اليد بالأخذ، من أغمض المسائل، ولهذا نجد ابن سودكين يعقب في آخر المشهد السابق على قول الشيخ: (فلو اطلعت على الأخذ لوقفت على الوجود الحقيقي) بقوله: (هذا مشهد لا يصحّ إدراكه أبدا لأن مشاهدة الحق في فعله لا ترى لأنه ليس عند الكون منه شيء). وقد أكد الشيخ هذا المعنى في الباب (404) من الفتوحات المخصوص بمنازلة سورة (ق) فيقول: [وليس في هذا الباب أشكل من إضافة العلم الإلهي إلى المعلومات ولا القدرة إلى المقدورات ولا الإرادة إلى المرادات لحدوث التعلق أعني تعلق كل صفة بمتعلقها «...» ورفع الإشكال في هذه المسألة عندنا أهل الكشف والوجود والإلقاء الإلهي أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات، وما ثمّ إلاَّ ذات الحق، وهي عين وجوده، وليس لوجوده مفتتح ولا منتهى فيكون له طرف، والمعلومات متعلق وجوده، فتعَلَقُ ما لا يتناهى وجودا بما لا يتناهى معلوما ومقدورا ومراداً. فتفطن فإنه أمر دقيق، فإن الحق عين وجوده لا يتصف بالدخول

في الوجود فيتناهى، فإن كل ما دخل في الوجود فهو متناه، والبارئ هو عين الوجود ما هو داخل في الوجود، لأن وجوده عين ماهيته، وما سوى الحق فمنه ما دخل في الوجود فيتناهى بدخوله في الوجود، ومنه ما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهي، فتحقق ما نبهتك عليه فإنك ما تجده في غير هذا الموضع. وعلى هذا تأخذ المقدورات والمرادات. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل].

وبين هذا المشهد وسابقه علاقة تستمد من علاقة الحرفين (ن) و(ق). فمن دلالات القاف كلمة (قلم) أي القلم الأعلى المستمد من نون الإجمال ما يفصله في اللوح المحفوظ وتحركه اليد الإلهية الآخذة به القابضة عليه. قال تعالى: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ القلم، الآية 1. وقد قال الشيخ في الفتوحات أن الله تعالى متجل باسمه (العليم) على النون وباسمه (القدير) على القلم. وتكلم في (رسالة الأنوار) على وصول السالك إلى شهود مقام القلم والنون واليد فقال، وما بين قوسين شرح لكلامه: [... رفع لك عن أستار كل شيء(يعني اللوح المحفوظ) ومعلمه (أي القلم الأعلى) فعاينت أثره وعرفت خبره وشاهدت انتكاسه وتفصيل مجمله من الملك النوني. فإن لم تقف معه رفع لك عن المحرك] إلى آخره فالمحرك هو يد القدرة الإلهية.

أشهدني الحق بمشهد نور الأخذ وطلوع نجم الإقرار.

قوله هذا يشير إلى الآيات من سورة الأعراف: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ۝١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝١٧٤ ﴾

فتأمل كيف ذكر تفصيل الآيات بعد آية الأخذ حيث إن القلم الأعلى هو مفصل الآيات في اللوح، ومن أوائل تلك الآيات، إقرار الذرية بربوبية الذي أخذهم من ظهور بني آدم.

وقال لي: الأخذ عين الترك وليس كل متروك بمأخوذ.

إنما يأخذ الحق خلقه في قبضة قهره ليقروا له بالربوبية، ولكن إقرارهم ليس في الحقيقة منهم بل منه هو تعالى، لأنه هو الذي يلهمهم الإقرار وينطقهم به إذ ليس لهم من الأمر شيء، وله وحده الخلق والأمر. وهذا يستلزم أن عين أخذهم هو عين تركهم في فقر عبوديتهم، فالأمر منه به إليه في مجالي ظهوره المقيدة المسماة خلقا. وقوله: «ليس كل متروك بمأخوذ» يحتمل معنيين لأن للمخلوق حكمان: حكم متعلق بحدوثه وهو العبودية، وحكم متعلق بخلقه على الصورة الإلهية الرحمانية الجامعة. والكامل هو المتحقق بكمالات الصورة بدون أن يحتجب بها عن عبوديته. فالمعنى الأول هو أنه ليس كل متروك في العبودية مأخوذ في التحقق بكمالات الصورة الإلهية. والمعنى الثاني هو أنه ليس كل متروك في الظهور بسيادة وحرية الصورة مأخوذ في لزوم العبودية، وكل منهما ليس بكامل.

ثم قال لي: تجدني ولا تأخذني وآخذك ولا أجدك.

أي تجدني من حيث استنادك إليَّ لأن الحق هو الصمد القيوم قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا ﴾ الآية 41 فاطر. و«لا تأخذني» من حيث: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾ الآية 110 من سورة طه. و«آخذك» من حيث ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ﴾ الآية 18 الأنعام. «ولا أجدك» أي لا أجد لك وجودا مستقلا عن وجودي إذ لا قيام لك إلاّ بي، إذ الوجود واحد وله حكمان لأنه يصح أن يقال: الله تعالى مع خلقه لقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾ ولا يقال: «الخلق أو العبد مع الله» لأنه غني بذاته عنهم، وهم فقراء إليه.

ثم قال لي: آخذك ولا آخذك.

الأخذ لا يكون إلا بعد المفارقة والبينونة، والعبد لا انفكاك له عن ربه فكيف يأخذه وهو لا يزال عنده، إذ لا وجود له إلا به ارتباطا ذاتيا يستحيل زواله.

ثم قال لي: إنما كان الأخذ من ورائك ولو كان من أمامك ما ضلّ أحد.

يشير بالأخذ من وراء إلى الآية المذكورة أولا حيث كان أخذه تعالى من بني آدم من ظهورهم. والوراء هنا يشير إلى حضرة العلم القديم حيث الأعيان الثابتة، والأمام يشير إلى حضرة القدرة والقول الإلهي «كن» الذي به تظهر الممكنات لأنفسها بعد أن كانت ظاهرة لله تعالى وحده. فلو كان الأخذ من أمام

لشهد جميع الخلق القدرة الإلهية الخلاقة متجلية في كل آن، وما ضلّ أحد.

ثم قال لي: ظهرت في الأخذ وخفيت في الترك.

ظهور الأمور يكون بوجود أضدادها. فبالأخذ الإلهي لخلقه يشهدون قهره وقدرته وربوبيته ويقرون بعبوديتهم له، فبأخذهم يذوقون عبوديتهم بظهور ربوبيته، ولو تركهم في حرية إطلاق الصورة الإلهية التي خلق الإنسان عليها لم يذوقوا عبوديته وبالتالي تخفى الربوبية.

ثم قال لي: الأخذ ثلاثة وكل عدد يفترق فلا أخذ.

الأخذ ثلاثة لأنه يستلزم آخذ فاعل ومأخوذ مفعول وفعل الأخذ، والربوبية الفاعلة تظهر بالعبودية المنفعلة، فبالثلاثة أول الأفراد يحصل الإيجاد، وكذلك كل عدد وتر يظهر عند جمع طرفيه زوج وفرد مثل: 5=3+2 أو 7=6+1 =4+3 فالفرد للحق الرب الفاعل، والزوج للعبد المنفعل. وأما العدد الذي يفترق فهو كل عدد زوجي يظهر عند جمع طرفيه عددان متساويان مثل: 4=2+2 أو 6=3+3 الخ. فلا ظهور لفعل الفرد الفاعل في الزوج المنفعل، أي لا ظهور للعبودية المنفعلة وبالتالي لا أخذ إذ لا ظهور للربوبية الفاعلة.

ثم قال لي: نفسي أخذت.

حيث إن الخلق أو العبد المأخوذ ما هو إلا مظهر مقيّد للوجود الحق المطلق.

ثم قال لي: انظر إلى الجماد وخذ تسبيحه فذاك جوابهم ببلى.

أي أن جواب الذرية بـ«بلى» لما أخذهم في العبودية في عالم الأرواح كما سبق في الآية المذكورة أولا كان جوابا ذاتيا فطريا من غير اختيار مثل تسبيح الجماد الذي يسبح بحمد ربه بفطرته الذاتية التي فطره الله عليها.

ثم قال لي: إن حجبتك بالأخذ تعذّبت عذاب الآباد في النعيم المقيم.

أي: إن حجبتك بالعبودية عن حرية إطلاقك من حيث حقيقتك الكلية ومن حيث خلقك على صورة الرحمان، تعَذَّبْتَ بالابتلاء والتكليف والقهر، لكن نفس ذلك العذاب يعود عذوبة في النعيم المقيم أبد الآباد. فكان ذلك الأخذ في حصر العبودية هو عين الذوق لإطلاق الحرية. وقد خصص الشيخ في الفتوحات لمعرفة مقام الحرية ومقام ترك الحرية ومقام العبودية ومقام ترك العبودية الأبواب 140/

139/130/141 والباب 210 لمعرفة حال الحرية، والباب 162 لمعرفة الفقر وأسراره، والباب 163 لمعرفة الغنى وأسراره.

ثم قال لي: ما آخذ إلاَّ من قلت، وما قلت إلاّ مملوك، وما ملك إلاّ مقهور، وما قُهر إلاَّ محصور، وما حُصر إلاّ محدث، وما حَدث إلاَّ عدم.

أي أن الأخذ القهري لا يكون إلاَّ لمن دخل تحت قول: «كُنْ» وهو كل مخلوق، وقد سبق في المشهد السابق أنَّ المخلوق هو العدم الظاهر.

ثم قال لي: أخذت المفترق فجمعته، وأخذته من الجمع فجمعته، ثم فرقته ثم جمعته، ثم لا تفريق ولا جمع.

كل ما تفرق في آفاق الوجود جمعه الله تعالى في الإنسان الخليفة آدم وخلفائه الكمّل لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية 53 فصلت. ثم جمع كل ما جمعه الكمل السابقون في الجمعية العظمى أي جمعية الإنسان الكامل الأكبر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ثم فرق جمعيته على خلفائه من أمته الخاتمة كل على حسب استعداده؛ ثم جمع كل ما تفرق فيهم في خاتم الولاية المحمدية الخاصة التي قال عن صاحبها الشيخ الأكبر في الباب 559 من الفتوحات تحت عنوان: (علم الاختصاص بالختم الخاص) أن الخاتم يتميز بذوقه كل علم لكل ولي محمّدي، وينظر مميزات هذا المقام الختمي في فص شيث من كتابه " فصوص الحكم".

ثم أشهدني ما فوق الأخذ فرأيت اليد؛ ثم أرسل البحر الأخضر بيني وبينها، فغرقت فيه فرأيت لوحا فركبت عليه فنجوت ولولاه لهلكت.

الانتقال من شهود الأخذ إلى رؤية اليد، هو الترقي من شهود توحيد الأفعال والصفات إلى الرؤية الذاتية، أو الترقي من الاسم إلى المسمّى، كما عبر عن ذلك شاعرهم:

وغب عن الاسم تشهد عند غيبته ... ذاك المسمى فمنك السمع والبصرا

وعبّر الآخر عن معنى أعلى من هذا فقال:

اشهده منك فرعا وأصلا ... من غير كيف منك إياه

أي شهوده فرعا من حيث المعرفة للخبر: «من عرف نفسه عرف ربه»

وشهوده أصلا من حيث الوجود ومن حيث اسمه الظاهر.

وقوله: «ثم أرسل البحر الأخضر بيني وبينها» أي فتح لي في الحضرة الذاتية حضرة العلم المطلق وهو البحر الأخضر لأن الماء والخضرة ترمزان إلى الحياة العرفانية الدائمة، وهي أشرف حياة.

وقوله: «فغرقت فيه» هو عبارة عن شهود العارف لعينه الثابتة في حضرة العلم القديم المطلق حيث المعلوم شأنا ذاتيا في الآن الدائم.

وقوله: «فرأيت لوحا فركبت فيه فنجوت، ولولاه لهلكت» يريد بلوح النجاة علوم الشريعة التي من سلك على منهاجها سعد، ومن حاد عنها هلك، وقد خصص الشيخ في الفتوحات الباب 168 لمعرفة مقام الأدب والباب 202 لمعرفة حال الأدب، كما خصص الباب 132 لمعرفة مقام الاستقامة، ولمعرفة التقوى بمختلف أنواعها خصص الأبواب 87/86/85/84...

ثم برزت اليد فإذا هي ساحل لذلك البحر، فالمراكب تجري فيه حتى تنتهي للساحل، فيبرزها الساحل ويرمي بها في القفر.

يعني أن الأمور الحادثة جارية وفق ما هي عليه في العلم المطلق القديم، وإنما تبرز من وجودها الثبوتي في العلم الذي هو البحر إلى ساحله، وهو وجودها الحادث الظاهر، ويتم هذا البروز بيد القدرة أو القول الإلهي: «كن» فيرمي بها في القفر أي الفقر، الذي هو حال كل مخلوق لتقيده بالعجز والحصر والحيرة. وفي حال الحيرة والاضطرار يكشف الرب عن عبده السوء فيوفّقه إلى العمل بالشريعة المبينة بواسطة الرسول وذلك معنى قوله اللاحق «فلما وصلت القفر رأيت في وسط القفر روضة خضراء».

ويخرج أصحاب المراكب معهم درّ وجوهر ومرجان، فإذا حصل في البرّ عاد أحجارا.

«أصحاب المراكب الذين معهم درِ وجوهر ومرجان» عبارة عن الممكنات في العلم القديم أعيانا ثابتة حيث أحكامهم في تلك الحضرة هي عين شؤون الحق تعالى بأسمائه الحسنى، فهي من أنفس الجواهر من حيث نسبتها للحق تعالى. لكن إذا برزوا إلى حضرة الحدوث والقيود تصبح تلك الأحكام السابقة منسوبة للمظاهر المقيدة فتفقد حسن إطلاقها ونسبتها للحق وتعود أحجارا. فكلمة أحجار تشير إلى

حجر التقييد.

فقلت له: كيف يبقى الدرّ دراً والجوهر جوهرا والمرجان مرجانا؟ قال: إذا خرجت من البحر فأخرج معك من مائه فما بقي الماء بقي الدرّ والجوهر والمرجان على حاله.

أي إذا لم يحتجب العبد بوجوده الحادث وبمظهره المقيد عن الوجود المطلق الحق ذي الأسماء الحسنى، ويعلم أنَّ الأفعال والصفات والقيومية لله وحده، فإنَّ شؤونه باقية على ما هي عليه في حقيقتها شؤونا ربانية درا وجواهر ومرجانا حيث إنها لم تتلوث بشهود الأغيار الوهمية. يقول ابن الفارض رضي الله عنه (ت: 632):

على سـمة الأسـماء تجـري أمـورهم وإن لـم تكــن أفعــالهم بالــسديدة

وفي الفتوحات نصوص كثيرة تؤكد هذا المعنى كالباب 422 في معرفة منازلة: «من ردَّ إليَّ فعلي فقد أعطاني حقي وأنصفني مما لي عليه».

فإن يبس الماء عادت أحجارا، وفي سورة الأنبياء أوضحت سرّها.

يبوسة الماء عبارة عن الغفلة بشهود الأغيار الوهمية والانحجاب بها عن شهود توحيد الأفعال والأسماء والذات، يحيث تعود في نظر الغافل نفائس تجليات الأسماء الحسنى حجارة لا روح فيها لخلوها من ماء الحياة المذكور في الآية 30 من سورة الأنبياء «وجعلنا من الماء كل شيء حي».

فأخرجت معي من الماء فلما وصلت القفر رأيت في وسط القفر روضة خضراء، فقيل لي: ادخل فدخلت. فرأيت أزهارها ونوّارها وطيورها وثمارها فمددت يدي لآكل من ثمرها فيبس الماء واستحالت الجواهر.

من كلامه هذا يتبين أن الغفلة أو الحجاب المعبر عنه بيبس الماء سببه مدّ اليد للأكل من ثمر الروضة الخضراء التي هي علوم الشريعة وأعمالها، لماذا؟ لأن أكل الثمر عبارة عن الذوق بسبب دافع الشهوة، أي أنّ خلط دواعي حظوظ النفس بمقاصد الشرع سبب للغفلة والحجاب. وفي الفتوحات نصوص تفصل هذا المعنى كالباب 407 في معرفة منازلة: «في أسرع من الطرفة تختلس مني إن نظرت إلى غيري لا لضعفي ولكن لضعفك.»

فإذا النداء: ألق ما بيدك من ثمرها. فألقيتها، فنبع الماء وعادت الجواهر إلى حالها.

إلقاء ما في اليد هو التبري من الحول والقوة إذ لا حول ولا قوة إلا لله تعالى، وذلك عبارة عن الرجوع من غفلة شهود الأغيار الوهمية إلى حضور شهود: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ الآية 115 البقرة.

ثم قال لي: سر إلى آخر الروضة. فسرت فوجدت صحراء. فقال لي: اسلكها، فسلكتها. فرأيت بها عقارب وحيّات وأفاعي وأسودا، فكلما نالني منها ضرر نضحت الموضع بالماء فبرئ.

أول الروضة يشير إلى علم الآيات والأحاديث المتعلقة بالتشبيه الإلهي مثل: الاستواء والنزول والضحك والرضا والغضب واليد والإصبع إلى غير ذلك. وأوسط الروضة هو الجمع بين التشبيه والتنزيه تحققا بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الآية 11 الشورى. وآخر الروضة يشير إلى علم الأخبار الإلهية المعبرة عن التنزيه وتجريد التوحيد، وهو ما عبر عنه بالصحراء، وهوامّها المهلكة عبارة عن الشبه المضلة والآراء المنحرفة والتي عبر عنها القطب عبد السلام بن مشيش (ت: 625 هـ) في صلاته المشهورة بـ«أوحال التوحيد». وكلما نال السالك منها ضررا بسبب غفلته عن الوقوف مع العلم الإلهي الشرعي الكشفي، نضح موضع ضرره بماء الحياة حياة الشهود العرفاني اليقيني فبرئ.

ثم فتح لي في آخر الصحراء عن جنَّات، فدخلتها فيبس الماء، فخرجت منها فنبع الماء.

يشير إلى أن للتنزيه نوعان: التنزيه الفكري العقلي كما هو عند الفلاسفة وبعض المتكلمين، وهو المشحون بشبه سموم العقارب والأفاعي ومهالك الأسود. والنوع الثاني التنزيه الشرعي الوارد في كتاب الله تعالى وعلى ألسنة رسله عليهم السلام وهو الذي عبّر عنه بجنات تلك الصحراء، ويبس الماء فيها هو عبارة عن قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ الآية 11 الشورى، أو قوله صلى الله عليه وسلم: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». وقد خصص الشيخ في

الفتوحات الباب 272 لمعرفة منزل تنزيه التوحيد ومرجعه لسورة الإخلاص. والباب 172 في معرفة مقام التوحيد وأسراره.

ثم دخلت ظلمة فقيل لي: ألق ثوبك وارم الماء والأحجار فقد وجدت. فألقيت كل شيء كان عندي، وما رأيت حيث ألقيت وبقيت. فقال لي: الآن أنت أنت.

الظلمة في حضرة الخلق والتقييد هي عبارة عن العبودية وفي حضرة الحق والإطلاق هي عبارة عن الهوية، أي غيب الذات. وتجرد العارف من كل ما بيده وما هو عليه هو عبارة عن رجوعه إلى عبودته الذاتية الأصلية. وقد بيّن هذا المعنى الشيخ الأكبر في العديد من أبواب الفتوحات كالباب 409 في معرفة منازلة: «أسمائي حجاب عليك فإن رفعتها وصلت إليَّ» وفيه يقول: [**IV** ص 13] ومن هذه الحضرة قيل: العارف مسود الوجه في الدنيا والآخرة، وقد فسَّر الشيخ هذا القول في الباب 23 من الفتوحات حيث قال: [... فإن كان القائل كنى عن نفسه، فهو يعني أنه صاحب مقام العبودة، فإنه يريد باسوداد الوجه، استفراغ أوقاته كلها في الدنيا والآخرة في تجليات الحق له، ولا يرى الانسان عندنا في مرآة الحق- إذا تجلى له - غير نفسه ومقامه، وهو كون من الأكوان، والكون في نور الحق ظلمة، فلا يشهد إلا سواده، فإن وجه الشيء حقيقته. ولا يدوم التجلي إلا لطائفة الملامتية، وهم الأفراد، أصحاب مقام القربة، وما فوقهم إلا درجة النبوة. وأما إذا أراد بالتسويد من السيادة، وأراد بالوجه حقيقة الانسان، أي له السيادة في الدنيا والآخرة، فيمكن، ولا يكون ذلك إلا للرسل خاصة، فإنه كمالهم، وهو في الأولياء نقص، لأن الرسل مضطرون في الظهور لأجل التشريع، والأولياء ليس لهم ذلك. فالأولياء الأكابر إذا تركوا وأنفسهم، لم يختر أحد منهم الظهور أصلا، لأنهم علموا أن الله ما خلقهم لهم، ولا لأحد من خلقه، وإنما خلقهم له سبحانه، فشغلوا أنفسهم بما خلقوا له، إلا أن يامرهم الحق بالظهور، فإن خيرهم ولا بد فيختارون الستر عن الخلق، والانقطاع إلى الله، ياكلون الطعام ويمشون في الأسواق، مشي ستر وأكل حجاب.]

ثم قال لي: ترى ما أحسن هذه الظلمة، وما أشدَّ ضوئها وما أسطع نورها؟ هذه الظلمة مطلع الأنوار ومنبع عيون الأسرار وعنصر المواد، من هذه الظلمة

أوجدتك وإليها أردّك ولست أخرجك منها.

حسن إحسان العبد في لزوم عبوديته، ونورها ساطع لأنها تري العبد حقيقته الذاتية الدائمة.

ثم فتح لي قدر سمّ الخياط، فخرجت عليه فرأيت بهاء ونورا ساطعا. فقال لي: رأيــت مــا أشدّ ظلام هذا النور؟ أخرج يدك فلن ترها. فأخرجت يدي فما رأيتها. فقال: هذا نوري لا يرى فيه غيري نفسه.

الخروج من الظلمة إلى النور الساطع الشديد الظلام هو عبارة عن الترقي من مقام العبودية إلى مقام العبودة التي هي الحرية في العبودية. وعدم رؤيته ليده عبارة عن رؤيته القدرة الفاعلة لله وحده لا له. يقول ابن الفارض رحمه الله:

وكــل مقــام عــن سـلوك قطعـته عــبودية حققــتها بعــبودة

وقد خصص الشيخ في الفتوحات الباب 130 لمقام العبودة، والباب 131 لمقام ترك العبودية، والبابين 140 و141 لمقام الحرية وتركها.

ثم قال: ارجع إلى ظلمتك فإنك مبعد عن أبناء جنسك.

أي: ارجع من الحرية في مقام (الأنا) إلى العبودية في مقام (هو)كما تقتضيه الحقيقة المطلقة، وذلك لأن الحرية في مقام (الأنا) مقام خَطِر، وفي خطورته وقع أكثر البشر، ومنشأه الانحجاب عن العبودية الذاتية بذوق ما يستلزمه الخلق على الصورة الرحمانية.

ثم قال لي: ليس في الظلمة غيرك ولا أوجدت منها سواك، منها أخذتك. ثم قال لي: كل موجود دونك خلقته من نور إلاّ أنت فإنك مخلوق من الظلمة. ثم قال لي: وما قدروا الله حقَّ قدره، لو كان في النور لقدروه، أنت عبدي حقا.

في هذا الكلام بيان لخصوصية الإنسان الكامل الذي تجلت فيه الكمالات الإلهية كلها لجمعه بين إطلاق ال (هو) في ظلمة نور المطلق وبين تقييد ال (أنا) في نور ظلمته المقيدة.

وصل: المظهر الخلقي لظلمة الهوية هو ظلمة الهباء الذي يسمّيه الشيخ بالسبخة السوداء، كما يسمي الجسم الكلي بالغراب. وللهباء عند الشيخ المرتبة الرابعة من مراتب الوجود فهو يأتي بعد القلم واللوح والطبيعة (راجع ما ذكره في

الفصل 14 من الباب 198 من الفتوحات)- وقول الشيخ: (من هذه الظلمة أوجدتك...) يذكّر بما قاله عن بروز الكون من الهباء في الباب السادس من الفتوحات حيث يقول ما خلاصته: [كان الله ولا شيء معه. فلما أراد وجود العالم وبدأه على حد ما علمه بعلمه بنفسه انفعل عن تلك الإرادة المقدَّسة بضرب تجل من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية انفعل عنها حقيقة تسمّى الهباء هي بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور وهذا هو أوّل موجود في العالم ثم إنه سبحانه تجلى بنوره إلى ذلك الهباء - ويسميه أصحاب الأفكار الهيولى الكل - والعالم كله فيه بالقوة والصلاحية فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء على حسب قوّته واستعداده. فلم يكن أقرب إليه قبولا في ذلك الهباء إلاّ حقيقة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم المسماة بالعقل فكان سيّد العالم بأسره وأوّل ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية. وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه.] انتهى. ويرمز أحيانا إلى الهباء بالعنقاء التي تحوم في طيرانها فوق قمّة جبل قاف العرشي، فالحقيقة المحمدية هي عين (قاف والقرآن المجيد). وعن الظلمات الثلاثة التي خلق فيها الإنسان راجع الباب (358) من الفتوحات المخصوص بسورة الشعراء (**III** ص 365).

ثم قال لي: إن أردت أن ترني فارفع السُّتور عن وجهي.

هذه الجملة مدخل لمشهد نور الستور التالي. والملاحظ أن حرف (ق) الذي له هذا المشهد عدده مائة، أي عدد الأسماء الحسنى التسعة والتسعين مع الاسم الأعظم الجامع، وهذه الأسماء هي الستور عن وجه الذات كما عبر عن ذلك من قال:

وغب عن الاسم تشهد عند غيبته ذاك المسمى فمنك السمع والبصر

المشهد الثالث/

مشهد نور السّتور بطلوع نجم التأييد

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهدني الحق بمشهد نور الستور وطلوع نجم التأييد.

هذا المشهد مناسب لسورة (الشورى) المفتتحة بـ﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ ﴾ .

ويريد بالستور الحجب المشار إليها في آيتها 51: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ . ولهذا نجد الشيخ في ذكره لعلوم منزل سورة (الشورى)في الباب (342) من الفتوحات يقول: [وفيه علم ما الحجاب الذي بين الله وبين عبده... وفيه علم الأنوار ومراتبها وسبحات الوجه ولماذا تعددت والوجه واحد والسبحات كثيرة]. وقد تعني الستور أيضا الأسماء الحسنى التي هي حجب عن المسمّى وهو ما بينه الشيخ في الباب (409) من الفتوحات وعنوانه " أسمائي حجاب عليك فإن رفعتها وصلت إليّ[1] ".

ويريد بالتأييد القوة التي يعطيها نور الستور وهو ما أكده الشيخ لما جعل عنوان الباب (440) من الفتوحات المتعلق بمنازلة سورة الشورى: [منازلة اشتد ركن من قوي قلبه بمشاهدتي] وموقع هذا الباب في الباب 559 في فقرة عنوانها:

---

(1) [ومنازلة هذا الباب مرجعها لسورة (النور) حسب الترتيب القرآني الخفي لأبواب المنازلات من الفصل الخامس للفتوحات].

[من أسس بنيانه قوى أركانه] (IV ص 422).

وقال لي: أتعرف بكم حجبتك؟ قلت: لا. قال: بسبعين ستارة، فإن رفعتها لم ترني وإن لم ترفعها لم ترني.

يشير بالسبعين ستارة للحديث الذي أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وابن حبان في العظمة: [إن لله تعالى سبعين حجابا من نور لو كُشِفَتْ عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما قابله] العدد سبعون هو عدد حرف العين، فكأن السبعين ستارة تشير إلى أن العبد محجوب عن شهود ربه ما دام مشاهدا لعين إنيته الشخصية فإذا فنيت حصلت الرؤية، فإن لم تكن تراه. وفي العديد من نصوصه تكلم الشيخ عن هذه السبحات، ينظر مثلا جوابه عن السؤال 115 من أسئلة الترمذي في الباب 73 من الفتوحات، والباب /448/ المتعلق بمنازلة سورة سبأ وعنوانه: [من كشفت له شيئا مما عندي بهت فكيف يطلب أن يراني هيهات]، والباب /458/ في معرفة منازلة إدراك السبحات الوجهية، ومن الباب (559) الفقرة التي عنوانها: (السبحات لأرباب اللمحات)(IV ص 417)، وكذلك الباب الأول من كتابه (عقلة المستوفز[1]).

- وقوله بعدم الرؤية سواء رفع الحجب أو لم يرفعها يعني به أن الذات العلية لا تحدُّ بحجاب رُفع أو لم يرفع. وكثير ما وضح الشيخ في فتوحاته هذا المعنى.[2]

---

(1) والملاحظ أن عدد فاتحة سورة هذا المشهد هو 770 (حاميم عين سين قاف = 99+130+360+181=770 بالحساب المغربي) كما أن عدد (حاميم = 99) يشير إلى عدد الأسماء الحسنى.

(2) عن الإحراق بأنوار التجلي وكون الإنسان لا يرى ولا يشهد من حضرة الله تعالى إلا نفسه، وأن الذات الإلهية لا تدرك إحاطة ينظر في الفتوحات:

- الباب 406 في (معرفة منازلة ما ظهر مني شيء لشيء ولا ينبغي أن يظهر) وهو من مواقع سورة النمل، وعنوان فقرته في الباب «559- IV ص 416»: (ما ظهر إلا أنت حيث كنت).

- الباب 411 في (معرفة منازلة الميت والحي ليس له إلى رؤيتي سبيل) وهو من مواقع سورة النجم في فصل المنازلات، وفقرته في الباب «559- IV ص 412» عنوانها: (من ليس كمثله شيء ما هو ميت ولا حي).

=

ثم قال لي: إن رفعتها رأيتني وإن لم ترفعها رأيتني.

أي إن رفعت حجب مظاهر التقييد رأيتني في الإطلاق، وإن لم ترفعها رأيتني ظاهرا في كل مرتبة بل وفي كل حجاب من حيث قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ البقرة 115

يقول ابن الفارض رحمه الله:

مظاهر لي فيها بدوت ولم أكن ... عليّ بخاف قبل موطن برزتي

ثم قال لي: إياك والاحتراق...

أي إياك والاحتراق في مقام الفناء لأنه نقص بالنسبة لمقام البقاء وبقاء البقاء للقيام بآداب العبودية وتكاليف الخلافة.

عن الاحتراق يتكلم الشيخ في الباب 458 في معرفة منازلة إدراك السبحات الوجهية فيقول ما خلاصته: (قال صلى الله عليه وسلم في الحجب الإلهية المرسلة بينه وبين خلقه أنه تعالى لو رفعها لأحرقت سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه. فهذه الحجب إن كانت مخلوقة فكيف تبقى للسبحات وهي غير محجوبة عنها؟ ولله سر أخفاه عن عباده سمى ذلك الإخفاء حجبا نورية وظلامية. فالنور منها ما حجب به من المعارف الفكرية به، والظلمة منها ما حجب به من الأمور الطبيعية المعتادة. وذلك الإحراق إنما هو اندراج نور أدنى هم فيه، بل هم هو، في نور

=

- الباب 414 في (معرفة منازلة ما ترى إلا بحجاب) وهو من مواقع سورة مريم، وعنوان فقرته في الباب «559- IV ص 411»: (إلحاق الأصاغر بالأكابر).
- الباب 426 وهو من مواقع سورة الأعراف.
- - الباب 431 في (معرفة منازلة من حجبته حجبته) وهو من مواقع سورة البقرة، وعنوان فقرته في الباب «559- IV ص 421»: (الحجاب حجاب).
- الباب 432 وهو من مواقع سورة الفاتحة وعنوان فقرته في الباب «559 - IV ص 408»: (الإنسان رداء الرحمن).
- الأبواب 441 - 442 - 448 - 458 - وفقرة في الباب «559 IV ص 417»: وعنوانها (السبحات لأرباب اللمحات).
- ينظر أيضا معنى إحراق السبحات في الموقف 108 من كتاب "المواقف " للأمير عبد القادر الجزائري.

أعلى، كاندراج أنوار الكواكب في نور الشمس، ومعلوم أن الكواكب على ضوئها في نفسها.)

ثم قال لي: أنت بصري فكن في أمان، وأنت وجهي فاستره.

قوله (أنت بصري) يشير إلى مقام قرب الفرائض، وهو متعلق باسمه تعالى (الخبير) من حيث قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾ وقد شرح ابن سودكين هذا القول بقوله: بك أبصر الأشياء فهو نظر خاص. وأما نظره لنفسه فنظر عام وهو عين ذاته. وقوله: (وأنت وجهي فاستتر) أي فاستتر بعبوديتك ولا تظهر مكانتك عندي وهو قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ - الكهف 111-... وكان عليه الصلاة والسلام نائب الحق فهو وجهه في العالم فكأنه يقول له استتر بقول: «إنما أنا بشر مثلكم».

ثم قال لي: ارفع الستور كلها عني واكشفني فقد أبحت لك ذلك، واجعلني في خـــزائن الغيوب حتى لا يرني غيري وادع الناس إلى رؤيتي وستجد خلف كل ستارة ما وجد الحبيب

رفع الستور عبارة عن شهود الحق سبحانه وتعالى في عين المظاهر المقيدة إذ هو الظاهر ولا ظاهر سواه، مع شهود عدم تقيده وانحصاره بالمظاهر إذ له الإطلاق اللامتناهي، وهذا هو التحقق بجمع الأضداد الذي هو من فوق طور العقول. وهذا كله بالنسبة لشهود العبد، وأما الحق فتنزهت ذاته عن حوادث التغيير رغم تجليه في كل صورة من حيث إنه تعالى ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ - الرحمن 29-.

وقوله: (وادع الناس إلى رؤيتي) أي رؤيتي في آيات الآفاق والأنفس وآيات كتاب الله المنزل على حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم، فإن تابعه يجد وراء ستارة كل آية قبسا مما وجده هو صلى الله عليه وسلم. يقول الشيخ الأكبر في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم: (واجعلني كأني إياه في كل أمر أتولاه من طريق الاتباع والانتفاع لا من طريق المماثلة والارتفاع). وفي الحديث عنه - صلى الله عليه وسلم-: «لولا تمريج في قلوبكم وتزييد في حديثكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع» (ذكر الشيخ هذا الحديث في أواخر الأبواب: **12**و **302**و **334** من

الفتوحات).

فتأمل واقرأ ﴿ سُبۡحَٰنَ ... ﴾ فإذا وصلت ﴿ ...ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ فافهم مرادي، وأخبر العباد بما رأيته لتشوقهم إليّ وترغبهم فيّ وتكون رحمة لهم.

الآية الأولى من سورة الإسراء ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١ ﴾ يشير بها إلى الآية 11 من سورة الشورى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ ثم شرع في تعداد الحقائق التي تنكشف برفع ستور كلمات الآيات من سورة الشورى بدأ من آيتها 11، كما تنكشف الآيات عند الاسراء بسر ﴿ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ الآية 11.

ثم الثاني **الوجود**: أي وجود الهوية الذاتية المطلقة من قوله ﴿ هُوَ ﴾ بعد ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ الآية 11.

يتكلم الشيخ أبو محمد روزبهان الشيرازي (ت: 606هـ) عن مقامي العدم والوجود في الفصلين 19 و20 من الباب 11 في كتابه (مشرب الأرواح) فيقول: [وجود العارف في وجود الحق وجود مجازي، وإلى العدم أليق، وهو معدوم بالحقيقة بحيث إن لا يوازي مشاهدة القديم. فالعدم: عدم النفس في القهر، وعدم العقل في إشراق أنوار الوحدانية، وعدم القلب في نور الكبرياء، وعدم الروح في ظهور الأزلية، وعدم السرّ عند ظهور الكل للكل. قال العارف قدس الله روحه: العدم ميراث بقاء كشوف جلال السرمدية بقلب العارف... والوجود بقاء السرّ في مشاهدة بقاء الحق حيث أوصله الحق إلى أوائل مقام الأنس والصحو بعد أن كان معدوما في عيون القدم. قال العارف قدس الله روحه: الوجود بقاء عين العارف في مشاهدة الجمال.]

ثم الثالث **الموجود**: أي وجود الأسماء الثبوتية «السميع البصير» بعد «هو» الآية 11.

ثم الرابع **العهود**: أي عهود الشرائع التي أمر الله بها عباده في قوله:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ الآية 13.

ثم الخامس **الرجوع**: أي الرجوع إلى الله تعالى بطريق جذب الاجتباء أو سلوك الهداية من قوله: ﴿ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ الآية 13.

ثم السادس **البحور**: أي بحور التفرق في بحر العلم من قوله: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ الآية 14.

ثم السابع **الظلمات**: أي ظلمات البغي والشك والريب: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ الآية 14.

ثم الثامن **الخضوع**: خضوع الاستقامة: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ الآية 15.

ثم التاسع **التعليم**: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ الآية 15.

ثم العاشر **الاشتقاق**: أي اشتققت لك من أسماء الربوبية أسماء مناسبة للعبودية. مثل قول محمد بن عبد الجبار النفري: «إن استخلفتك شققت لك شقا من الرحمانية». والرسول الخليفة اشتق له من اسمه تعالى " العادل" قوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ الآية 15.

ثم الحادي عشر **الإباحة**: تظهر الإباحة في الأعمال المشروعة المباحة للمؤمنين من قوله: ﴿ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا ﴾ الآية 15.

ثم الثاني عشر **المنع**: المنع في الأعمال التي نهى عنها الشرع ومن أعمال الكافرين من قوله: ﴿ وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ ومن قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ و ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ الآيات 15/13.

ثم الثالث عشر **التعدي**: أي مجاوزة الحدود كالمحاججة بالباطل من قوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ ﴾ الآية 16.

ثم الرابع عشر **الغضب**: من قوله: ﴿ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ ﴾ الآية 16.

ثم الخامس عشر **السجن**: ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ الآية 16.

ثم السادس عشر **الحروف**: حروف الكتاب من قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ الآية 17.

ثم السابع عشر **التولّد**: ما يتولد في الإنسان من أعمال توضع في الميزان وهي الأعمال المذكورة في الآية 15:

﴿ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾ والميزان مذكور في قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَ ﴾ الآية 17.

ثم الثامن عشر **المـــوت الجزئي**: الموت الجزئي عند قيام الساعة الصغرى بموت الإنسان.

ثم التاسع عشر **الموت الكلي**: الموت الكلي عند قيام الساعة الكبرى بفناء جميع الخلق عند النفخ في الصور وذلك من قوله: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ۝١٧ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ ۝١٨ ﴾- الشورى: 17-18

ثم العشرون **التوجيه**: التوجيه هو عبارة عن السريان من حضرة إلى حضرة. والسريان من أحكام اللطافة من قوله: من الآية 19: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾، ومن لطفه توجيه الرزق لمن يشاء كما يشاء، من قوله: في آخر الآية السابقة: ﴿ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ .

ثم الواحد والعشرون **التبليغ**: أي تبليغ كل شخص إلى ما يريده في الدنيا وفي الآخرة من قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠ ﴾ الآية 20. ومن التبليغ قوله: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾ الآية 23.

ثم الثاني والعشرون **الاعتصام:** أي الاعتصام بالتوحيد وبالشرع الذي أذن به الله من قوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الآية 21.

ثم الثالث والعشرون **القدمان:** قدم الجبر والشقاء للظالمين وقدم الصدق ونعيم الجنات للذين آمنوا من قوله: ﴿ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ الآية 22.

ثم الرابع والعشرون **الاختصاص العام:** ما خصّ الله به رسوله من ختمه على قلبه وما خصّ به عباده من قبول توبتهم وعفوه عنهم ويزيدهم من فضله من قوله: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ ...فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الشورى: 23-26).

ثم الخامس والعشرون **التنزيل:** تنزيل الرزق وتنزيل الغيث من قوله: ﴿ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ الآية 27. وقوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ ﴾ الآية 28.

ثم السادس والعشرون **الشق:** يقول النفري في مواقفه: «ان استخلفتك شققت لك شقا من الرحمانية» فانتشار رحمته تعالى مشتق من رحمانيته من قوله: ﴿ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾. واشتق لأوليائه الحامدين المحمودين من اسمه ﴿ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ الآية 28.

ثم السابع والعشرون **التطهير:** قال تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ الأنفال الآية 11. وهو الغيث من قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾

الآية 28.

ثم الثامن والعشرون **التلفيق**: التلفيق هو الجمع بين المتباينات كما في قوله ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ الآية 29.

ثم التاسع والعشرون **التحريم**: أي تحريم ما يجر المصائب على العباد من قوله: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ الآية 30.

ثم الثلاثون **التقديس**: يحصل التقديس للعبد عندما يطهره ربه بالعفو عنه من قوله: ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ الآية 30.

ثم الواحد والثلاثون **الشفع**: هو عبارة عن وجود الحق تعالى ووجود من دونه وهم خلقه من قوله: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ الآية 31.

ثم الثاني والثلاثون **الامتطاء**: أي الركوب على الجواري من قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الآية 32.

ثم الثالث والثلاثون **السلوك**: أي السير في بحر السلوك أو الوقوف في مواقفه كما في قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الشورى: 32-34].

ثم الرابع والثلاثون **اللبن**: أي العلم من قوله: ﴿ وَيَعْلَمَ ﴾ الآية 35.

ثم الخامس والثلاثون **الفزع**: يكون الفزع عند اليأس من الهروب عند الهول من قوله: ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ الآية 35.

ثم السادس والثلاثون **الامتزاج**: الدنيا هي دار الامتزاج بين السعداء والأشقياء من قوله: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الآية 36.

ثم السابع والثلاثون **الأرواح**: الروح من أمر الله وأمره عنده من قوله: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ الآية 36.

ثم الثامن والثلاثون **الجمال**: جمال ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

الآية 36.

ثم التاسع والثلاثون **العلى**: أي التعالي عن مقارفة الإثم والفواحش والغضب من قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الآية 37.

ثم الأربعون **السيادة**: السيادة لمن قال عنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ ﴾ الآية 38.

ثم الواحد والأربعون **المناجاة**: أي الصلاة من قوله: ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآية 38

ثم الثاني والأربعون **التخليل**: تخالل الآراء بين المتشاورين من قوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية 38. ومن الاتفاق أن هذا العدد (42) هو رقم سورة الشورى التي اشتقّ اسمها من هذه الآية. ومن الآية التي ابتدأ منها ذكر الستور ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ إلى آخر السورة 42 آية.

ثم الثالث والأربعون **الانتهاء**: قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ - النجم 42- وذلك المنتهى يتم بالتخلق بأسمائه الحسنى من قوله: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾- القصص 77- ومن ذلك قوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ الآية 38.

ثم الرابع والأربعون **الترك**: أي ترك المآخذة من قوله: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ ﴾ الآية 40.

ثم الخامس والأربعون **المحبة**: قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الآية 40. يعني أيضا أنه يحب المقسطين.

ثم السادس والأربعون **رفع الوسائط**: ترتفع الوسائط عند تجلي الأسماء الحسنى في أخلاق وأفعال العبد. فمن أسمائه تعالى «الصبور الغفور» فبتجليها في العبد يكون صبورا وغفورا من قوله: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ

ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ الآية 43.

ثم السابع والأربعون **السر:** قوله في الآية (44): ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ الآية 44. يُشعر بمعنى: [ومن يضلل الله فماله من ولي إلاّ الله] لكن مثل هذا التأويل ينبغي ستره لما فيه من الالتباس والمهالك.

ثم الثامن والأربعون **الصدور:** الصدور عكس الورود، وكلمة ورود قريبة من كلمة (مردّ) الواردة من قوله: ﴿ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾ الآية 44. فالصدور هنا هو الخروج إلى الآخرة.

ثم التاسع والأربعون **الصدّيقية:** أي المشاهدة بعين اليقين والتصديق بما أنذر الرسول كما في قوله: ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا ﴾ الآية 45.

ثم الخمسون **القهر:** ﴿ خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾ الآية 45.

ثم الواحد والخمسون **الحياء:** ﴿ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ ﴾ . الآية 45.

ثم الثاني والخمسون **الشهامة:** الشهامة تشير إلى نصرة الأولياء لمن هداهم الله كما في قوله: ﴿ ...وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية 46.

ثم الثالث والخمسون **الانصرام:** الانصرام يكون بنهاية يوم القيامة المذكور في الآية 45 وهو ﴿ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ في الآية 47، وهو ﴿ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ ﴾ من الآية 7.

ثم الرابع والخمسون **الميراث:** من قوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ الآية 14.

ثم الخامس والخمسون **الاصطلام:** خصص الشيخ لمقام الاصطلام الباب 232 من الفتوحات وفيه يقول عن صاحب الاصطلام أنه ساكن لخدر جوارحه فإن تحرك فحركته دورية حتى لا يزول عن موضعه لأنه لا يجد منفذا فيه فيدور كأنه يريد الفرار منه. وهذا الوصف مناسب لقوله تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ ﴾ الآية 47.

ثم السادس والخمسون **الفناء:** يحصل الفناء بزوال الحفظ من قوله: ﴿ فَإِنۡ

أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ الآية 48.

ثم السابع والخمسون **البقاء:** أي بقاء الرسول للبلاغ من قوله: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾- الآية 48-.

ثم الثامن والخمسون **الغيرة:** أي الغيرة بالانتقام عند انتهاك المحارم من قوله: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾- الآية 48-.

ثم التاسع والخمسون **الهمَّة:** إشارة إلى الهمة الخلاقة من قوله: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾الآية 49.

ثم الستون **الكشف:** من حيث إن الأشياء تعرف بأضدادها فإن الكشف ضد الستر وهو الكفر من قوله ﴿ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾ الآية 48.

ثم الواحد والستون **المشاهدة:** المشاهدة تكون بإدراك ما وراء الحجاب من الآية ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ الآية 51.

ثم الثاني والستون **الجلال:** جلال الله عن مكالمة البشر إلا من وراء حجاب من الآية ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الآية 51.

ثم الثالث والستون **الجمال:** من الجمال الوحي ونور الهداية من الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الآية 52.

ثم الرابع والستون **ذهاب العين:** كل عين حادثة تذهب بتجلي القديم في حضرة ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ الآية 53.

ملاحظة: ثم ذكر الشيخ بقية ما رأى عند رفع الستور السبعين، والله أعلم بمراده في إشاراته إليها، ولكن يمكن تأويلها على النحو التالي:

ثم الخامس والستون **ما لا يدرك: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ ﴾** الآية 1.: يشير إلى قلب

(محمد) و(أحمد) خصوصا في المقام المحمود كما أشار إليه في الباب 338 من الفتوحات وهو متعلق بمنزل سورة الأحقاف المفتتحة بـ(حم). والقلب المحمدي لا يعلم حقيقته إلا ربه، فلا يدرَك.

ثم السادس والستون **ما لا يسمع:** ﴿عين﴾ الآية 2. (من عسق) المشيرة إلى المعاينة وعند المعاينة والرؤية تنقطع العبارة والكلام وانقطاعها هو «ما لا يسمع».

ثم السابع والستون **ما لا يفهم:** ﴿سين﴾ الآية 2. (من عسق) تشير إلى السرّ وهو المكتوم الذي لا يفهم.

ثم الثامن والستون **ما لا ينقل:** ﴿قاف﴾ الآية 2. من (عسق) يشير إلى القلب في مقام القرب، وما يتحقق به القلب هو مما لا ينقل.

ثم التاسع والستون الإشارة: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ ﴾ الآية 3. ورجع إلى هذه الإشارة في آخر السورة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ﴾ الآية 52.

ثم السبعون **الكل:** يشير إلى نهاية الآية التي انتهى إليها أي ﴿ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ أو إلى بسملة السورة الجامعة لأمهات العلوم المفصلة في سورتها، ولهذا قال: **ثم يتبعه التفصيل.**

قـــال العـــبد: فلما انتهيت قال لي: ما رأيت؟ قلت: عظيما. قال لي: ما أخفيته عنك أعظم:

أي أنه رأى آيات الله في القرآن العظيم وفي إزار العظمة المنشور في الآفاق، لكنه أخفى عنه ما هو أعظم وهو آيات الذات الإنسانية المخلوقة على الصورة الرحمانية والمطوي فيها رداء الكبرياء.

ثم قال لي: وعزتي ما أخفيت عنك شيئا ولا أظهرت لك شيئا:

أي ما أخفى شيئا من مظاهر التقييد أو الممكنات الممكن إظهارها، ولا أظهر شيئا من غيب الهوية الذاتية المطلقة الباطنة إذ العجز عن إدراكها إدراك.

ثم أحرق الستور ورائي فرأيت العرش فقال لي: احمله، فحملته، فقال لي: ألقه في البحر. فألقيته فغاب. ثم رمى به البحر. فقال لي: استخرج من البحر حجر

المـــثل. فأخرجته، فقال لي: ارفع الميزان، فرفعته، فقال لي: ضع العرش وما حواه في كفّـــة، وضع حجر المثل في الكفّة الأخرى. فرجح الحجر، فقال لي: لو وضعت من العرش ألف ألف إلى منتهى الوقف لرجحه ذلك الحجر:

مدار هذه الفقرة على الآية (11) من (الشورى): ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ كثيرا ما تكلم الشيخ عن هذه الآيات في الفتوحات (**I**: 290، 351 / **II**: 211 - 219 - 290- 291 - 470 - 661 - 662 - 692 / **III** 534 / **IV**: 135 - 411 حتى أنه خصص لها الباب 499 في معرفة حال قطب كان منزله «ليس كمثله شيء وقتا على زيادة الكاف ووقتا على كونها صفة لغرض المثل وهو مذهبنا والحمد لله».

يعني أنه باعتبار الكاف غير زائدة في ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ يمكن فهمها: (ليس مثل مثله شيء) لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن الله خلق آدم على صورته] فالإنسان الكامل المخلوق على صورة الرحمان هو المثل الأعلى. وسماه الشيخ في هذا المشهد (حجر المثل)[1] لأن كلمة (حجر) تشير إلى (حِجْر) بكسر الحاء أي المنع والتحديد أي التكليف والعجز والفقر أي صفات العبودية المتمثلة خصوصا في الحجر الجامد.

فالإنسان الكامل مع تحققه بكمال صورته الإلهية لم ينحجب عن عبوديته وإمكانه، فهو البرزخ الجامع لطرفي الوجوب والإمكان أو الإطلاق والتقييد وما يتفرع منهما من أضداد. فقوله (أحرق الستور) أي أفنى الحجب المانعة عن التحقق بمقام الإنسان الكامل. وحمله للعرش يعني به أن العرش من حيث حقيقته جزء من جملة حقائق الإنسان الكامل فهو بمثابة الجسم الحامل لجميع القوى. فلو وضع كل ما سوى الإنسان الكامل في كفّة الميزان ووضع الإنسان الكامل في الكفة الأخرى لرجحت كفة الإنسان الكامل لأنه هو وحده المخصوص بكمال المثلية وبكمال العبودية من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الزخرف الآية 81. وفي هذا المعنى أشار إلى قول أبي يزيد البسطامي: [لو كان

(1) ويلاحظ أن عدد (ليس كمثله شيء = 29= حجر المثل) بالجزم المغربي الصغير.

العرش وما حواه في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ به]. وعن هذه الموازنة يراجع الباب السادس من فصوص الحكم وهو فص حكمة حقية في كلمة إسحاقية. ورجحان العبد الكامل على كل ما سواه من الخلْق ذكره الشيخ في العديد من نصوصه حتى العقل الأول الأكبر يقول عنه في الفصل الأول من الباب 371: [... فإن الكمال في الإنسان الكامل بالفعل وهو في العقل الأول بالقوة. وما كان بالقوة والفعل أكمل في الوجود ممن هو بالقوة دون الفعل.]. وفي هذا الباب 371 تكلم الشيخ على العرش وقال إن الله تعالى أنزل الشيخ الأكبر في أفضل أركانه وجعله من حملته وله أفضل قوائمه وهي خزانة الرحمة، وذكر أن العرش فوق الماء الجامد المحمول بالهواء المحاط بظلمة الغيب. فقوله في هذا المشهد: (ألق العرش في البحر فألقيته فغاب) يشير إلى انطواء العرش وما حواه في بحر العلم القديم المحيط. وفي كتابه " أيام الشأن" يصف الشيخ سباحة العرش على بحره فيقول:

انظـر إلـى العـرش علـى مائـه ... سـفينة تجـري بأسـمائه
واعجـب لـه مـن مـركب دائـر ... قـد أودع الخلـق بأحـشائه
يـسبح فـي بحـر بـلا سـاحل ... فـي حـندس الغـيب وظلمائـه
ومـوجه أحـوال عـشاقه ... وريحـه أنفـاس أبـنائه
فلـو تـراه بالـورى سـائرا ... مـن ألـف الخـط إلـى يائـه
ويـرجع العـود علـى بدئـه ... ولا نهايـات لإبدائـه
يكـور الـصبح علـى لـيله ... وصـبحه يفنـى بإمـسائه

فقلت له: ما اسم هذا الحجر؟ فقال: ارفع رأسك وانظر، في كل شيء تجده مرقوما. فرفعت رأسي فوجدته في كل شيء:

قوله انظر في «كل شيء» تجد اسم هذا الحجر مرقوما، يمكن أن يشير بـ«كل شيء» إلى اللوح المحفوظ لأن الشيخ يقول في الباب 375 من الفتوحات أن من أسماء اللوح المحفوظ " كل شيء". ويمكن أن يشير به أيضا إلى بسملة سورة الشورى لأن الإنسان الكامل مخلوق على صورتها الإلهية الرحمانية (ينظر هذا المعنى في الباب 16 من الفصوص وهو فص حكمة رحمانية في كلمة سليمانية)، كما يمكن أن يشير به إلى الآية (9) من الشورى: ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. فانظر تسمّى الله تعالى بالولي الذي هو على كل شيء قدير.

ثم حجبني بخمسين حجابا وكشف عن وجهي أربع مائة حجاب ما شعرت بها أنها على وجهي من دقّتها:

لست أدري مقصود الشيخ بالعددين 50 و400. لكن يمكن تأويل كلامه كما يلي: العدد 50 هو عدد النون وهو الحرف الذي يشير إلى إنية الحق تعالى أو إنية المخلوق. فإنية الحق محجوبة عن سواه إذ لا يعرف الله إلا الله. وكذلك فإن إنية المخلوق المقيدة هي عين حجابه عن إنية الحق المطلقة. وأما العدد 400 فهو عدد التاء، وحرف التاء هو حرف الخطاب (أنت) الذي يستلزم مشاهدة المخاطب، ولهذا قرنها الشيخ بالكشف عن الوجه.

ثم قال لي: أضف ما رأيت في كل شيء إلى الحجب، فما اجتمع فهو اسم ذلك الحجر.

الله أعلم بمراد الشيخ في هذه الفقرة التي تحتمل عدّة تأويلات منها التأويل التالي:

عدد (حجر المثل) هو: 811 بعدم اعتبار الألف بين الراء واللام لأنها لا تظهر في اللفظ، وهذا العدد هو مجموع العدد المذكورللحجب (450) مع عدد كلمة (كل شيء= 361) باعتبار الهمزة، أي: 450 + 361 = 811.

تأويل آخر: ما يُرى في كلمة: (كل شيء) هو ستة حروف باعتبار تضعيف اللام والهمزة، وعدد الحجب المذكورة هو 450 فمجموعهما 456. واسم الإنسان الكامل في كل عصر هو (عبد الله) الذي عدده 142. والعدد الإجمالي للرسل الكمل هو 314 كما هو مشهور، وهو عدد (محمد) مفصلا (ميم حا ميم ميم دال) وهو عدد كلمة (الإنسان الكامل = 192 + 122 = 314). فمجموع العددين 142 + 314 = 456 المساوي لمجموع أعداد الحجب والحروف الستة لكلمة (كل شيء). والله أعلم.

ثم قال لي: كل ذلك مكتوب أزلاً، هذا كل شيء بين يديك فاقرأ:

أي اقرأ سورة الشورى التي هي من القرآن الأزلي، وفيه تبيان كل شيء.

والملاحظ أن الكلمات الأساسية في هذا الخطاب التالي هي نفس الكلمات السبعين التي ذكرها عند رفع الستور.

بسم الله الرحمن الرحيم من الوجود الأول إلى الوجود الثاني. أما بعد، فالعدم سبقك وكنت موجودا: هذا الخطاب من الوجود الأول، أي وجود الحق المطلق إلى المَثل الأعلى الخليفة الآدمي الذي له الوجود المقيد، وهو أعلى مظاهر الوجود المطلق، بدون تعدد للوجود الواحد، فأولية الحق تعالى لا ثاني لها إذ هو الأول والآخر والظاهر والباطن في الإطلاق والتقييد. وهذا الخطاب مناسب للآية (3): ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾. فالموحي الوجود الأول، والمُوحى إليه له الوجود الثاني النسبي. وقوله (كنتَ موجودا)أي: موجوداً لعلمي القديم الأزلي، وأما من حيث حدوثك كمظهر مقيد فالعدم سابق لك سبقية حكمية لا زمانية إذ الزمان متعلق بظهور الممكن لا قبله، وقد فصّل الشيخ هذا المعنى في كثير من نصوص الفتوحات وفي (كتاب الأزل). وكلامه هنا مناسب للمشهد الأول.

ثم عهدتك في حضرة الوحدانية بالإقرار ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ فشهدت لي بذلك: يريد بحضرة التوحيد إقرار الأرواح في عالم الذرّ بربوبية الله تعالى كما في الآية 172 من سورة الأعراف: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ وكلامه هنا مناسب للمشهد الثاني.

وعن تلك الشهادة يتكلم الشيخ أبو محمد روزبهان البقلي الشيرازي (606 هـ) في الفصل 25 من الباب 13 في كتابه " مشرب الأنوار" فيقول: [إذا برز سناء العزة اضمحل الكون ولم يبق أثر الحدثان في جناب الرحمن يتعزز بكبريائه ويحضر نقباء قربه، ويظهر نفسه لهم، ويشهد بأزليته وجلال قدمه، ويفنيهم بعظمته ويبقيهم ببقائه، والغرض في ذلك إلباس أنوار جمال وحدانيته إياهم بجلوة جلاله لهم، قال سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾- آل عمران: 18- قال العارف - قدس الله روحه-: موضع شهادة الحق على نفسه القدم وظهور مقتضى العدم. فإذا ظهرت شهادته اضمحلت الأكوان والحدثان، ولا يبقى إلا من شهد بالحق وأجاب

الشهادة بالحق حيث قال تعالى: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ -الأعراف: الآية 172-].

ثم رددتـــك، ثم أخـــرجتك، ثم رميـــتك في البحر، ثم ألقيت أجزاءك في الظلمـــات، ثم بعثـــتك إليهم فأقرّوا لك بالطاعة وخضعوا. ثم آنستك بجزئك في حضرتك مباحة لك:

أي رددتـك إلـى الغيب بعـد ميثاق الأرواح، ثـم "أخـرجتك" أي أخـرجت الأجزاء التي سينشأ منها جسمك إلى العـالم الطبيعي العنصري إلـى أن تجمعت هيأتك في رحـم أمك، ثـم " رميتك في البحر" أي العلم المكتسب في الدنيا منذ الـولادة، ثـم " ألقيت أجزائك في الظلمـات" أي ظلمات الهيئة الجسمية العنصرية الطبيعية الكثيفة المقيدة. " ثـم بعثتك إليهم " أي إلى أجزائك أي جوارحك وقواك الظاهـرة والباطنة وذلك بالتكاليف الشرعية عند سن البلوغ. (فأقروا لك بالطاعة وخضعوا) عبارة عن التوفيق للعمل بالشريعة وحكم العقل المستنير بالشرع على الهوى والطبيعة. قال البوصيري رحمه الله في همزيته:

وإذا حلـــت الهدايـــة قلـــبا　　　نـــشطت للعـــبادة الأعـــضاء

(ثم آنستك.... لك) أي أني تركت لنفسك وما تهواه قسم المباحات الشرعية. والعقل المكلف يأنس بالنفس كما يأنس الزوج بزوجته. يقول تعالى في الآية (11): ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾.

ثم حرمت عليك حضرتي: أي حرمت عليك حضرة الإطلاق ما دمت مقيدا بجسمك العنصري ظاهرا، ومقيدا بعبوديتك باطنا.

وأذنت لك بالدخول فيها: أي الدخول في حضرة الحرية والإطلاق بحكم الصورة الرحمانية التي خلق عليها الإنسان، كما أذن لـه بالدخـول في حضرات المباحات الشرعية فقط، فإن تعدى حدودها يتعرض للغضب ولهذا قال:

فغـــضبت علـــيك فسجنتك: أي بالعقاب في الدنيا أو في البرزخ أو في الآخرة.

وأنت مرحوم. لقوله تعالى في الآية (30): ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

ثم شكلت لك الحروف فحفظتها، ثم أعطيتك القلم فاستويت على عرشك وكتبت في اللوح المحفوظ ما أردته منك: يقارن الشيخ القلم الأعلى وما يكتبه من حروف وجودية في اللوح المحفوظ بعلاقة الذكر بالأنثى عند النكاح. فهذه الفقرة تشير لهذا النكاح وما ينتجه من ذرية كما سيوضحه لاحقا.

ثم أحييت بعضك أي أحييت قلبك وباطنك بالعلم الرباني النافع. وأحييت جسمك وظاهرك بالطاعات.

ثم أكملتك بالحياة أي الحياة العرفانية والتحقق بالكمال.

ثم أخرجت منك أجزاءً فرّقتهم في زوايا السجن بأصناف اللغات وأيدتهم بالعصمة وأقعدتهم على الكرسي.

أي أخرج من الإنسان ذريته وفرقهم في زوايا الدنيا والعالم الحسي وأيدهم بالاعتصام بالشرائع وأقعدهم على كراسي الخلافة والتصرف قال تعالى في الآية (13) ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾. قال ابن سودكين في شرحه لهذه الفقرة: [وحتى باعتبار المعنى فالصور المنشأة من الأنفاس والأعمال بمنزلة الذرية في عالم الحس].

ثم خصّصت واحدا منهم فخصصتك بسببه فأيدته بالكلمات، ثم طهرته من الأدناس، وحرمت عليه الأكوان وقدّست محلّه، وشفعته في كلك. ثم غمسته في البحر فركب على دابة من دوابه، ثم سرى في الآن، فأنزلته على قبّة أرين، فأعطيته الحياة الكلية، وعصمته من جزئه.

يقول ابن سودكين ما خلاصته: أي خصصت واحدا منهم وهو العلم بالله تعالى إذ هو في نشأتك بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم في الوجود. وبنسبة هذا العلم إليك صرت بجملتك مخصصا. وغمسه في البحر عبارة عن علم خاص إلهي. ودابة البحر عبارة عن علم ممثل في صورة برزخية. وسريانه في الآن أي في زمن الحال زمن الوجود. وقبة أرين هي محل الاعتدال الحافظ للنشأة لمقام الكمال المتعال عن التقيد بصفة. والحياة الكلية هي الديمومة. وعصمته من جزئه أي من

عالم الطبيعة ومن دواعي الهوى والنفس لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾- النجم: 3 - 4.

ويمكن فهم الفقرة السابقة على النحو التالي: في هذه الفقرة خطاب من الله تعالى للإنسان الخليفة يبين فضله حيث أبرزه من العلم إلى العين فظهر في عالم الذر لما أخذ الله الميثاق على الأرواح مخاطبا لهم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾. ثم أُرجع الروح إلى الغيب، وبث عناصره في الطبيعة وأودع ذراته أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، إلى أن بلغ أجل الظهور في نشأة حصر الدنيا وسجن التكليف وهو سجن الرحمة لأنه سبب الترقي. وأول مظاهر الإنسان الخليفة هو الأب آدم عليه السلام الذي شكلت له الحروف، أي علمه الله تعالى الأسماء كلها، واستوى على عرشه، أي على عرش الخلافة فسجدت له الملائكة لأنه مخلوق على صورة الرحمن، ثم أخرج منه حواء وهو قوله: (أحييت بعضك)، فظهر النكاح وهو قوله: (أكملتك بالحياة) لأن النكاح سبب الحياة. ثم انبثت منهما الذرية، واختار الله تعالى منهم الأنبياء والرسل والخلفاء، وفرقهم في زوايا سجن الدنيا، وأقعدهم على كرسي الخلافة والولاية بأصناف اللغات أي باختلاف الشرائع والأمم والصحف والكتب المنزلة: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾- الشورى 13 - وخصص سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالختمية: ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾- الشورى 24 - وأيده بالكلمات: وقدس محله وطهره من الأدناس: ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾- نفس الآية 24 -. ثم غمسه في بحر العلم القرآني والرحمة للعالمين، وركب على البراق للإسراء وعرج في الآن أي الآن الدائم فوق الزمان: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝٢٩ ﴾- الشورى 29 - إلى أن كان قاب قوسين أو أدنى حيث أعطي الحياة الكلية المتمثلة في الصلاة التي كلف الله بها النبي وأمته في أعلى حضرات المعراج، فهي عين الحياة الكلية، وفسرها ابن سودكين بالديمومة إشار ة لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ

عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾- المعارج22 - 23.

وخاطبته من وسطه

يعني من محل الاعتدال.

عند ترك التناهي ناجيتك.

أي عند ترك الحصر والحدّ بالعروج في مراتب الجبروت والملكوت.

وعند إزالة الأرواح أسرك،

أي عند إزالة الوسائط، كما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم خلال معراجه عندما فارقه جبريل عند سدرة المنتهى.

فاصدر واصدع قلب الصديق،

إشارة إلى رجوعه صلى الله عليه وسلم من معراجه ومسارعة الصديق رضي الله عنه بتصديقه.

فاقهر وخذ سر الحياة واجعله فيمن تريد؛

إشارة إلى سر القيام بالصلاة التي كلف الله بها أمته صلى الله عليه وسلم في الحضرة العليا من معراجه.

وجرد سيف الانتقام واعل به منارك واقطع به من عاداك.

إشارة إلى مقام الخلافة حيث يظهر الخليفة بالجهادين الأكبر والأصغر لإظهار الحق ودحض الباطل.

ثم إيت إليّ واترك ولدك فإنه يقوم مقامك،

الولد يعني به نوابه صلى الله عليه وسلم كالخلفاء الراشدين وورثته في أحواله وأفعاله وأقواله الداعين إلى الله على بصيرة.

وقل له يصطلم في الفناء ببقائه،

أي أن الكمال في جمع الأضداد. فالسالك الكامل يكون في غاية سكر الفناء مع غاية صحو البقاء، ولذلك قيل: لا بد من بقاء رسم العبودية ليقع التلذذ بمشاهدة الربوبية.

ولا يغار على كشفه،

أي لأنه لا ياخذ الكشف إلا أهله.

ويشاهدني في الصفات،

أي يشاهد تجليات أسماء الله الحسنى في صفات الموجودات، إذ لا قيام لها إلا بها.

ولا يشاهدني في الذوات فإن عيني ذهب منها.

مشاهدته تعالى في ذوات الموجودات تستلزم مذهب الحلول أو الاتحاد. وهو مذهب باطل حذّر منه رجال الشريعة والحقيقة.

فإن سمع أو فهم أو علم أو أشار أو نقل أو فصّل أو جمع لم يدركني.

أي لم يدركني من حيث الإطلاق، لأن كل ما يسمع ويفهم ويعلم ويشار إليه وينقل ويفصل ويجمع كل ذلك من مظاهر التقييد.

في الشعور تلوح لأهل النظر الأمور. والسلام.

بهذه الجملة يمهد الشيخ للدخول في المشهد التالي.

المشهد الرابع/

مشهد نور الشعور وطلوع نجم التنزيه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا المشهد يناسب الحواميم السبعة المفتتحة بـ(حم). ومن دلالات الحرفين (حم) ما ذكره الشيخ عبد العزيز الدباغ في "الإبريز" وهو أن حرف (حَ) بالفتح يعني بالسريانية الإحاطة والشمول؛ وأما حرف (مِ) بالكسر فيشير إلى نور الذات ظاهرا كما في العين، وباطنا كما في القلب، و(مْ) بالجزم يشير إلى جميع المكونات والتحقق بها. فهذه الإحاطة وهذا النور وهذه الجمعية مناسبة لطلوع نجم التنزيه. وفي الحواميم الكثير من الكلمات والأسماء والآيات الدالة على التنزيه، فاسمه تعالى (عزيز) مثلا تكرر 13 مرّة. وفي نهاية الجاثية ﴿ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧ ﴾ وفي الشورى الآية القطبية ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ ، وفي الزخرف تكررت لفظة (سبحان) مرتين في الآية 13 والآية 82.

اشهدني الحق بمشهد نور الشعور وطلوع نجم التنزيه.

الشعور نوع من الإدراك الإجمالي بدون تفصيل وهو مناسب لمعنى التنزيه أي تنزيه الحق تعالى عن الانحصار في المظاهر المقيدة القائمة به جل جلاله.

وقال لي: خفيت في البيان والشعور لأهل الستور.

أي من شدّة الظهور الخفاء. والبيان من شدة الظهور. فمن شدّة ظهوره وقربه تعالى بطن. والشعور من كونه إدراك إجمالي غير تفصيلي سببه ستر

الحجاب، إذ لو لم تكن ستور لحصل الإدراك التفصيلي الإحاطي.

ثم قال لي: النظم محصور، وهو موضع الرمز ومحل اللغز للأشياء، ولو علم أن في شدّة الوضوح لغز الأشياء ورمزها لسلكوه.

كأنّ كلامه على الرمز واللغز يشير إلى فواتح السور أي الحروف المقطعة. وفي شدة الوضوح لغز الأشياء ورمزها لأنه من شدّة الظهور الخفاء، فالعين لا ترى نفسها إلا في مرآة. والحق تعالى باطن رغم ظهوره القاهر ووحدانيته وأحديته.

أنزلت الآيات النيرات دلائل لمعان لا تفهم أبدا.

في الزخرف وفي الدخان ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ ﴾ وفي فصلت ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ ﴾. وكمثال للآيات البينات التي لا تفهم فواتح السور. وقد اختلفت التأويلات حولها. وفي ذلك إشارة إلى أن كل الدلالات مآلها إلى الذات إذ منها وفيها بدت وإليها تعود. ويستحيل فهم الحقائق الذاتية لأنها لا تكيف فلا يدركها فهم. قال:

ولست أدرك من شيء حقيقته وكيف أدركه وأنتم فيه

قوله: «وأنتم فيه» من حيث إن لا قيام لشيء إلاّ بالله الحي القيوم، لا بمعنى الحلول لأنه باطل.

ثم قال لي: انظرني في الشمس واطلبني في القمر واهجرني في النجوم.

النظر في الشمس عبارة عن النظر في الآيات المحكمات بعين اليقين وفي المعاني الجلية، وفي الإطلاق الأصلي الجامع. والطلب في القمر عبارة عن طلب الحق بالدلائل العقلية والبراهين الواضحة بعلم اليقين، لأن الشمس تناسب الروح ولها الكشف، والقمر كمجلى مقيد للشمس يناسب العقل وله الدلالة والبرهان، والنظر فيه عبارة عن شهود الحق في المظاهر المقيدة بدون انحصار ولا تحديد. ومن ناحية أخرى، فالشمس تشير إلى حضرة الذات، والقمر إلى الصفات، والنجوم إلى الأسماء والأفعال. ولهذا قال: «واهجرني في النجوم» لأن دلالات الأسماء كلها تصورات عقلية وخيالية يولدها الفكر في الخيال كما تتولد أفعال الإنسان من قواه وجوارحه، والحق سبحانه لم يلد ولم يولد، ولا ينبغي نسبة قبح الأفعال لله

تعالى مع أنه خالقها لأنه لا ينسب الشر إليه جل جلاله لأن الخير كله بيده، وأصل القبح والشر من نسبة الممكن للعدم السابق على حدوثه. وهذه من المسائل الدقيقة العويصة التي يطول بيان تفاصيلها، ويمكن اعتبار النجوم كرمز للأدلة الفكرية التي سرعان ما تحجبها الشبهات وهو ما فصله الشيخ في الباب 421 من الفتوحات في معرفة منازلة: «من طلب الوصول إليّ بالدليل والبرهان لم يصل إليّ أبدا فإنه لا يشبهه شيء».

ثم قال لي: لا تكن طير عيسى.

من البينات العيسوية خلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طائرا بإذن الله. فيقول (لا تكن طير عيسى، أي لا تكن عبدا إلاّ لله) لأنه لا خالق سواه فتشكر الوسائط من كونها أسبابا يفعل الله عندها لا بها، وتشكر الله لأنه هو واضع الأسباب ولا فاعل سواه. وقد جاء في الزخرف الآية (63) ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ سبع آيات تتعلق بعيسى عليه السلام وقال عنه ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ فيقارن وصفه (مثلا) بما في سورة الشورى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ كما مرّ ذكره في المشهد السابق.

ثم قال لي: اطلبني في الخليفة واطلبني في العسس تجدني.

الخلافة أعلى المراتب والعسس من أدناها. أي اشهدني في جميع المراتب إطلاقا وتقييدا علوا وسفلا، كما في الآية (84) من الزخرف: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ . من ناحية أخرى الخليفة يحفظ بالعسس، والعسس يحفظ بنفسه، إشارة إلى أن كلا من الخليفة والعسس سبب للحفظ، أي اشهدني في الأسباب وعندها لا بها.

ثم قال لي: إذا رأيت البقر تغرق إلى ظهورها والخيل والحمير، فاركب البغال.

حيث إن الكمال يستلزم جمع الأضداد، فالعارف يشهد الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة، والإطلاق في التقييد والتقييد في الإطلاق، والتنزيه في التشبيه والتشبيه في التنزيه، فلا يرى شيئا إلا ويرى فيه ضده، لأنه تعالى هو الأول والآخر

والظاهر والباطن. ولا يتم هذا الجمع في الفرق والفرق في الجمع إلا عند التحقق بكل برزخية جامعة للضدين أو للطرفين. وإلى هذا المعنى يشير الشيخ بقوله (اركب البغال) لأن راكبها ينجو من الغرق خلافا لراكب البقر والخيل والحمير، لأن البغل دابة برزخية متولدة من جنسين مفردين وهما الحمار والفرسة. أي أن ركوب البغال يشير إلى التحقق بالبرزخية المتعالية عن التقيد بمظهر دون مظهر، إذ صاحبها جامع لها كلها. قال تعالى في سورة الزخرف في الآيات 14/13/12 ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

وقــوله: [واســـتند للجدار واحصل على الدكان]. أي استند في ركوبك البرزخي على التأييد الإلهي وكن مالكا لأحوالك في جمعيتك للأضداد كما يملك صاحب الدكان ملكه، وذلك لأن الوقوف الاعتدالي الكامل في كل نَفَس لا يحصل إلا بقوة توفيق رباني خاص.

وقوله: **[فإن بدا لك طرف يقطع عليك الدكان فالق يدك على عينك ودل شعرك على جبينك]**

أي إن جذبتك إحدى الحضرات إلى فلكها بحيث تُغيبك عن ما سواها وتفقد برزخيتك الاعتدالية «فألق يدك على عينك» أي إياك أن تنساق إلى ذلك الانجذاب فتغفل عن النظر الأوسط الجامع للأطراف كلها وهو معنى قوله «ودل شعرك على جنبك».

واحــــصل في النهر، فإنه لا يصل إلى قربوس سرجك وتنجو، ويهلك فيه صاحب الخيل وصاحب الحمير إلاّ صاحب البغال

وهلاك صاحب الخيل والحمير في النهر إشارة إلى أن حصر الحق تعالى في مظهر مقيد خطأ في العلم الصحيح.

قال تعالى في سورة غافر الآية(80/79) ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى

صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

ثم قـال لي: إذا وقفت في الشعور كنت النمط الأوسط، من دونك إليك ينظر والذي علاك إليك يرجع، وما علاك أحد. في الشعور تجد الآن.

هذا تأكيد لما سبق بأن الكمال في البرزخية الوسطى. فلا يعلو على المحقق في هذا المقام أحد لجمعه الحقائق العلوية مع الحقائق السفلية فلا يحجبه مقام عن مقام. وقد خصص الشيخ لأهل هذا النمط أبوابا في الفتوحات منها الباب 420 في معرفة منازلة التخلص من المقامات، ومن مميزات صاحب النمط البرزخي الأوسط إدراكه للمظهرين الذين تجلى بهما اسمه تعالى (الدهر): مظهر الإطلاق المعبر عنه بالآن الدائم، ومظهر التقييد في الأزمنة والأدوار والأوقات. فالذي تقيد بالعلو عن البرزخية الوسطى له الآن الدائم وهو قوله: (وما علاك أحد في الشعور تجد الآن). والذي تقيد بالنزول يجد الأزمنة في أدوارها والدهور في استمرارها.

ثم قال لي: فإذا كنت النمط الأوسط فسافر في الربيع.

هذا تأكيد لما سبق حيث إن الربيع هو فصل الاعتدال بين برودة الشتاء وحرارة الصيف، فالربيع رمز لذلك النمط الدهري الأوسط الجامع بين الآن الدائم في برودته المطلقة وبين الأزمنة الجارية في حرارتها المتنوعة.

ثم قال لي: النور حجاب والظلمة حجاب، وفي الخط بينهما تشعر بالفائدة فالزم الخط؛ فإذا وصلت إلى النقطة التي هي رأس الخط فأعدمها في صلاة المغرب.

زيادة بيان في الحث على التحقق بالبرزخية الجامعة لكل الأضداد كالنور والظلمة والإطلاق والتقييد في نفس العين الواحدة. ويمكن تأويل الظلمة بالعبودية والنور بالخلق على الصورة الرحمانية الكاملة، فالكامل لا ينحجب بواحدة عن الأخرى. وتلك العين الجامعة هي رأس الخط البرزخي، وإعدامها في صلاة المغرب يعني عدم انحجاب العارف بعين الحقيقة عن العمل بالشريعة المتمثل خصوصا في الصلاة. لكن نفس عمله بالشريعة لا يحجبه عن حقيقة الاعتدال الكمالي البرزخي المتمثل رمزيا في صلاة المغرب الجامعة لشفع الركعتين

الجهريتين ووتر الركعة الثالثة السرّية، وهي صلاة برزخية بين نور النهار وظلمة الليل.

ثم نم على وتر العتمة:

زيادة تبيين في الحث على جمع المراتب، في عين الوحدة حيث إن النوم حالة برزخية بين الموت والحياة، وما يراه النائم في عالم المثال برزخ بين المحسوسات والمعنويات، والوتر الليلي ركعاته مثنى مثنى تنتهي بركعة واحدة فهو جامع للشفع والوتر الذي إليه المنتهى إذ إلى الله الفرد الوتر تصير الأمور.

فـــإذا جاء السَّحَر ارتفع التكليف وسقطت المؤن وكنت أنت متعاليا عن هذه الأوصاف.

السَّحر منذر بطلوع شمس الحقيقة. ومن الحقيقة أن لا فاعل إلاّ الله تعالى لقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات الآية 96. وهو قوله: «ارتفع التكليف» أي يصبح السالك يعمل ويعبد الله بالله لله تعالى بعد أن كان يرى ذلك من نفسه. فلا يعني برفع التكليف ترك الأعمال والعبادات الشرعية إذ تركها عين الزندقة ومآل صاحبها للطرد والشقاء، وإنما يعني برفع التكليف شهود العابد قيامه بالله تعالى في عبادته، وهو قوله: «وكنت متعاليا عن هذه الأوصاف» أي متبرئا من نسبة خلق الأعمال إليك وكونها من حولك وقوتك، بل تشهد أن ما أنت عليه من التوفيق إلى الأعمال الصالحة هو من خلق الله وهدايته وحوله وقوته وحده. ولهذا حذّر الشيخ صاحب هذا المشهد من الانزلاق إلى ترك الأعمال الشرعية بشهوده الفعل لله وحده فقال:

ثم قال لي: إن تنزّل الأمر فلا تبرح فإن برحت هلكت.

أي أنت محل تنزل الأوامر الشرعية فإياك أن تتهاون فيها في أي حال من الأحوال، فإنك إن برحت عنها هلكت، إذ لا سعادة إلا فيما شرعه الحق على ألسنة رسله. يقول تعالى في الآية (18) من الجاثية: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

ثم قال لي: إذا ركبت البغل لا تنظر من أي طرف أنت فتهلك،

البغل كدابة برزخية يرمز للعمل الصادر من الإنسان لأنه متولد عن نية باطنة

وحركة ظاهرة. فلا ينبغي للعامل أن يكتفي بالنية دون العمل الظاهر، ولا أن يكتفي بالعمل الظاهر عن النية والحضور الباطن. وينبغي أن يشهد نفسه فاعلا من حيث التكليف الشرعي، كما يشهد أن الله تعالى هو الفاعل من حيث الحقيقة، فلا يحجبه طرف عن آخر كما قال تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ . الأنفال الآية 17.

فإذا ركبت فاصمت: هذه الجملة مدخل للمشهد التالي مشهد الصمت.

المشهد الخامس/
مشهد نور الصمت وطلوع نجم السلب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا المشهد مناسب لسورة ص. وحرف (ص) يشير عند الشيخ إلى الصورة والصدق والصون والصمت والصوت والصدى. وقد أشار الشيخ إلى علاقة صاد بالصوت والصدى في الباب 22 من الفتوحات بتسميته لسورة (ص) بمنزل الصدى من منازل الرموز أي من السور المفتتحة بالحروف المقطعة. كما تكلم في البابين (97/96) على مقامي الصمت والكلام واختصرهما في فقرتين من الباب 559 (**IV** ص 313) عنوانهما: " إيثار السكوت وملازمة البيوت " و" سر ما في القول من الطول "... وللصاد صورتان متقابلتان: صاد الصوت والصدى وصاد الصمت. ومدار هذا المشهد كله بين هذين الصادين أي صوت كلام الحق تعالى وصداه في صورة العبد الصامت الصادق المصان بخلقه على الصورة الرحمانية.

يقول الشيخ في الباب 351 من الفتوحات وهو يتعلق بسورة الأحزاب عن الصمت الدائم للعبد والكلام الدائم للربّ:

[وفي هذا المنزل صمت العبد إذا كلمه الحق. والحق يكلمه على الدوام؛ فالعبد صامت مصغ على الدوام، على جملة أحواله من حركة وسكون وقيام وقعود. فإن العبد الممنوح السمع لكلام الحق لا يزال يسمع أمر الحق بالتكوين فيما يتكون فيه من الحالات والهيآت. ولا يخلو هذا العبد ولا العالم نَفَسا واحدا من وجود التكوين فيه، فلا يزال سامعا، فلا يزال صامتا، ولا يمكن أن يدخل معه

في كلامه. فإذا سمعتم العبد يتكلم فذلك تكوين الحق فيه، والعبد على أصله صامت واقف بين يديه تعالى فما تقع الأسماء إلا على تكوينات الحق فافهم، فإن هذا من لباب المعرفة التي لا تحصل إلا لأهل الشهود.

فما ثم إلا الصمت والحق ناطق ... وما ثم إلا الله لا غير خالق
فيشهدنا تكوينه في شهودنا ... تدل عليه في الوجود الحقائق
فمن شاء فليومن ومن شاء فليقل ... خلاف الذي قلناه والله صادق].

أشهدني الحق بمشهد نور الصمت وطلوع نجم السلب فأخرسني. فما بقي في الكون موضع إلا ارتقم بكلامي، وما سطر كتاب إلاّ من مادتي وإلقائي.

قال ابن سودكين: [قرن الصمت بالسلب لأن الصمت صفة سلبية....] وهذا المقام لمن تحقق بقوله تعالى في الآية 9 من سورة المزمل ﴿ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾ فمن اتخذه تعالى وكيلا على ما ينطق فهو تعالى الناطق على لسان عبده، وإذا كان الحق تعالى هو الناطق يصح قوله: [فما بقي في الكون... وإلقائي] وقريب من هذا المعنى الحديث الشريف الذي خلاصته أن الله تعالى إذا أحبّ عبدا أمر جبريل أن ينادي في السماء بمحبته له فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض(1).

ثم قال لي: الصمت حقيقتك. ثم قال الصمت لا غيرك والصمت ليس إليك.

الصمت حقيقة العبد، لأن الكلام فعل ولا فاعل في الحقيقة إلا الله تعالى. فالصمت حقيقة ذاتية للمخلوق، وإذا نطق فالحق تعالى هو الذي ينطقه كما قال عزّ وجل: ﴿ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ - الآية 21 من سورة فصلت -. لكن حتى الصمت الذاتي للمخلوق ليس منه من حيث إمكانه بل هو من الله تعالى لأن العبودية وكل نعوتها لا قيام لها إلا بالله، فالعبودية نفسها حقيقة ذاتية قيومها

(1) نص الحديث هو: (إذا أحب الله عبدا أخبره حملة العرش وأمر جبريل أن ينادي في السماوات باسم ذلك العبد حتى يعرفوه ويحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض) رواه البخاري في كتاب " الأدب" وكتاب " التوحيد وكتاب " بدء الخلق". وتنظر روايات هذا الحديث المتعددة في كتاب "الأحاديث القدسية" طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر سنة 1991 م.

الحق تعالى، والتحقق بهذا المعنى مفتاح العبودة - بدون ياء العبودية - وبالتالي فكما أن النطق لله وحده فكذلك الصمت ليس للممكن الذي ليس له من الأمر شيء بل هو قائم بالحق القيوم بكل شيء سواء نطق أو صمت.

ثم قال لي: إن كان "الصامت" معبودك لحقت بأصحاب العجل وانتظمت مع أهل الشمس والقمر، وإن لم يكن الصامت معبودك كنت لي ولم تكن له.

الصامت هو كل مخلوق، ومن ذلك العجل الذهبي الذي عبده بنو إسرائيل لما سمعوا صوت خواره لما ألقى السامري فيه من أثر جبريل عليه السلام، ومن ذلك الذهب الشمسي والفضة القمرية، كما في لغة الكيمياء. فمن كان معبوده هذه الأعراض، أو أي مخلوق آخر، لحق بالأخسرين أعمالا. ومن أعرض عنها لأنها أغيار وهمية وأقبل على الحق وحده كان عبدا لله حقا.

ثم قال: على الكلام فطرتك وهو حقيقة صمتك، فإذا كنت متكلما فأنت صامت.

فطرة المخلوق هو سؤاله الدائم بلسان حاله ونطق استعداده مدد الإيجاد ومدد الإمداد من الله تعالى، وبالتالي فعلى الكلام فِطْرَته، فحقيقة صمته أي حقيقة عبوديته السؤال الدائم من الله تعالى الوهاب أن يهبها ما تحتاج إليه. وإذا تكلم المخلوق فلا وجود لكلامه إلا بالله تعالى، فهو وحده تعالى الناطق، والعبد بعجزه الذاتي صامت، فهو إن ظهر بالنطق صامت، وإن صمت فلسان حاله ناطق.

ثم قال لي: بك أتكلّم وبك أعطي وبك أبسط وبك أقبض وبك أرى وبك أوجد وبك أعلم.

أي أن الأسماء الإلهية الحسنى لم تظهر آثارها إلا بوجود المخلوقات، فكلامه تعالى بقوله: «كن» وبكتبه المنزلة إنما المقصود به المخلوق، وعطاؤه تعالى وأخذه وبسطه وقبضه وغير ذلك من أفعاله كلها متعلقة بخلقه. وقوله: «بك أرى» أي: «أرى ما يصدر منك من أحوال وأفعال» لقوله تعالى: ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾- سورة يونس الآية 14 -. وكذلك قوله: «بك أوجد» من حيث إن الأفعال الظاهرة من المخلوق هي من إيجاد الله تعالى، قال: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ الآية 14 من سورة التوبة. وقوله: «بك أعلم» أي العلم المتعلق بالحوادث الظاهرة من

المخلوقات لقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾ سورة محمد الآية 31.

ثم قال لي: لك أتكلم ولك أعطي ولك آخذ ولك أبسط ولك أقبض ولك أرى ولك أُوجَد ولك أُعلم.

أي أن المقصود الأخير من إيجاد الخليقة هو الخليفة الجامع أول العابدين الإنسان ومن أجله لقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾- الجاثية الآية 13.

ثم قال لي: أنت موضع نظري وأنت صفتي، فلا تتكلم إلا إذا نظرتك وأنا أنظرك دائما، فخاطب الناس على الدوام ولا تتكلم.

الإنسان الكامل هو موضع نظر الحق من حيث اختصاصه بالخلافة قال تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ الآية 48 من سورة الطور. وقال: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ الآية 39 من سورة طه. وقوله: «وأنت صفتي» لأن الإنسان الكامل مخلوق على الصورة الرحمانية متخلق بأخلاق الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾- القصص 77- ولا يمكن للعبد أن يحسن كما أحسن الله إليه إلاَّ إذا كان متحققا بصفته. وقوله:

«فـــلا تتكلم إلا إذا نظرتك وأنا أنظرك دائما، فخاطب الناس على الدوام ولا تتكلم.»

أي أن العبد إذا كان دائم المراقبة والشهود لنظر الله تعالى له في جميع أحواله مستجمع الهمة والفكرة فيه تعالى، يكون فعَّالا بالهمة والحال والنظرة لا بالكلام كما هو شأن كبار الأولياء وكمل شيوخ التربية. قال تعالى" ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ الصافات الآية 179. وقال ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ الصافات الآية 175.

ثم قال لي: صمتي ظاهر وجودك وكونك.

ظاهر وجود العبد وكونه أنه صامت من حيث إن لا فاعل إلا الله تعالى. لكن صمته أيضا ليس له ظهور ولا وجود إلاَّ بالله تعالى فصمت العبد راجع للحق تعالى إذ ليس للعبد صفة ثبوتية مستقلة عن قيومية الله تعالى.

ثم قال لي: لو كنت أنا صامتا لم تكن أنت:

أي لو لم أقل لعينك الثابتة في علمي «كن» لما أردت إيجادك الحادث لم تكن أنت موجودا حادثا.

ولو تكلّمت أنت ما عرفت أنا، فتكلم حتى أعرف.

أي لو تكلمت من حيث الغفلة عن شهود الحق متكلما - إذ كلام المخلوق من فعل الله وقوله: كن- لما عُرِفَ الحقُّ، بسبب حجاب الشهود الوهمي للعبد متكلما كلاما مستقلا عن قيومية الحق، وذلك باطل. وقوله: «فتكلم حتى أعرف» أي تكلم بي وبكلامي لأكون مسموعا معروفا.

ثم قال: الألف صامت والحروف ناطقة، والألف ناطق في الحروف وليست الحروف ناطقة في الألف؛ والحروف مدبّرة عن الألف والألف مستصحب لها وهي لا تشعر.

قال ابن سودكين: يريد أن الألف ليس من الحروف، أي أنه فيها جميعها، إذ الحروف هي انقطاع عند حد بعينه، وهو في نفسه هواء يمتد إلى غير نهاية فلا حد له يكون به حرفا. فكأنك قطعت الألف الممتد في المخارج فظهرت به الحروف. فكذلك وجود الحق مع الموجودات، لولاه لم يظهر شيء منها؛ ولا تقول لولاها ما ظهر؛ فهو مظهرها وهي لا تظهره لاستغنائه عنها. وأما العلم به فإنه لا يُعْلَم إلا بها، أي لا يعلم إلا من وجودها. فاعلم.

ثم قال: الحروف موسى والألف العصا.

يشير بألف العصا إلى قيومية الحق تعالى الصمد الواحد الأحد الذي به ومنه تظهر الآيات والأسماء والنعوت والأفعال، وأما الحروف فهي بمثابة الأسباب التي لا تأثير لها من حيث إمكانها وتقييدها، فلا مؤثر إلا الله تعالى، إذ الأسباب لا قيام لها إلا به.

ثم قال لي: في الصمت وجودك وفي النطق عدمك.

أي إذا تبرأت من كل حول وقوة إذ لا حول ولا قوة إلاّ بالله تعالى تتحقق بوجود عبوديتك الذاتية الثابتة. أما إذا نطقت فمن فعله تعالى إذ لا فاعل سواه، فنطقك به تعالى دال على عدمك أي عدم قيامك بنفسك ذاتا وصفاتا وأفعالا.

ثم قال لي: ما صمت من صمت

لأن الصامت بلسانه ليس بصامت بحاله، إذ حاله ينادي في كل آن بلسان الاستعداد ما يستحقه من الإيجاد والإمداد.

وإنما صمت من لم يصمت

أي أن المتكلم لا يمكن له أن ينطق إلا بقيومية الله تعالى فهو تعالى الناطق في الحقيقة وبالتالي فعبده صامت في عين كلامه.

ثم قال: تكلّمتَ أو صمتَّ فأنت متكلم

أي أن كلامك وصمتك نتيجة لكلام لسان حالك وطلب استعدادك.

ولو تكلّمتَ آباد الآباد ما دامت الديمومة فأنت صامت.

لأن الكلام لله وحده إذ لا فاعل سواه.

ثم قال لي: إن صمتّ اهتدى بك كل شيء، وإن تكلمت ضلّ بك كل شي.

أي إن صَمتَّ صمت العبودية، فحالك يكون سبب الهداية للحق تعالى. و[إن تكلمت ضل بك كل شيء] أي إن تكلمت من حيث الأنانية المحجوبة عن قيومها الحق تعالى تكون سببا للضلالة، وبالأخص ضلالة كل شيء فيك.

فاطلع تكشف. تمهيد للدخول للمشهد التالي.

المشهد السادس/

مشهد نور المطلع وطلوع نجم الكشف

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهدني الحق بمشهد نور المطلع وطلوع نجم الكشف:

هذا المشهد هو قلب جميع المشاهد لأن مرجعه لسورة (يس) قلب القرآن. وعنوان هذا المشهد يشترك مع عنوان الكتاب في كلمة (مطلع). وفي هذا إشارة إلى أن مدار الكتاب كله حول سورة هذا الباب أي (يس). فهذا الباب هو قلب الكتاب. ولهذا تكلم الشيخ فيه على قلب العارف وما يتجلى فيه من المعارف كما سيأتي ذكره، فإذا طلع نجم الآية القرآنية في قلب السالك كشف بنوره عن الحقائق ليطلع عليها ثم يتحقق بها. وقد عرّف الشيخ في فقرة من الباب (559) من الفتوحات المطلع فقال: [ومن ذلك ما يجمع الظهر والبطن والحد والمطلع: قال ما من شيء إلا وله ظاهر وباطن وحد ومطلع. فالظاهر منه ما أعطتك صورته، والباطن ما أعطاك ما يمسك عليه الصورة. والحد ما يميزه عن غيره، والمطلع منه ما يعطيك الوصول إليه إذا كنت تكشف به. وكل ما لا تكشف به فما وصلت إلى مطلعه. وقال لا فرق بين هذه الأمور الأربعة لكل شيء وبين الأربعة الأسماء الإلهية الجامعة الاسم الظاهر وهو ما أعطاه الدليل، والباطن وهو ما أعطاه الشرع من العلم بالله، والأول بالوجود، والآخر بالعلم، وهو بكل شيء عليم، فالضمير يعود على الضمير الأول في هو الأول، فالأمر من غيب إلى غيب. وضمير هو الأول يعود على هو على كل شيء قدير، وذلك الضمير يعود على الله، وهو الاسم، والاسم يطلب

المسمى، فالله الأول وهو بكل شيء الآخر، وهو الأول الظاهر وهو على كل شيء الباطن فاعلم]. انتهى.

وفي جوابه عن السؤال (153) من أسئلة الترمذي عرّف الشيخ المطلع بقوله: [فإن قلت وما المطلع؟ قلنا الناظر إلى كون بعين الحق، ومن هنالك يعلم ما هو ملك الملك. فإن قلت وما الحد؟ قلنا الفصل بينك وبينه لتعرف من أنت فتعرف أنه هو فتلزم الأدب معه] ويقول ابن سودكين: [المطلع هو كل ما يصح الاطلاع عليه بطريق الكشف مما لا يكون ذوقا لك ومما ليس بحالك. فإن كان حالك فليس بمطلع. ولهذا يكشف العبد الولي عن مقامات الأنبياء عليهم السلام وليس بنبي] انتهى وتعريفه هذا مناسب لسورة (يس): لأنها منزل قلب السيادة المحمدية. ومعنى (يس): يا سيّد حسبما ذكره الشيخ في الباب 360 من الفتوحات المتعلق بسورة النور، حيث يقول: [فأول مفتاح فتح به مفتاح غيب الإنسان الكامل الذي هو ظل الله في كل ما سوى الله، فأظهره من النفس الرحماني الخارج من قلب القرآن سورة (يس)، وهو نداء مرخّم أراد يا سيّد، كما قال يا أبا هر أراد يا أبا هريرة، فأثبت له السيادة بهذا الاسم، وجعله مرخّما للتسليم الذي تطلبه الرحمة، والقطع مما بقي منه في الغيب الذي لا يمكن خروجه.] انتهى.

وقال لي: من الحد ارتقيت ولا تفارقه:

الحد هو غاية ما يتحقق به السالك ذوقا، وارتقاؤه عن الحدّ هو إطلاعه كشفا لا ذوقا عن ما فوق مقامه، فقوله: (لا تفارقه) أي لا تفارق حدّ غايتك بادّعاء ما لم تتحقق به ذوقا. يقول الشيخ الأكبر في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم: [واجعلني كأني إياه من طريق الاتباع والانتفاع لا من طريق المماثلة والارتفاع].

فلولا الظهر ما عرف البطن، ولولا الحد ما شوهد المطلع؛ فطلوع النور شهدت له الظلمة، وطلوع البدر شهدت له الشمس:

أي أنه بالحدود تتميز المراتب عن بعضها ويؤتى كل ذي حق حقه، وبضدها تتميز الأشياء وأوصافها. والحكمة هي وضع كل شيء في محله الأليق قال تعالى: (يس والقرآن الحكيم).

ثم قال لي: من المطلع نزل من نزل ومنه علا من علا، فاحذرني في المطلع، فإن رأيت ظاهر سورك جاز الحد أنزلتك عن المطلع إلى الظهر، وإن بقيت مع

الحدّ رغب المطلع في مقامك:

قال ابن سودكين:

قوله: (من الحد ارتقيت)أي منك ارتقيت إلى هذا المطلع الذي هو غير محدود، إذا لم يكن مظهرا فهو حد، وارتقاؤك منه إذًا هو إلى معرفة ما وراء ذلك المظهر. فكأنه إطلاع خاص على ما وراء المظهر فيك، والمطلع هو الغاية.

قوله: (لولا الظهر ما عرف البطن)أي معرفة الشيء بأضداده وهو معرفة الشيء إذا لم يكن الضدان مثلان فإن كان الضدين مثلين فإدراكهما بما يتميز كل واحد منهما من صاحبه إما بالشخصية وإما بالمكان وإما بالزمان وإما بحال من الأحوال.

قوله: (ولولا الحد ما شوهد المطلع) المطلع بالعيان ها هنا عبارة عما لا حدّ له.

قوله: (من المطلع نزل من نزل) أي عند شهود ه ادعى من ادّعى وقال أنا الحق فتجاوز حدّه. قوله: (ومنه علا من علا) أي عرف حدّه فوقف عنده وهو العبودية فترتفع في عبوديتك. قوله: (فاحذرني في المطلع) أي لا تدّعي لك فيه قدم. قوله: (انزلتك من المطلع إلى الظهر)أي أنزلتك إلى أول مرتبة وهو الظهر الذي هو الظاهر أي معرفتك بعالم شهادتك، والبطن الذي هو الباطن معرفتك بعالم غيبك، والحد معرفتك بالمجموع ومعرفتك بما أنت عليه كيف أنت ومن أنت وارتباطاتك المعنوية بالحسية وهذه حقيقة عبوديتك. والمطلع ما تعلمه وليس لك فيه قدم وليس لك منه صفة وهي آخر المراتب. فإن جهلت بحيث تجعل قدمك في المطلع وتزعم أنه صفتك رددت إلى الظهر فتحتجب عن معرفتك بنفسك وعن معرفتك بربك فتكون من الأخسرين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. قوله: (وإن بقيت مع الحد) أي مع معرفة قدرك (رغب المطلع في مقامك) أي نزل إلى التعرف لك فتكون مطلوبا لا طالبا ومرادا لا مريدا. فتحقق ترشد وقل ربّ زدني علما.

ومن حيث فهم آخر:

(من الحد ارتقيت) إشارة إلى ترقي السالك عبر منازل فواتح السور إلى منزل القلب الياسيني. وفي القلب مرتبتان: مرتبة الياء ومرتبة السين. فالمرتبة الأولى

للقلب الملكوتي الشمسي الذي هو الحد البرزخي بين عالم اليسار وعالم اليمين، وهو ما ذكره الشيخ في كتاب " رسالة الأنوار" عند وصول السالك إلى السماء الرابعة التي هي قلب الأفلاك حيث الشمس قلب الكواكب وإدريس عليه السلام قطب الأرواح. فعالم اليسار يبدأ من تلك السماء إلى أسفل سافلين، وعالم اليمين منها إلى أعلى عليين. وفي هذا المقام يترقى السالك عن الحدود الحسية اليسارية بكشفه لعوالم اللطائف والأنوار الملكوتية التي مدارها على القلب. أما المرتبة الثانية فللقلب الرباني الذي وسع الحق، وصاحبه هو العبد الكامل. وقوله (فلا تفارقه) أي الزم الحد البرزخي الجامع للأضداد: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ ﴾ - الرحمن 20/19- لأن ذلك العبد الكامل هو عين هذا البرزخ القلبي فله وجه للحق وله وجه للخلق فهو جامع للظهر والبطن والتقييد والإطلاق فلا تحجبه صورته الرحمانية وقلبه الذي وسع الحق تعالى عن عبوديته.

ثم قال لي: طلع العزّ في القرب، فشهد له كبرياء الكون:

عدّد الشيخ ثلاثين مطلعا على عدد أيام الشمس لكل يوم مطلع شمسي ومطلع قمري لورودهما في الآيتين 38-39من السورة: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ ﴾ . والمطالع الشمسية والقمرية ترمز عند الشيخ إلى أمور كثيرة منها مراتب رؤية الحق تعالى، ومنها درجات المشاهدة، ومنازل الإنسان الكامل ومدارج السلوك وحضرات الظهور والبطون، وقوى الفعل والانفعال، وتجليات الذات والصفات، إلى غير ذلك... وهذه المطالع الثلاثون هي عبارة عن تجليات آيات (يس)، مثلها مثل العلوم التي ذكرها الشيخ في باب منزل (يس) من الفتوحات أي الباب 348.

فقوله: (طلع العز من القرب) أي عندما يُلبس الحق تعالى عبده المقرب حلة خلافته وعزته يخضع له كل من واجهه. قال تعالى في بداية (يس): ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ﴾ ومن تخلقه صلى الله عليه وسلم بالاسمين (العزيز الرحيم) قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ - المنافقون الآية 8 - ووصفه بقوله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ - التوبة الآية 128 وقوله: [فشهد له كبرياء الكون] أي إذا تجلى الحق بالاسم العزيز يتلاشى كبرياء الكون. هذا الكبرياء الذي يظهر في الذين يتكبرون عن الحق وهم الذين قال فيهم تعالى: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾- يس الآية 10 -.[1]

وطلع الوقت في الوقفة فشهد له بحر الرحمانية:

إشارة إلى الآية (8) ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ هذا في الدنيا، أما في الآخرة: ﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾- يس الآية 67- لأن الوقفة كما قال ابن سودكين عبارة عن أمر لا هو ماض لأن السدّ من خلف الواقف، ولا هو مستقبل فلا يستطيع الواقف المضي لأن السدّ بين يديه، وحاله في الوقفة هو الوقت. وقد عرّف الشيخ الوقت والوقفة في جوابه عن سؤال الترمذي (153) بقوله: [فإن قلت وما الوقفة قلنا ما أنت به من غير نظر إلى ماض ولا إلى مستقبل هكذا حكم أهل الطريق... فإن قلت

---

(1) إشارة: عدد الاسمين (عزيز + قريب) هو (28)بالجزم الصغير وهو بالجزم الكبير (406) وهو يساوي مجموع الأعداد الثمانية والعشرين. وهذه الخاصية العجيبة نجدها أيضا في اسم (فرعون = 8+2+7+6+5= 28) بالصغير، وبالكبير (80+200+70+6+50= 406). وقد ظهر فرعون بعزة القرب الإلهي بغير حق فقال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وقال: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ فلم يتخلق بما حذر منه الشيخ في قوله سابقا: (من الحد ارتقيت فلا تفارقه. فاحذرني في المطلع) فتجاوز فرعون حدّ العبودية وغرق في بحر عزة القرب بغير حق فقصم الكبرياء ظهره وعندئذ شاهد حدّه فقال: ﴿لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ ، ولهذا عقب ابن سودكين على قول الشيخ: (من المطلع نزل من نزل) بقوله: أي عند شهوده ادّعى من ادّعى وقال أنا الحق فتجاوز حدّه. وقد ظهرت العزة الفرعونية في قول السحرة: ﴿بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾ - الشعراء الآية 33 - كما ظهرت القربة الفرعونية في جوابه لهم: ﴿قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾ - الأعراف الآية 114 - ﴿قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين﴾ - الشعراء الآية 42-ولهذا ذكر الشيخ فرعون في حضرة الإعزاز من الباب 558 من الفتوحات.

وما الوقفة؟ قلنا الحبس بين المقامين مع العصمة من الوله.] وفي هذا الجواب قرن بين العز والمطلع فقال: [فإن قلت وما حجاب العزة قلنا العمى والحيرة فإنه المانع من الوصول إلى علم الأمر على ما هو عليه في نفسه. ولا يقف على حقيقة هذا الأمر إلا أهل المطلع]. أي أهل القلب الياسيني الرحماني. فبحر الرحمانية الذي شهد لوقت الوقفة هو بين ساحلين: ساحل (الرحيم) وساحل (الرحمان) وهما الاسمان اللذان ابتدأت وانتهيت إليهما آيات الذين وصفهم بأنه تعالى جعل بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا أي بين الآية 5: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ والآية 11: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ . وقد قال الشيخ إن (يس) هي منزل النفس الرحماني لأنها هي قلب كلام الله القرآن[1].

وطلع أدب المعارف وشهد له عزاء أعمال تذكره أمر المطلع:

أي كل أدب تنتجه المعرفة إذ الحق لا يتعرف إلا للأدباء.

وأدب المعارف من الآية (11) ﴿ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي استقام بالقرآن وجمع بين خوف الرحمان ورجائه مع الرضا وطلب المزيد من العلم اللدني الذي هو الرحمة الغيبية. فهذه الأعمال تشهد له غدا يوم القيامة وتشهد لصاحبها اليوم بأنه من السعداء الآمنين عندما يطلع عليه يقين الموت وهذا هو الذي يستحق ما في آخر الآية 11: ﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ ومع البشرى لا يسكن إليها ولا إلى معرفته بل لا يأمن المكر الإلهي ويلتزم بالآداب الشرعية ظاهرا

---

(1) ومما يدل على هذا أنك إذا ضربت عدد (رحيم = 2+8+1+4= 15) في عدد (رحمن 19) نتج العدد (285) الذي هو عدد تكرار حرف الياء والسين في سورة (يس). وقد ذكر الشيخ في آخر الباب (24) من الفتوحات أن عدد الأنفاس الرحمانية في العالم الإنساني هو (174900) وهو ناتج من ضرب عدد (الرحمان) الرقمي أي (330) في عدد (الرحمان) اللفظي الذي تعتبر فيه الراء مضاعفة بالشدة أي (530) وقد ظهرت الرحمة الإلهية من حيث (الرحمن الرحيم) في (يس) في ستة مواضع: الرحيم (الآيتان 58/5) - الرحمن (23/15/11 /52) فمواقع الرحيم نصف مواقع الرحمن بعكس مواقعها في مجمل القرآن حيث تكرر الرحمن (57 مرة = 19 x 3) بنصف تكرر الرحيم (114 = 19x 6). وهذه من مظاهر التقليب الواقعة في (يس).

وباطنا[1].

وطلع المطلع وشهد له الحد:

المطلع هو ما لا يدرك، وهو هنا عبارة عن الإنية الإلهية الطالعة في مطلع الآية (12) ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ وورد في الخبر النبوي «لا يرى أحدكم ربه حتى يموت[2]» وذلك هو شهود الحد لطلوع المطلع، لأن الموت حد. حدّ بين الحياة بالنفس، والحياة بالحي القيوم تعالى، وكل ما سوى الحق ميت بنفسه حيّ بالإنية الإلهية.

وطلع الموت وشهد له عزاء التقدير:

طلوع الموت من بداية الآية (12) ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ شهد له عزاء

---

(1) وكما خصّص الشيخ الباب (238) من الفتوحات لمعرفة الوقت وارتباطه بالرحمن، فقد خصص البابان (168) و(169) لمعرفة مقام الأدب وترك الأدب وأسرارهما، كما خصّص الباب (202) لمعرفة حال الأدب وقسّمه على المقولات العشرة المعروفة عند الحكماء فقال: [أما أدب الشريعة فهو أن لا يتعدى بالحكم موضعه في جوهر أو في عرض أو في زمان أو في مكان أو في وضع أو في إضافة أو في حال أو في مقدار أو في مؤثر أو في مؤثر فيه] وقد ربط الشيخ بين هذه العشرة و(يس) المفتتحة بعشرة الياء والتي ورد الحديث في كونها تعدل القرآن عشر مرات فقال في باب منزلها (348)فقال: [وهذا المنزل عنه ظهرت جميع المنازل الإلهية كلها في العالم الذي هو كل ما سوى الله تعالى علوا وسفلا روحا وجسما معنى وحسا ظاهرا وباطنا فمنه ظهرت المقولات العشرة وجاء في الخبر النبوي رائحة لما قلناه.] ثم ذكر الشيخ مثالا للرجال الذين تحققوا بادب المعارف من اتباع الذكر وخشية الرحمان بالغيب وهم الذين استحقوا البشرى فقال: [وتعينت العشرة أيضا من هذا المنزل الذين هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وسعيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، فهذا منزلهم الذي منه عينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد لهم بالجنة في مجلس واحد]. انتهى. أي بشرهم بأمن المطلع لأعمالهم وأدب معرفتهم. وفي (يس) مظاهر أخرى لهذا الأمن كالرجل الذي نصح قومه باتباع المرسلين وكان عاقبته: [قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين]- الآيتان: 27/26-وكأصحاب الجنة الذين قيل لهم: [سلام قولا من رب رحيم]. - الآية 58-.

(2) روى أحمد في المسند الحديث رقم 22831 ونصه: (وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)، ورواه غيره.

تقدير كل شيء في لوح القضاء والقدر الإمام المبين من آخر نفس الآية ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ .

وطلع الرفق ببيت الحياء وشهد له ظهور النطق:

عندما يغلب الحياء على العبد في موقف السؤال يوم القيامة بحيث لا يتمكن من النطق، يطلع الرفق الرباني بعبده فيشهد له ما كتب من أعمال قدّمها، قال تعالى في الآية السابقة (12) ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾، وحديث العرض كما ورد، وهو أنه تعالى يلقي كنفه - أي ستره - على عبده حتى لا يراه ملك مقرب ولا نبي مرسل، فيقرره بذنوبه فلا يسعه إلا الإقرار، فيقول له الحق تعالى: [قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم[1]].

وطلع الاسم وشهد له الحجاب:

إذا وقف السالك مع الاسم احتجب به عن المسمّى، وإذا لم يقف معه دَخل به إلى المسمّى. قال الشاعر:

وغب عن الاسم تشهد عند غيبته ذاك المسمى فمنك السمع والبصرا

كذلك رسل الله مع من أرسلوا إليهم، إذا وقفوا مع بشرية الرسل حجبوا عن الاستجابة للرحمان، وإذا لم يقفوا مع بشرية الرسل وأدركوا حقيقتهم وصلوا بهم إلى من أرسلهم وهو الله تعالى. وفي الآيات من سورة (يس) من قوله: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ إلى ﴿ خَٰمِدُونَ ﴾ - 13- 29- مثال لمن انحجب بالبشرية عن الاستجابة للرحمان أو الانحجاب بالاسم عن المسمى، قال تعالى في الآية (15) ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

وطلع التبري وشهدت له الرؤية:

ومثال ذلك الرجل الذي جاء من أقصا المدينة داعيا لاتباع المرسلين في الآيات (20-27) تبرأ من الآلهة المزعومة لما رأى أن الله تعالى هو الأول الذي فطر الخلق وإليه مرجعهم وأن غيره تعالى لا تغني شفاعته ولا ينقذ فقال: ﴿ وَمَا لِيَ

(1) الحديث رواه البخاري في كتاب المظالم، رقم 2441.

لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغۡنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الآيتان 22- 23.

وطلع عين البصيرة وشهد له الكشف:

ما رآه الرجل بعين بصيرته بقوله: ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ شهد له الكشف ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِى يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ - الآيات 25 - 26 -27-.

وطلع الدعاء وشهد له البعد:

الدعاء بحرف النداء يا لا يكون إلا للبعد، كقول الرجل: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾- الآية 20- ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِى يَعۡلَمُونَ ﴾ - الآية 26-.

وطلع الصفح وشهد له الذنب:

إشارة إلى الآية 27: ﴿ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى ﴾.

وطلع ما لا يكشف وشهدت له الولاية:

إشارة إلى قول الرجل في الآية 27: ﴿ وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ أي أن كرامات الولاية لا يكشفها الولي بل يسترها إلاَّ إذا أظهرها الله بأمره [1].

وطلع ما فوق العرش وشهدت له دلالة الحق:

يشير إلى ما فوق العرش إلى الاسمين الواردين في كلام الرجل المومن وهما (الرحمان) في الآية (22) و(ربي) في الآية (27) لقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ - طه الآية 5- وللحديث: «قبل أن يخلق الخلق كان ربنا في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء[2]». فطلوع حقائق (ربي الرحمان) في قلب الرجل له دلالة على الحق إلى أن دخل الجنة وجعل من المكرمين.

---

(1) ينظر تفصيل هذا المعنى في الأبواب: (187/186/185/184) من الفتوحات.

(2) الحديث رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن من سورة هود. ورواه ابن حبان في كتاب " بدء الخلق" من صحيحه.

وطلع بحر الرجوع وشهد له فقد النور:

وذلك أنهم لما فقدوا النور رجعوا كما قال تعالى ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا ﴾ - الحديد الآية 13- ففقد النور من: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ وسفينة بحر الرجوع إلى الله تعالى هو اتباع شريعة الرسول. وقد تكرر الرجوع في (يس) خمس مرات وآخر كلمة منها: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

وطلعت المسكنة وشهد لها ظهور الإنية:

إنية (لدينا) وسكينة الحضور من ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ - الآية 32- وقد تكررت كلمة (محضرون) في (يس) ثلاث مرات. [1]

وطلعت العظمة وشهدت لها الهوية:

عندما تطلع العظمة يكون التحقق بالعجز عن الإدراك، وذلك في حضرة تنزيه الهوية الغيبية عن الانحصار في المظاهر المدركة، كما يظهر في التسبيح في قوله تعالى في الآية (36): ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾ فالخلق مزدوج والحق تعالى هو الواحد الأحد الفرد الوتر الصمد.

وطلع التيه وشهدت له الماهية:

ماهية الحق تعالى لا تعلم ولا تعقل ولا تكيف لجمعها الأضداد كلها تنزيها وتشبيها إطلاقا وتقييدا، ولذلك تاه الخلق فيها؛ والليل يرمز للتنزيه والبطون والإطلاق، والنهار يرمز للتشبيه والظهور والتقييد، فجهل الماهية وتيه الظلمة يظهر في آخر الآية (36) والآية (37): ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

---

(1) وخصّص الشيخ الباب (245) من الفتوحات لمعرفة (الحضور) وجعل لهذا الباب فقرة داخل الباب (559) تحت عنوان: (من حضر نظر)- جزء IV ص 380- / وتكلم على السكينة في الباب (438)/ وخصّص الباب (428) للإنية وعنوانه: (منازلة الاستفهام عن الإنيتين)، وهو راجع لسورة المائدة وانظر كلامه على السكينة أيضا في جوابه عن السؤالين (27) و(95) من أسئلة الترمذي.

وطلع الحجاب وشهدت له اللمية:

يعني باللمية سؤال (لم؟) أي سؤال عن العلّة، والقول بالعلة حجاب لأن شؤون الحق تعالى لا تُعلّل، وفي العديد من كتبه أنكر الشيخ على الفلاسفة قولهم إن الله تعالى علّة وجود العالم، بل هو تعالى خالق العلة والمعلول ولا نسبة بين المطلق القديم والحادث المقيد إلا قيام المقيد بالمطلق(ينظر مثلا التجلي 57 من كتاب التجليات). فطلوع حجاب ليل البطون والتنزيه الذاتي شهدت له لمِّيّة نهار الظهور والتشبيه الصفاتي في عالم الحكمة حيث يظهر سؤال (لِمَ). فإذا سلخ نهار قيود الحكمة من ليل إطلاق القدرة بقي الاطلاق الذاتي الأصلي بهويته المظلمة لعزتها عن الإدراك قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ - الآية 37-.

وطلع النور وشهدت له الكمية:

النور الشمسي لنهار التقييد، والتقييد يستلزم الكمية لأنه محدود وله نهاية ومستقر، قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ فجاء بكلمة (تقدير) التي تفيد مقدار الكمية.

وطلعت الوحدانية وشهد لها العدم:

ترمز الشمس أحيانا للأحدية الذاتية المفنية لكل نور سواها، كما يرمز القمر للواحدية التي هي عبارة عن الذات من حيث ظهور الأسماء منها. فطلوع قمر الواحدية يشهد له العدم الليلي النسبي لا العدم المطلق، أي فناء الأشياء من حيث إمكانها وعدم قيامها بنفسها في عين بقائها بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾- الآية 39- فلكل اسم منزل في مطلع الوحدانية.

وطلع الاختيار وشهد له العهد:

الاختيار هو قابلية العبد للتكليف وعهد الله له أنه يجازيه كقوله تعالى في الآية (45): ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ وكقوله في الآية (54): ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

وطلع ما لديه وشهدت له المنازل:

أي وطلع ما لدى الرحمن من منازل أعدّها لعباده يوم القيامة في الآيات (52 إلى 57).

وقوله تعالى في الآية 39: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ يشير إلى منازل شهود العباد مطالع وجه الحق تعالى، حيث ورد في الحديث الصحيح تشبيه رؤيتهم له تعالى برؤيتهم للقمر وللشمس[1].

وطلعت السكينة وشهد لها التمكين:

التمكين يشير إلى الاستقرار على أرائك مقامات المعرفة والشهودعند طلوع سكينة الجنان حيث يسكن أصحاب الجنة لأزواجهم لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ - الروم 21-. فطلوع هذه السكينة من الآيتين 55-56: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

يقول ابن سودكين:

يريد بالتمكين أي التمكين في التلوين وذلك أن السكون مطلقا محال على الحق والخلق. فالحق يوجد مع الأنفاس والخلق مع الأنفاس وما من نفَس إلا وفيه حوادث كلها تستدعي منه: (كن). فمن المحال السكون وإنما هو التمكين في التكوين للحق، وللخلق التمكين في التلوين وهو التأثير الذي قَبِله ثم بحث على المراقب لقلبه أن ينظر لماذا وبماذا ورد عليه نَفَسه وما الذي حدث في باطنه فذلك هو الذي ورد به نفسه فينبغي عليه أن يعامله بما يليق شرعا ليردّه إلى الله تعالى وقد وفّى ذلك الوارد حقّه[2].

---

(1) الحديث رواه مسلم في باب معرفة طريق الرؤية من كتاب الإيمان، ورواه البخاري في كتاب "التوحيد"، عن أبي هريرة أن الناس قالوا (يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضامون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فهل تضامون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك).

(2) ينظر كلام الشيخ حول التلوين والتمكين في الباب 212 من الفتوحات.

وطلع القلب وشهد له النظر[1]:

أي طلع القلب، من التقليب، وشهد له نظر عين بصره وعين بصيرته. يشير للآية 58: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ التي هي قلب سورة ﴿ يسٓ ﴿١﴾ ﴾ فهي قلب القلب. وقرن القلب بالنظر لأن نظر البصيرة محله القلب، والرؤية محلها البصر.

وإنما أورد الشيخ كلمة (نظر) عند طلوع هذه الآية العظيمة التي قيل إنها تحتوي على الاسم الأعظم إشارة إلى الآية ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ - القيامة: 23- لأن التحقق بآية ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ يكون عند نظر أهل الجنة لربهم لما يطلع عليهم جل جلاله وهذا ما ذكره جل المفسرين في هذه الآية للحديث الوارد: «بينما أهل الجنة في نعيم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم انتهى. ولذلك عقب ابن سودكين عن كلمة (القلب) بقوله: (أراد بالقلب التحويل) أي أن في ذلك المقام الشريف تنقلب مشاهدة الحق تعالى بالبصيرة إلى رؤيته ونظره بالبصر. ولهذا كانت هذه الآية قلب (يس) أي قلب القلب[2]. ومن مظاهر التقليب الأخرى في هذه الآية أن الآيات التي قبلها تتكلم على أهل الجنة والآيات بعدها تتكلم على المجرمين أهل النار فهي

---

(1) قد تكرر في القرآن لفظ (البصر) ولفظ (البصيرة) مع مشتقاتهما تكررا بنفس العدد وهو (148) وهو نفس عدد تكرار كلمة (القلب) و(الفؤاد) مع مشتقاتهما.

(2) وقد تكررت كلمة فؤاد ومشتقاتها (فؤادك / أفئدة / أفئدتهم) في القرآن ستة عشرة مرّة أي على عدد حروف ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ باعتبار (لا) حرفان ألف ولام. وإنما كانت قلب (يس) لأن (يس) هو الإنسان السيد الكامل الذي وسع قلبه الحق تعالى الذي وسعت رحمته كل شيء، وكذلك هذه الآية ليس فيها إلا ذكر للحق بأسمائه الجمالية (سلام/رب/رحيم) التي مجموع أعدادها بالجزم المغربي الصغير (11+4+15=30) على عدد المطالع الثلاثين التي عدّدها الشيخ في هذا المشهد المبارك.

بمنزلة كثيب الأعراف المتعالي على منازل المقامات الجمالية والجلالية، فلها المقام الأحمدي اليثربي ﴿ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ - الأحزاب: 13-.

وطلعت معرفة العهد وشهد له الأدب:

إشارة للآيتين 60 -61.: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ . فالوفاء بالعهد هو الأدب باتباع الصراط المحمدي المستقيم المذكور في أول السورة: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ . ويقول ابن سودكين:

أي أن العهد كان مسؤولا فإن عرفت ذلك لزمت الأدب وما أعجب قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ أي أن الصفة المسماة بالعهد هي التي تسأل فقيل لها: هل وفى بك هذا العبد؟ بقيامه بالقسط وبما عهد إليه من أمانة وخيانة.

وطلع الليل الناطق وشهد له البهت:

قال ابن سودكين:

قوله الليل الناطق وذلك خلاف المعهود وأراد به نطق الطبيعة ككلام الجماد فإذا كلمت من طبيعتك بهت في ذلك والعارف قد عرف ذلك فلا تبهته وإذا أراد الحق بهت العارف أظهر له مظهرا مهولا من تجليات الهو ففي مثل ذلك يبهت العارف وأما عجائب الأكوان فقد قطعها. انتهى.

البهت يظهر في عدم قدرة الإنسان على النطق أو عدم القدرة على الحركة وهذا من الآيات (67/66/65) ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾. والليل الناطق هو من الآية (65) ﴿ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾. فالليل الناطق هو جوارح الجسد المسبحة بحمد الله والشهادة يوم القيامة على ما فعلت بها نفسها الناطقة... وكثيرا ما يرمز الشيخ إلى الجسم بالليل وإلى الروح بالشمس فالآية (37) ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ يمكن فهمها بانسلاخ الروح عن الجسم جزئيا بالنوم أو كليا بالموت...

وقد سبق القول أن ليلة القدر عند الشيخ تشير إلى جسم العبد الكامل. ففي فقرة من الباب (559) من الفتوحات متعلقة بالباب (287) المخصوص بسورة القدر وعنوانها: (ما شاهد قدر المنزلة إلا من أرسله)يقول: [العبد محل التجلي والليل زمان التجلي وما ثم إلا هيكلك فهو ليله المظلم فنوره يجليه«...» ولما نزل إلى فرشه والملائكة حافون من حول العرش سجد له القلب سجود الأبد «...» فلما انفجر عمود صبح الروح وهو رسول يوح أزال التهم ونفر الظلم..] انتهى.

كذلك في الفقرة المتعلقة بالباب (484) من الباب (559) وعنوانها (غروب الشمس موت النفس) يقول: [النفس كالشمس شرقت من الروح المضاف إلى الله بالنفخ وغربت في هذه النشأة فأظلم الجوّ فقيل جاء الليل...] إلى آخره...

و الباب (446) من فصل المنازلات، كغيره من أبواب الفصول الأخرى، له تعلق متميز بسورة معينة من القرآن حسب تراتيب مخصوصة، فمواقع (يس) من فصل المنازلات هو ذلك الباب (446) الذي عنوانه: [منازلة في تعمير نواشئ الليل فوائد الخيرات] حيث يقول ما خلاصته: [... فكأنّ القرآن أنشأ صورة جسدية يقال لها محمد بن عبد الله. فكان صلى الله عليه وسلم ينشئ في ليل هيكله من العمل الصالح صورا عملية ليلية لكون الليل محل التجلي الإلهي الزماني من اسمه الدهر تعالى. فمن كان خلقه القرآن من ورثته وأنشأ صورة الأعمال بإحياء سنته في ليل طبيعته فقد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم، ومن أحياه فكأنما أحيا الناس جميعا، فإنه المجموع الأتمّ والبرنامج الأكمل].

والليل الناطق يرمز أيضا إلى غيب الهوية الذاتية، وقد ظهرت هاء الهوية الإلهية في (يس) في نحو خمس مواقع، وعند طلوعها في قلب العارف يحصل منه البهت من إطلاق العظمة.

وطلعت العبودية وشهد لها الوقوف:

أي أن العبد واقف عند الأمر والنهي تبعا لأوامر شريعة ربه. والعبودية هي شهود العبد أن ليس له من الأمر شيء وأن الأمر كله لله وحده فهو واقف يصرفه ربه وفق إرادته وهو ما تشير إليه الآية (67) إذا فهمت بعين الوصال في حضرة الجمال حيث تنقلب أحوال الأعداء إلى أحوال الأولياء الأمناء: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ

مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ . وقد خصص الشيخ البابان (131/130) من الفتوحات لمعرفة العبودية. وفي جواب الشيخ عن السؤال (153) من أسئلة الترمذي يقول: [فإن قلت وما العبودة قلنا نسبة العبد إلى الله لا إلى نفسه فإن انتسب إلى نفسه فتلك العبودية لا العبودة فالعبودة أتم حتى لا يحكم عليه مقام السوا].

وطلعت الحروف وشهدت لها الاعتبارات:

الحروف للشعر، والاعتبارات للذكر والقرآن من الآية (69): ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ . والحروف ليست مرادة لأنفسها بل لدلالاتها على ما تتضمنه من المعاني سواء في القرآن أو النثر أو الشعر.

وطلعت القوّة وشهد لها الإقبال

القوة والإقبال يظهران من الآيات (73/72/71) فللقوة كلمات (خلقنا /أيدينا / مالكون/وذللناها) وللإقبال كلمات ﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

يقول ابن سودكين: [أي العبد لا يقاوي والحق لا يقاوَى، فإذا طلعت قوة الحق شهد لها إقبال العبد عليها إذ ليس له إلى أين مفر وسبب ذلك أن يمشي على ما تعطيه الحقيقة فيما يريده ربه منه إذ ليس مراد ربه أن يهرب منها فكانت تتعطل فلا بد من تأثيرها فيه بإقباله عليها أدبا معها فإن كانت قوة أحد ربما رجعت عنه].

وطلعت الرعدة وشهدت لها العبادة.

الرعدة من عدم النصر أي الخذلان، فالمخذول هو الذي يرعد وهذا شأن المشركين عندما تخذلهم آلهتهم الوهمية التي كانوا يعبدونها في الآيتين (75/74) ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ . وأما الرعدة من حزن الرسول فتحصل له إذا رأى من يعبد ما سوى الله تعالى، في الآية (76): ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

يقول ابن سودكين: [العبادة هاهنا هي التذلل هذا الأصل وإنما سميت

الأعمال عبادة لملازمتها العبودية فالرعدة ها هنا عبارة عن الخشية والاضطراب الذي يلحق العبد عند تذلله بين يدي ربه عز وجل ولذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخذه الملك وغطه قال فارتجفت بوادره].

وطلع إسلام الصديقية وشهد له إسلام الجناح.

إدراك الصديقية هو قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه «العجز عن الإدراك إدراك» وهذا مقام التنزيه أي العجز عن إدراك الذات وعن إدراك الإحاطة ويعبر هذا بالتسبيح الذي ظهر في آيتين من (يس: 83/36) فنهاية السورة عند إدراك الصديقية. وإسلام الجناح هو رؤية العبد نفسه في يد ربه: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ واستعمل الشيخ كلمة (جناح) لمناسبتها للطيران في الملكوت الأعلى.. وعدم الإدراك يظهر في الآية (40). ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ وهذا ما دامت الديمومة ﴿ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ، فإذا فنيت وجمع الشمس والقمر فإلى ربك يومئذ المستقر.

يقول ابن سودكين: [فأما إدراك الصديقية فهو قوله (العجز عن الإدراك إدراك) فإذا عجزت عن ذلك أعطاك هو ما يريده سبحانه والجناح عبارة عن قوة العبد فإذا أسقطها فقد سلمها للحق واستسلمت].

فلما رأيت المطالع تتوالى والشواهد تترادف قلت، ألهذا منتهى؟ قال: لا ما دامت الديمومة دائمة:

أي أنه لا نهاية لتجليات آيات القرآن والآفاق والأنفس ما دام نفس الرحمان يظهر من القلب الياسيني، أو ما دامت شمس الظهور سابحة نحو مستقرها كما في الآية (38) ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ فلها في كل نفس مطلع. واستقرار تجليات شموس الأسماء الحسنى يكون في عين الأحدية. أما الديمومة التي من مظاهرها الزمان فلها حفظ التبدل في الصور من حيث ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ - الرحمن 29- فقرن اليوم والشان بهاء الهوية التي عددها خمسة

المخصوصة بالحفظ[1].

ثم قـــال لي: كل ما اطلعت عليه وكل ما غاب عنك ويرد عليك فهو لك ومن أجلك وفيك.

أي أن العبد الكامل هو المسمى في آخر آية من (يس) بـ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ لأن الإنسان لا يدرك إلا ما فيه، وسخر الكل له (الآيات 71-72-73).

يقول ابن سودكين: [يريد أن المظاهر الإلهية تنسب تارة إلى الحق سبحانه من كونه يظهر فيها وتارة إلى العبد لكونه لا يقبل منها إلا ما يناسبه].

ولو كشفت لك عن أدنى سرّ من أسرار سرّ توحيد الألوهية الذي أودعته فيك لما أطقت حمله ولاحترقت، فكيف ما هو مني أو تتصف به ذاتي؟

من الإشارات إلى الاحتراق بأنوار التجلي الآية 64: ﴿ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ ﴾ عندما تفهم على بساط الجمال.

يقول ابن سودكين: [هذا قرنه بلو وهو ممتنع لغيره فهو لا يكشفها إذ لو كشفها لما قبلها وفي أسرع من لمح البصر يرتقي مقامات لم يرها قط ولا يعود إليها ولا يردك عن نفسك ولا تتعدى قدرك ولو قدرت قدرك لانتهيت وأنت لا تتناهى فكيف يقدر قدرك فإن عجزت ويحق لك العجز أن تقدر قدرك فتأدب ولا تطلب قدري فإنك لن تدركه وأنت أكرم موجود في علمي].

دم ما دامت ديمومتي لا ترى إلاّ نفسك في كل مقام[2]:

(1) وكذلك الاسم (دايم) عدده (4+1+10+40=55) فهو مجموع الخمسة التي لها الحفظ الذاتي والخمسون التي لها الحفظ الصفاتي، وبألف ولام التعريف (الدايم = 86) بعدد آيات (يس) تقريبا. أما عدده الصغير فهو (14) على عدد (ياسين) كما أن عدد (دايم) الصغير هو عشرة التي عليها مدار (يس) وهي ضعف خمسة الحفظ. وعدد حروف (يس) هو (3000) أي (x6 500) فالستة تحفظ نفسها فقط و(500) تحفظ نفسها وغيرها في مقام الأفعال.

(2) حول توحيد الألوهية انظر في الفتوحات الباب (172) الذي عنوانه " معرفة مقام التوحيد"وموقعه في الباب (559) في فقرة عنوانها: (قول العارف من وحد الحد)- IV ص 366- / وكذلك الباب (173) الذي عنوانه (معرفة مقام الشرك وهو التثنية). وكذلك الباب (464) المخصوص (بلا إله إلا الله) وهو هجير قطب الأقطاب، وموقعه في الباب (559) تحت عنوان «التأويل لأهل التهليل» - IV ص 415 / وكذلك أول فصل من الباب (558) / =

انتهت (يس) بالتسبيح، لأن الانسان لا يرى ولا يشهد من حضرة الله تعالى إلا نفسه.

وفي أســـرع من لمح البصر ترتقي مقامات لم ترها قطّ ولا تعود إليها ولا تـــزول عن نفسك ولا تتعدى قدرك، ولو قدرت قدرك لانتهيت وأنت لا تتناهى فكيف يقدر قدرك؟ فإذا عجزت – ويحق لك العجز– أن تقدر قدرك فتأدب ولا تطلب قدري فإنك لن تدركه وأنت أكرم موجود في علمي.

ثم قـــال لي: اعلم أنّ قلب العارف يمرّ عليه كلّ يوم سبعون ألف سرّ من أسرار جلالي لا يعودون إليه أبدا.

يقول ابن سودكين: [لكونه من أسرار العظمة إذ كل علم متعلق بالجناب الإلهي من غير مظهر فهو يعطي القبض والهيبة والجلال إذ هي من تجليات الهو. وإنما يكون تجلي الأمن والمناسبات والبسط في المظاهر الإلهية، وهذا أصل ينبغي أن يتحققه في المظاهر الإلهية خاصة أنها لا تقبض أبدا ولا يصح ذلك فيها].

لو انكشف سرّ منها لمن هو في غير ذلك المقام أحرقه.

يقول ابن سودكين: [سمعت شيخي وإمامي يقول عند شرحه لهذا المعنى أن لله تعالى ملكا مخصوصا بالأسرار وهو الذي ينفخ منه الأرواح الجزئية في جميع العالم لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ يحوي على سبعين ألف قوة فيعطي قلب العارف كل يوم سبعين ألف سر، تعطي كل قوة سر، فيعطي كل سر علما من علوم الألوهية هذا في كل يوم من أيام الدنيا وهذا العدد المخصوص إنما يدركه العارف بإخبار هذا الملك إخبارا كليا ولا يعلم أحد ما في قلب العارف إلا الله تعالى الذي أعطاه ذلك]. انتهى.

=

وكذلك الفصل التاسع من الباب (198) حيث فصل مواقع التهليل في القرآن وهي 36 / وكذلك الباب (272) في معرفة منزل تنزيه التوحيد المخصوص بسورة الإخلاص /وكذلك الباب (275) في معرفة منزل التبري من الأوثان المخصوص بسورة الكافرون، وموقعه في الباب (559) في فقرة عنوانها: (حقيق على الخلق ألا يعبدوا إلا ما اعتقدوه من الحق) – IV ص 386.

يشبه الشيخ هنا قلب العارف بالبيت المعمور في السماء السابعة فهو قلب تلك السماء كما أن الكعبة قلب البيوت الكونية. وقد تكلم الشيخ عليه في الفصل (21) من الباب (198) من الفتوحات فقال: [وأوجد الله في هذه السماء البيت المعمور المسمّى الضراح وهو على سمت الكعبة كما ورد في الخبر لو سقطت منه حصاة لوقعت على الكعبة «...» وهذا البيت له بابان يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون على الباب الذي يقابله لا يعودون إليه أبدا يدخلون فيه من الباب الشرقي لأنه باب ظهور الأنوار ويخرجون من الباب الغربي لأنه باب ستر الأنوار المذهبة فيحصلون في الغيب فلا يدري أحد حيث يستقرون وهؤلاء الملائكة يخلقهم الله في كل يوم من نهر الحياة من القطرات التي تقطر من انتفاض جبريل لأن الله قد جعل له في كل يوم غمسة في نهر الحياة، وبعدد هؤلاء الملائكة في كل يوم تكون خواطر بني آدم فما من شخص مؤمن ولا غيره إلا ويخطر له سبعون ألف خاطر في كل يوم لا يشعر بها إلا أهل الله. وهؤلاء الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور يجتمعون عند خروجهم منه مع الملائكة الذين خلقهم الله من خواطر القلوب فإذا اجتمعوا بهم ذكرهم الاستغفار إلى يوم القيامة. فمن كان قلبه معمورا بذكر الله مستصحبا كانت الملائكة المخلوقة من خواطره تمتاز عن الملائكة التي خلقت من خواطر قلب ليس له هذا المقام وسواء كان الخاطر فيما ينبغي أو فيما لا ينبغي فالقلوب كلها من هذا البيت خلقت فلا تزال معمورة دائما، وكل ملك يتكون من الخاطر يكون على صورة ما خطر سواء] .

وفي الباب (367)من الفتوحات المخصوص بسورة (الإسراء) وصف الشيخ معراجه وعند وصوله للبيت المعمور يقول: [ثم رأيت البيت المعمور فإذا به قلبي وإذا بالملائكة التي تدخله كل يوم تجلي الحق له سبحانه الذي وسعه في سبعين ألف حجاب من نور وظلمة فهو يتجلى فيها لقلب عبده لو تجلى دونها لأحرقت سبحات وجهه عالم الخلق من ذلك العبد].

وقد فصل الشيخ كمّ وكيف نظرات الله تعالى للأولياء وإقباله عليهم كل يوم في جوابه عن الأسئلة (116/115/114/113) من أسئلة الترمذي. فعدد نظراته مائة مرة يوميا وعدد إقباله أربعة وعشرون ألف إقبال في كل يوم، ويختم قائلا: [فمن اطلع على توقيت أنفاسه علم توقيت إقبال الله عليه في كل يوم فإن ذلك النفس من

نفس الرحمن فهو عين إقبال الحق عليهم وبه تنورت هياكلهم فهو في الأجسام ريح وفي اللطائف أرواح جمع رَوْح بفتح الراء وتسكين الواو سكونا حياًّ[1]].

ثم قـال لي: لـولاك مـا ظهرت المقامات ولا ترتبت المنازل ولا كانت الأسرار ولا أشرقت الأنوار ولا كان ثم ظلام ولا كان ثم اطلاع ولا حد ولا ظاهر ولا باطن ولا أوّل ولا آخر[2].

يعني أنه لولا وجود المخلوق الممكن، وخصوصا الإنسان الكامل الخليفة المخلوق على صورة الرحمن، ما ظهرت الأسماء الإلهية.

ومن هذا القول إلى آخر هذا المشهد السادس يعطي الشيخ أمثلة عن تقلب القلب من أعلى العلوّ حيث يكون مظهرا كاملا للحق إلى أسفل سافلين بحيث يكفر بخالقه ويكذب رسله والحشر والجزاء. وهذا كله ظاهر في (يس)، ففي بدايتها ووسطها ونهايتها وصف للكفار وعَبَدَة الشيطان والمكذبين بالآخرة، كما فيها أيضا ذكر للمبشرين بالمغفرة والأجر الكريم والمكرمين من الأولياء وأهل الجنة

---

(1) وقد تكلم الشيخ في العديد من كتبه على الخواطر والواردات التي تدخل القلب وكيفية التمييز بينها، منها في كتاب " روح القدس" وأواخر كتاب " التدبيرات الإلهية" وفي عدّة أبواب من الفتوحات منها الباب (264) في معرفة الخواطر والباب (265) في معرفة الوارد والباب (55) في معرفة الخواطر الشيطانية وأوائل الباب (73) في معرفة الحجج والمقارنة بين الكعبة وأركانها والقطب وواردات.

قوله(من أسرار جلالي): خصص الشيخ الباب (24) من الفتوحات لمعرفة الجلال وتكلم على حضرة الجلال في الباب (IV/558 ص 252/251) وله رسالة لطيفة في الجلال والجمال من آيات القرآن مطبوعة مع رسائله.

وقوله عن مصدر الواردات الجلالية وأنها من الروح الكلّي ففيه إشارة إلى ذكره في الآية (12) ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ ومن أسمائه أيضا "كل شيء" من الآية (83): ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ انظر ما ذكره الشيخ عنه في جوابه عن السؤال (39) من أسئلة الترمذي المخصوص بالعقل الأكبر الذي قسمت العقول منه لجميع خلقه. وكذلك الفصلان (12/11) من الباب (198) والفصل الأول من الباب (371). وكذلك في بدايات كتابه "عقلة المستوفز".

(2) انظر معاني (الأول والآخر الظاهر والباطن) في الباب (558/ ص 298 إلى 302). من الفتوحات.

والإشارة إلى الجمع الذاتي القرآني في الإنسان الكامل من الآية (69): ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ فهاء الهوية وضميرها راجع لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم... [1].

هذا وللقلب ثلاثة مراتب كلية تظهر في ياء (ياسين) لأن الياء من (يس) تشير للقلب والسين تشير لقلب القلب أو سر القلب، ولهذا افتتحت السورة بالياء وافتتح قلبها بالسين ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ . وقد تكلم الشيخ عن قلب القلب في الفصل الأول من الباب (371) من الفتوحات فقال: [.. فأول صورة قبل نفَس الرحمن صورة العماء فهو بخار رحماني فيه الرحمة (ولهذا ختمت الآية القلبية بـ«رب رحيم») فكان ذلك أول ظرف قبله وجود الحق فكان الحق له كالقلب للإنسان كما أنه تعالى لقلب الإنسان العارف المؤمن كالقلب للإنسان فهو قلب القلب كما أنه ملك الملك فما حواه غيره فلم يكن إلا هو.]. فالمرتبة العليا للقلب هي توجهه الدائم لله تعالى الواحد الأحد وهذه مرتبة الياء الأولى المتصلة بألف الأحدية من (ياسين). والمرتبة الوسطى للقلب هي توجهه واستمداده من الأرواح العلوية وأسرارها، وهذه مرتبة الياء الثانية المتوسطة بين السين والنون فهي امتداد للسين المُمِدّة، والمرتبة الدنيا للقلب هي توجهه للدائرة السفلية من الكون كتلك الياء الوسطى المتصلة بالنون. فالياء الأولى للقلب الرباني والياء الوسطى للقلب الكوني.

فأنت أسمائي ودليل ذاتي، فذاتك ذاتي وصفاتك صفاتي.

يقول ابن سودكين: [أي أن الذات المقدسة لا أثر لها من كونها ذاتا ولا تتعلق بشيء ولا يتعلق بها شيء ولها الغنى على الإطلاق ومتى استدعت نسبة من الآثار لم يكن... العبد من كونه عبدا لا أثر له ولا نسبة أبدا بل عبودية محضة وفقرا محضا فقره ذاتي في قبالة الغنى الذاتي ولو كان للعبد نسبة ما إلى الغنى لم يكن محققا بالعبودية أو ليس ذلك له ويخرج عن مقام كماله الذاتي في العبودية بقدر مشاركته لما استدعته ذاته من نسبة الغنى. وما رأيت أحدا في هذا المشهد وهو أن

(1) راجع هذه المعاني مفصلة في علوم القطبين الثالث والرابع من الباب (463)من الفتوحات.

يكون دائم الشهود لذله الذاتي المقابل لغنى الحق من كونه ذاتا ولما تستحقه من الغنى المطلق الذي لا يصح كمال العبودية المطلقة إلا بدوام شهوده لهذا المشهد مستصحبا في جميع شؤونه ملكا وملكوتا ودنيا وآخرة].

فابرز في وجودي عني تخاطبهم بلساني وهم لا يشعرون، يشهدونك متكلما وأنت صامت، يشهدونك متحركا وأنت ساكن، يشهدونك عالما وأنت معلوم، يشهدونك قادرا وأنت مقدور. فمن رآك فقد رآني، ومن عظّمك فقد عظّمني، ومن أهانك نفسه أهان، ومن أذلّك نفسه أذلّ.

يقول ابن سودكين: [أي من حيث عبوديتك وكمالك الذاتي أنت صامت وساكت ومن حيث كمالك العرضي أنت متكلم وذلك الكمال والكلام إنما هو لأسمائي وآثاري القائمة فيك والحاكمة عليك. قال إسماعيل سمعت شيخي يقول في أثناء شرحه لهذه الحقيقة العزيزة متى جاءك أمر يقتضي العدم المحض فهو أنت من حيث ذاتك. ومهما جاءك أمر يقتضي الوجود فهو مما استفدته مما لا تقتضيه ذاتك، ومتى ما جاء الغنى على الإطلاق والأحدية على الإطلاق والعظمة المطلقة والجلال المطلق والتنزيه المطلق فهو من حيث الذات القديمة ومهما جاءك مما عدا هذه الخمسة فهو من أوصاف المرتبة المعبر عنها بالألوهية وهي مسمّى الله تعالى فتحقق].

تلك الخمسة الذاتية الإطلاقية التي ذكرها الشيخ - أي الغنى والأحدية والعظمة والجلال والتنزيه- نبه عليها في عدة مواضع من الفتوحات، وأشار إليها بالأحرف المقدسة المشكلة للاسم الذاتي الأعظم وهي الحروف التي لا تتصل بما بعدها من الحروف وهي (ا، ر، ز، د، ذ، و، لا). وكثيرا ما تكلم الشيخ على التمييز بين مرتبة الذات الغنية عن العالمين وعن مرتبة ألوهيتها. انظر مثلا الباب (272) من الفتوحات المخصوص بسورة الإخلاص، وكذلك الباب (275) لمنزل (الكافرون) حيث يقول: [.. وهي الدال والذال والراء والزاي والواو وهي خمسة أحوال من اتصف بها عرف الأحدية وكانت عبادته ذاتية لم يقترن بها أمر وهي عبادة المعنى للمعنى. فإنّ الأمر عبادة الحرف للحرف. فلا يخطر لعابد المعنى فرق بين الذات والألوهية ولا كثرة بل يرى عينا واحدة تستحق ما هو عليه هذا العارف من حيث معناه لا من حيث حرفه. وهذا مقام الجلال والعظمة وأحدية العبد التي أعطته

معرفة الأحدية الذاتية والتنزيه والغنى..]. وفي جوابه عن السؤال (188) من أسئلة الترمذي المتعلق بحروف رأس الأسماء الذي أبهم على الخلق يقول: [ما حروفه؟ الجواب: الألف ولام اللف والواو والزاي والراء والدال والذال. فإذا ركبت التركيب الخاص الذي تقوم به نشأة هذا الاسم ظهر عينه ولونه وطوله وعرضه وقدره وانفعل عنه جميع ما توجهه عليه].

فالجلال المطلق له الذال. والعظمة المطلقة لها الدال. والأحدية لها الراء. والتنزيه له الزاي. والغنى المطلق له الواو. أما الألف فلأحدية الحق جل جلاله وقيوميته المطلقة.

تعاقب من تريد وتثيب من تريد بغير إرادة منك.

أي عقوبة شرعية بإرادة الله التي بينها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

أنت مرآتي وأنت بيتي وأنت مسكني وخزانة غيبي ومستقرّ علمي؛ لولاك ما عُلمت ولا عُبدتُ ولا شكرت ولا كفرت؛ إذا أردت أن أعذب أحدا كفر بك، وإذا أردت أن أنعمه شكرك، سبحانك وتعاليت، أنت المسبّح والممجّد والمعظم.

يقول ابن سودكين: [لأنه لما نزهه العبد وعظمه ومجده وقال له سبحانه من كونه ذاتا أنت ذاك تنزه ذاتك وتعظم ذاتك وأنا منزه عن تنزيهك. وهذا الخطاب من الذات إنما هو لغير الألوهية إذ هي المخاطبة منك وهي التي نزهت فعاد التنزيه عليها فكأنه سبحانه نزه مرتبته وأنها تقتضي كذا وكذا لا ذاته سبحانه وما أحسن قوله صلى الله عليه وسلم " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" أي ليس كمثلك شيء] .

غاية العلم والمعرفة أن تتعلق بك. أوجدت فيك من الصفات والنعوت ما أردت أن تعلمـــني بها، فغاية معرفتك على قدر ما وهبتك، فما عرفت إلاّ نفسك. انفردت أنا بصفات الجلال والجمال لا يعلمها أحد غيري. لو علم علمي وإرادتي وجمـــيع صفاتي – إذ ليس لها جمع ولا يأخذها حدّ– لم أكن إلهاً ولا كنت خالقا. فكل تنزيه تُنَزهني عليك يعود، فإنما يبعد عن النقائص ويقدّس عنها من اتهمت فيه أو جـــوّزت عليه. تعاليت في نفسي لنفسي بنفسي علوّا كبيرا لا يدرك ولا يحسّ؛

الأبصار قاصرة والعقول حائرة والقلوب في عماية والعالمون في تيه الحيرة تائهون، الألباب حائرة عن إدراك أدنى سرّ من تجلي كبريائي. فكيف تحيط به؟ علمكم هباء منثور وصفاتكم عدم وحقيقتكم مجاز في ركن وجودي.

ارجع وراءك لن تعدو قدرك؛ كلكم جاهل عني أخرس أعمى عاجز قاصر صامت حائر لا يملك قطميرا ولا فتيلا ولا نقيرا؛ لو سلّطت عليكم أدنى حشرات المخلوقات وأضعف جندي لأهلكتكم وتبّرتكم ودمرتكم؛ فكيف تدّعون أو تقولون أنكم أنا وأنا أنتم. ادعيتم المحال وعشتم في ضلال، تفرّقتم أحزابا وصرتم أشتاتا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ المؤمنون 53 والحق وراء ذلك كله.

كل هذه المخاطبات متفرعة من خطاب السيادة في (يس)، وراجع تفصيل هذه المعاني في جواب الشيخ عن أسئلة الترمذي التي رقمها (40/41/42/43/44/ 45/46/131) ومعاني هذه الفقرة ينظر تفصيلها في الفتوحات: الباب (396) الذي عنوانه " من جمع المعارف والعلوم حجبته عني" وفقرته في الباب (559) عنوانها: "المعارف في العوارف" (ص 408) وهذا الباب هو من مواقع سورة المجادلة والباب (400) وعنوانه: " من ظهر لي بطنت له ومن وقف عند حدي اطلعتُ عليه" وفقرته في الباب (559) عنوانها: (ما يجمع الظهر والبطن والحد والمطلع) (ص 411) وهو لسورة القمر/ الباب (406) وعنوانه" ما ظهر مني شيء لشيء ولا ينبغي أن يظهر" وفقرته في الباب (559) عنوانها: (ما ظهر إلا أنت حيث كنت - ص 421) وهو لسورة النمل / الباب (421) وعنوانه: " من طلب الوصول إلي بالدليل والبرهان لم يصل إليّ أبدا" وهو لسورة يوسف/ الباب (430) وعنوانه " إن حيرتك أوصلتك إليّ" وفقرته في الباب (559) وعنوانه: " من رآني وعرف أنه رآني فما رآني" وهو لسورة (غافر) / الباب (466) وعنوانه: " معرفة قطب كان هجيره ومنزله سبحان الله" وفقرته في الباب (559) عنوانها: " التسبيح تجريح" ص 414/ الباب (500) عنوانه: " معرفة حال قطب كان منزله ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم " وفقرته في الباب (559) عنوانها: " اقتحم العقبة من أفرد نفسه بالمرتبة" ص (437)...

وينظر كلام الشيخ حول الكبرياء في الباب (558) من الفتوحات **IV** ص

209)/ والباب (465) في معرفة حال قطب كان منزله " الله أكبر" وفقرته في الباب (559) عنوانها: " الله أكبر ممن أعمّن" - ص 415 - والباب (387) في معرفة منازلة التواضع الكبريائي وفقرته في الباب (559) عنوانها: " من تواضع عن رفعة إلا صاحب منعة"- ص (407) - وهو لسورة الملك / وأجوبة الشيخ عن أسئلة الترمذي التي أرقامها: (108/107/106/105/104..).

يـــا عـــبدي وموضع نظري من خلقي بلغ عني حقا وأنا الصادق، وعزتي وجـــلالي وما أخفيته من سنيّ علمي لأعذبن عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين من كذّب رسلي:

كقولهم في الآية (15) من (يس): ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

وكذّب اختصاصي لهم من سائر العباد وكذّب بصفاتي وادعى أنه ليس لي صفة:

أي كغلاة المعتزلة والباطنية وأمثالهم.

وأوجب عليّ وأدخلني تحت الحدّ:

أي ككثير من غلاة المشبهة والمتكلمين في الذات الإلهية أو مرتبة الألوهية من غير نصّ شرعي معصوم.

وكـــذّب كلامي وتأوله من غير علم به وكذب بلقائي وقال إني لم أخلقه وإني غير قادر على بعثه كما بدأته:

﴿ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ - 52.

وكـــذّب بحشري ونشري وحوض نبيي وميزاني وصراطي ورؤيتي وناري وجنّتي وزعم أنها أمثلة وعبارات المراد بها أمور فوق ما ظهر:

في هذا رد على غلاة الباطنية والفلاسفة المنكرين للبعث الحسّي الجسماني: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ - 73 إلى 78:

وعزّتي وجلالي ليردون ويعلمون من أصحاب الصراط السويّ ومن اهتدى

ولأنتقمنّ في دار الخزي والعذاب منهم:

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ - 54.

علـــى ما أخبرت في كتبي كذّبوني، وصدّقوا أهوائهم ونفوسهم سوّلت لهم الأباطيل وشياطينهم لعبت بهم.

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾. - 63

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ – الأنبياء 98.

فقف عند حدي وانظر في كتابي فهو النور الجليّ وفيه السرّ الخفي:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ - 69-70-.

صراطي ممدود على ناري:

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ - 66-.

فالويل ثم الويل لمن كذّبني.

يا عبدي: هل حجبتُ سرّك عني وعن معرفتي وعن التصرف في ملكي وفي ملكـــوتي في دنياك ببقاء جسمك وغذائك وتصرّفك مع أبناء جنسك؟ ألم تعلم أن العارفين كما هم اليوم كذلك يكونون غدا أجسامهم في الجنان وقلوبهم في حضرة الرحمن:

﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ - 58-.

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ المؤمنون 53، وكلّ له شرب معلوم وسيردون فيعلمون، كأنهم ما سمعوا ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾ القلم 42.

﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

وختم الشيخ بالسجود إشارة إلى أن المشهد السابع الموالي هو لسورة السجدة - والله أعلم - وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المشهد السابع/

مشهد نور الساق بطلوع نجم الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

– أشــــهدني الحق بمشهد نور الساق وطلوع نجم الدعاء، وقال لي: عليه الاعتماد وهو الأمر الذي لا يردّ، من حضرة الجلال صدر وفي مستقرها ظهر، فاحذره إذا بدا.

هذا المشهد هو مشهد (الم) فاتحة السور الستة التي أولها بعد (يس): السجدة ثم لقمان ثم الروم ثم العنكبوت ثم آل عمران ثم البقرة. وفي هذه السور أمر بإقامة الصلاة التي من أركانها السجود. وقرن (الساق) بـ(الم) لأن هذه الحروف الثلاثة تشير للمظاهر الثلاثة الكبرى للساق: المظهر الملكوتي الأعلى للساق في عالم العظمة وهو ساق الألف لأن مخرجها من الصدرمن حيث اللفظ ولشكلها القيومي الأحدي من حيث الرقم، والمظهر الجبروتي البرزخي الأوسط في عوالم الروح وهو ساق قائمة اللام، لأن مخرجه من أوسط مخارج الحروف وشكله كالألف المتصلة بتعريقة الكون. والمظهر الملكي الشهادي الأسفل في عالم الحس وهو ساق تعريقة الميم النازلة إلى الأسفل، ولأن مخرج الميم من الشفتين. فالألف لها ساق الذات، واللام لها ساق الصفة، وللميم ساق الفعل. وقد أشار الشيخ إلى ساق الألف في قوله معرفا (لام الألف) في الباب الثاني من الفتوحات:

تعانـــق الألـــف العـــلام والـــلام   مـــثل الحبيبـــين فالأيـــام أحـــلام

والتفت الساق بالساق التي عظمت فجاءني منهما في اللف إعلام

كما ذكر إشارة الميم للملك خلال كلامه حول (الم) فقال: [الألف من الم إشارة إلى التوحيد والميم للملك الذي لا يهلك واللام بينهما واسطة].

وقد قرن الشيخ الساق بالدعاء إشارة إلى (الم) من سورة السجدة، والدعوة للسجود مقترنة بكشف الساق لقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾ سورة القلم الآية 42. وقوله تعالى في الآية 15 من السجدة: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا ﴾. من ناحية أخرى الحرفان (ال)هما للتعريف: الألف للمعرفة الذاتية، واللام للمعرفة الصفاتية، والميم ترمز أحيانا للعبد الساجد، ولا يكون السجود إلا إثر سطوع نور ساق التعريف.

وقد خرَّ موسى صعقا لما انكشف له قبس من نور الساق، فهو عليه السلام صاحب الصخرة المستمسك بالساق الذي ختم الشيخ به هذا المشهد. ولم يذكر في سورة (السجدة) نبي إلا موسى عليه السلام، وقرنه باللقاء مع روح الساق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى في الآية (23): ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾ . وقد لقيه خلال معراجه الذي فرضت فيه الصلاة، وكان سببا في تخفيف عددها من خمسين إلى خمسة كما هو مشهور في حديث المعراج.

وإن بين هذا المشهد والمشهد الثالث عشر المخصوص بسورة (الرعد) المفتتحة بـ(المر) علاقة أصيلة فلذلك المشهد نور العمد ولهذا المشهد السابع نور الساق، والعمد هو الساق لكن لكل منهما اختصاص بمقام: فالعمد هو مظهر الحقيقة المحمدية في الإنسان الكامل. وأما الساق فهو مظهر الحقيقة الأحمدية العليا. والفرق بين المحمدية والأحمدية كالفرق بين ميم (محمد) وألف (أحمد): فوجه الإنسان الكامل لدائرة الكون من دائرة ميم المحمدية، ووجهه إلى ألف أحدية الحق من ألف الأحمدية. فوجهه للحق (أحمد) وفاتحته (الم)، ووجهه للخلق (محمد) وفاتحته (المر).

وفي الباب 375 من الفتوحات - وهو يتعلق بسورة التوبة - أشار الشيخ إلى العلاقة بين الساق والعمد فقال:

إذا مـــا كـــنت معـــتمدا لـــشيء فأنـــت لـــه إذا فكـــرت ســـاق
علـى العمـد الـذي قـد غـاب عـنا إذا مـــا كـــنت تعـــتمد الطـــباق
فكـــن ذاك العمـــاد تكـــن إمامـــا فيظهـــر عـــندك الـــدين الـــوفاق

- **ثم قال لي: إن استمسكت به كلّمتك ووجدك الحبيب مصاحبي.**

أي إن استمسكت بالشرع المحمدي تصح لك مكالمة الحق ومناجاته في الصلاة وفي تلاوة القرآن وفي الذكر، ووجدك الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم مصاحبا للحق تعالى لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية 31 من سورة آل عمران، وقوله تعالى عن كلامه المجيد ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ الدخان الآية 58 وقوله في الحديث القدسي: [أنا جليس من ذكرني].

- **ثم قال لي: لا تستمسك بالساق إلاّ عند طيّ السماء ومورها وسير الجبال وذهاب القدمين وفناء كل ميت وبقاء كل حيّ.**

أي لا تستمسك بالساق الدال على الله تعالى به من حيث بشريته التي حجبت أكثر الناس عن الحق تعالى، واستمسك به من حيث خصوصيته بالاصطفاء والوحي والشفاعة والوسيلة، أي من حيث قوله تعالى له: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الفتح الآية 10. وذلك هو قوله: «إلا عند طي السماء» إلخ... أي عند فناء الكونية المقيدة بشهود التابع، وبشهوده الحق تعالى في مظهر الرسول يصحّ الاستمساك به. أو بعبارة أخرى لا تستمسك به من حيث إن ليس له من الأمر شيء لقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ القصص: 56- ولكن استمسك به من حيث: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾-الشورى الآية 52-. ومن حيث قوله تعالى: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ - الصافات الآية 175-.

- **ثمّ قال لي: إذا حضر الساق فاحذر السلب.**

إشارة إلى وجوب التزام الأدب الكامل مع الحضرة المحمدية لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾- الآية 63

من سورة النور-. وقوله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ - النساء الآية 65-. فمن لم يسلم تسليما سلب، إذ هو صلى الله عليه وسلم الواسطة العظمى في القرب من الحق تعالى والفوز برضوانه كما قال الشيخ عبد السلام بن مشيش في صلاته [ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط]. ويقول الشيخ الأكبر في صلاته: [إذ هو بابك الأعظم الذي من لم يدخل منه سدت في وجهه الأبواب].

ومن المعاني المحتملة لقوله «إذا حضر الساق فاحذر السلب» أي احذر من أن يسلبك الوقوف مع الحضرة المحمدية في المظاهر المقيدة من شهود الأحمدية في المظاهر المطلقة ومن شهود الواحدية الأحدية في إحاطتها، فالكمال هو في شهود الشريعة في الحقيقة والحقيقة في الشريعة، والإطلاق في التقييد والتقييد في الإطلاق.

- **ثم قال لي: شغلناكم بالاستدراج عن مشاهدة الساق عند مجاوزة الحد بالنعيم الآجل.**

إشارة إلى أن الساق أي الحضرة المحمدية هي روح النعيم العاجل والآجل، لأنه كما يقول الشيخ في عدّة مواقع من الفتوحات أكمل رؤية للحق هي رؤيته في صورة محمدية بعين محمدية. فمن نزل عن هذا المشهد تنحصر همّته فيما دونه من النعيم المحدود المقيد.

ثمّ قال لي: على الساق قامت البيّنة والشرف له لكنه تبع.

بينة الحق للعباد إنما ظهرت بواسطة الرسول عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى بل تابع لما يوحى وبذلك شرفه.

ثم إن بنية الوجود قائمة بساق الحضرة الأحمدية إذ من نوره الأصلي صلى الله عليه وسلم انبثقت الموجودات بأمر الله تعالى كما قال الشيخ عبد السلام بن مشيش في صلاته: [اللهم صل على من انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت

بفيض أنواره متدفقة، ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط].

وذلك لأن الغاية من الوجود الكوني هو عبادة الله تعالى لقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ - الذاريات الآية 56-. وهو صلى الله عليه وسلم الذي كملت به العبادة والعبودة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ - الزخرف: 81 -. ولهذا قال الشيخ [فالشرف له لكنه تبع] فشرفه صلى الله عليه وسلم بكمال العبادة وغاية العبودية إذ هو تابع لما يحبه ربّه تعالى في كل آن، إذ الحقيقة الأحمدية قبس وقبضة من إطلاق الحضرة الإلهية.

- **ثم قال: بظهوره يشتدّ ظهور الشمس ويغيب القمر وتتكدر النجوم وإليه المرجع.** ظهور أنوار الحقائق كمل بشروق الشمس المحمدية الجامعة الخاتمة لقوله تعالى عنه: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ الأحزاب 46/45. فبظهوره غابت أقمار الشرائع السابقة وانكدرت نجوم خلفائهم لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف الآية 158. وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ - آل عمران الآية 85-. وقال صلى الله عليه وسلم [لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني] وقال تعالى مصرحا بأن روحه صلى الله عليه وسلم هو الشمس التي يستمد منها كل الرسل والأنبياء والخلفاء: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ - آل عمران الآية 81-. يقول الشيخ الأكبر في الباب 559من الفتوحات: [النبي صلى الله عليه وسلم لما ختم به النبيين أوتي جوامع الكلم، واندرجت الشرائع كلها في شرعه اندراج أنوار الكواكب في نور الشمس].

- **ثم قال لي: إنّه لي عبادا اشتغلوا بالقلم الإلهي عن الساق، وإنّ لي**

عبادا اشتغلوا بالقلب عن القلم، وإنّ لي عبادا اشتغلوا بسرّ القلب عن القلب، وإنّ لي عبادا تاهوا، فكن من أيّ العبيد تريد.

أي لا تنحصر في شهود أي مقام مهما كان شرفه وليكن حالك دوما الآية 114 من سورة طه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ . وينظر كلام الشيخ حول عدم الانحصار في مقام ما في الباب 420 من الفتوحات وهو في معرفة منازلة التخلص من المقامات، وأصحابه هم رجال الأعراف الذين خصص لهم الشيخ الباب 40 من الفتوحات.

- ملاحظة: إذا كان للساق نسبة متميزة مع [الم]، فالقلم الإلهي له نسبة مع ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ ﴾ ، وللقلب نسبة مع (ق)، ولسر القلب نسبة مع (يس)، ولخفيّ السر نسبة مع (حم عسق). والله أعلم.

- ثم قال لي: الساق جزء من أجزاء المطلع، وأنت فوق المطلع، فما لك والساق؟ عليك يعتمد الساق وإليك ينظر وبه يستمسك صاحب الصخرة.

أي أن الساق مقام المستمسك بالصخرة سيدنا موسى عليه السلام، وهو قبس من أنوار المطلع الذي هو من مقامات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الحضرة المحمدية. فارفع همتك أيها السالك للترقي من المطلع المحمدي إلى الكثيب الأحمدي والعمد الأحدي حيث يعتمد عليك الساق، لأن قيام الأحمدية بالأحدية، ومن خصائص الأحمدي النظرة الدائمة لحضرة الحق في الآن الدائم، وبه يستمسك صاحب الصخرة الكليم الموسوي الذي تصعقه الرؤية.

المشهد الثامن/

مشهد نور الصخرة بطلوع نجم البحر

بسم الله الرحمن الرحيم

أشـــهدني الحـــق بمشهد نور الصخرة وقال لي: يا أيتها الصخرة المشرّفة إليك آوى من أكل كبد أبيه مع منكر البحر الأخضر.

يشير بمن أكل كبد أبيه إلى الخضر الذي شرب من ماء الحياة لأن الكبد محل تكوين الدم الحامل لحرارة الحياة في الجسم. ومنكر البحر الأخضر فهو موسى عليه السلام الذي أنكر على الخضر أعماله كما هو مفصل في سورة الكهف. فالبحر الأخضر كناية عن العلم اللدني الذي اختص الله به الخضر عليه السلام.

فخـــبريني، ما أكل عليك؟قالت: الشطر. قال لها: والشطر الآخر؟ قالت: غـــاب في البحـــر. قال: ميتا أو حيّا؟ قالت له حيّا. قال: والشطر المأكول؟ قالت ميتا. قال: حلالا أو حراما؟ قالت حلالا. قال: فقولي حيّا. قال: كم قعدوا عليك؟ قالـــت: الـــنهار كلّه. قال: والليل؟ قالت له: فارقوني بالليل وانبسط عليّ البحر الأخضر فغمرني بمادة القمر؛ فلما أبصر الشمس انحصر عني فانكشفت للشمس.

قال لها: والنجوم ما كانت تصنع عند محادثة البحر الأخضر للقمر؟ قالت: انكدرت قال: ويحقّ لها أن تنكدر. يا أيها القمر اطلع من بحر الغرب فإذا وازيت قبّة أرين فابسط فيها ولا تغب في الشرق فتكن مطرودا.

يا أيّها القمر شرف الشرق بطلوعك ولو مرّة واحدة في السنة.

يا أيها القمر حرّمت عليك الطلوع ما دامت المشارق والمغارب باقية.

يا أيها القمر غص في البحر الأخضر ولا تظهر إلاّ لحيتانه ولا تخرج أبدا.

يـــا أيها القمر قل للبحر الأخضر يضم عليك أطفانه عن أمري ولا يتموّج ولا يتراكم فيسمع دويه. أنا أغار عليك. بلغه عني وقل له: إن تموّج أو أظهر نفسه أو رمـــى بك على ساحله أو حجبك عن حيتانه أسلّط عليه دابّة تشربه ثم ترمي به من دبرها في العدم، وأخرجك منه وألقيك في البحر الأبيض ليكون أبلغ في نكايته.

يا أيها القمر قل للصخرة تتفجر اثنتي عشرة عينا فإذا انفجرت فانغمس في كل عين غمستين كاملتين واغمس ثلثك في ثالث غمسة فالثالث محل الكم.

يـــا أيهـــا القمر لا تنظر إلى الصخرة فتنسى ما قلت لك أن توصله للبحر الأخضر.

يـــا أيها القمر: لا تسقط في قبّة أرين حتى تكون قمرا؛ إن كنت بدرا فلا تطلـــع أو هلالا فلا تطلع، ولكن اطلع قمرا ولا تفارق أرين تقف على سرّ الأنهار إن شاء الله تعالى.

هذا المشهد الثامن والمشهد التاسع بعده يناسبان السور الطواسين الثلاثة التي نزلت متتالية حسب ترتيبها في المصحف وهي القصص والشعراء المفتتحتان بـ(طسم) والنمل المفتتحة بـ(طس).

ما هي الإشارة في هذا المشهد لهذه السور؟! الاسم الثاني لسورة (القصص) هو سورة (موسى) وقد ذُكر في آخر المشهد السابع السابق أن المستمسك بالساق صاحب الصخرة هو موسى عليه السلام. فعنوان هذا المشهد (نور الصخرة) يشير إليه لأن الصخرة ذكرت في القرآن مقترنة به، ففي الآية (63) من الكهف: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ وإلى هذه الآية أشار الشيخ بقوله في أول المشهد: (أيتها الصخرة المشرفة إليك آوى من أكل..) وكذلك في العنوان (نجم البحر) وقصّة انفلاق البحر لموسى مشهورة وكذلك قصة إلقائه في اليمّ وهو وليد وكذلك انفجار الصخرة اثنتا عشرة عينا بعصاه كما أشار إليها الشيخ في آخر المشهد. قال تعالى في الآية (63) من الشعراء ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ

مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾[1]. والصخرة ترمز للجبل أي الطور الذي كلم الله عليه موسى. وتكلم الشيخ في هذا المشهد على الدابة التي تشرب البحر الأخضر. وقد ورد ذكر الدابة في الآية (82)من سورة (النمل): ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ ، وهي الجساسة[2]، وهي تخرج وقت الدجال وياجوج وماجوج...

- إلى أي شيء ترمز الصخرة؟

إنها ترمز للجسم الكلي المتمثل في العرش. وترمز لجسم العبد الكامل المتحقق بمحض العبودية المتفجر بمياه الطاعات الشرعية والمعارف اللدنية. والعرش يُسمّى: جسم الحضرة. والمظهر المحسوس الظاهري له هو فلك البروج. ولهذا ورد في هذا المشهد ذكر الشمس والقمر والنجوم، وذكر ابن سودكين البروج وتأثيرها في التكوين. وانقسام هذا الفلك إلى اثنتي عشر برجا أشار إليها الشيخ بقوله: [قل للصخرة نبعي اثنتي عشرة عينا]. وكذلك في صخرة الجسم البشري اثنا عشر ثقبا: العينان والأذنان والمنخران والفم والثديان والسبيلان والسرّة. ولهذا العدد صلة خاصة بالمقام الموسوي الذي له هذا المشهد فقد كلّمه الله تعالى باثني عشر ألف كلمة، وضرب بعصاه الصخرة فتفجرت باثنتي عشرة عينا، لكل سبط من بني إسرائيل عين، ولكل واحد من نقبائهم عين، والعلاقة الرمزية بين البروج والأسباط معلومة في الملة الإسرائيلية. وبسير القمر في دائرة الفلك تعينت المنازل الثمانية والعشرون المقسمة على البروج الاثني عشر حسب التقسيم الفلكي المعروف بحيث يكون لكل برج منزلتان وثلث، وإلى هذا أشار الشيخ في خطابه للقمر:

[فانغمس في كل عين - أي في كل برج - غمستين كاملتين واغمس ثلثك في ثالث غمسة[3]].

إلى أي شيء يرمز البحر الأخضر؟

---

(1) يلاحظ أن رقم آية الصخرة في الكهف - أي 63- هو نفس رقم آية البحر في الشعراء.

(2) انظر وصفها في الباب 357 الخاص بسورة النمل - III ص 259 - 260.

(3) عن سر هذا التقسيم للمنازل على البروج راجع الفصل (20) من الباب (198) في الفتوحات.

إنه يرمز للزمردة الخضراء أي اللوح المحفوظ، وخضرته من اختلاط بياض وجهه الأول نحو القلم الأعلى وسواد وجهه الثاني أو ساحله الثاني نحو الطبيعة الكلية؛ فللقلم النور الكامل لأنه لا واسطة سببية بينه وبين المبدع الباري تعالى. والظلمة للطبيعة لارتباطها بالهباء- أو الهيولي - المظلمة والمسماة بالسبخة السوداء، ولأن حكم الطبيعة يظهر في الجسم المسمّى بالغراب الأسود. والبحر الأخضر كما يرمز للوح المحفوظ المسمّى أيضا بالنفس الكلية يرمز أيضا في الإنسان إلى اللوح الجزئي أي النفس الجزئية. ولون النفس الراضية المرضية أخضر لاعتدالها بين بياض نور الروح وسواد ظلمة الجسم... وقد خصص الشيخ لمعرفة مقام اللوح والقلم والهباء والجسم الكلي رسالة عنوانها: (رسالة الاتحاد الكوني) أو(الشجرة والطيور الأربعة)فالشجرة هي عبارة عن الإنسان الكامل الذي سمّاه في تلك الرسالة (صخر بن سنان)كما ذكر هذه الرموز في تعريفه للمصطلحات الصوفية خلال جوابه عن السؤال (153) من أسئلة الترمذي فقال:

[فإن قلت: وما السبخة قلنا الهباء الذي فتح فيه صور أجسام العالم المنفعل عن الزمردة الخضراء. فإن قلت: وما الدرة البيضاء قلنا العقل الأول صاحب علم السمسمة. فإن قلت: وما السمسمة قلنا: معرفة دقيقة في غاية الخفاء تدق عن العبارة ولا تدرك بالإشارة مع كونها ثمرة شجرة. فإن قلت: وما هذه الشجرة؟ قلنا الإنسان الكامل مدبر هيكل الغراب. فإن قلت: وما الغراب؟ قلنا: الجسم الكل الذي ينظر إليه العقاب بوساطة الورقاء فإن قلت: وما العقاب؟ قلنا: الروح الإلهي الذي ينفخ الحق منه في الهياكل كلها أرواحها المحركة لها والمسكنة، والورقاء النفس التي بين الطبيعة والعقل. ودون الطبيعة هي العنقاء. فإن قلت: وما العنقاء؟ قلنا الهباء لا موجود ولا معدوم. [1]] انتهى.

- إلى أي شيء يرمز البحر الأبيض؟

إنه يرمز للدرة البيضاء أي القلم الأعلى المُمِدِّ للبحر الأخضر، ويرمز أيضا

(1) راجع تفصيل مراتب القلم واللوح والطبيعة والهباء والشكل الكل والجسم الكل والعرش وفلك البروج في الباب (198) من الفتوحات في الفصول: (11/12/13/14/15/16/17/ 19/18).

في الإنسان إلى روحه القدسية التي رجعت إلى صفائها الأول بالمجاهدة والمشاهدة.

- إلى أيّ شيء يرمز القمر؟

إنه يرمز إلى مرتبة الطبيعة التي تقع مباشرة دون مرتبة اللوح ولهذا قالت الصخرة: انبسط عليّ البحر الأخضر - أي ظهر على الجسم فعل النفس - فعمرني بمادة القمر - أي أن فعل النفس في الجسم يكون بواسطة الطبيعة، سواء الجسم العرشي الكليّ أو أي جسم طبيعي جزئي... وقد أشار إلى هذا ابن سودكين في شرحه لجملة (مادة القمر) حيث فسرها بقوله: (أي علم إلهي يتعلق بعلم الطبيعة).

- ما النسبة بين القمر والطبيعة حتى يرمز إليها؟

❖ أولا: القمر يستمد من الشمس ويُمد الأرض. وكذلك مرتبة الطبيعة تستمد من اللوح أو الروح الكل وتمدّ أرض الجسم الكل كما أن طبيعة الإنسان تستمد من النفس وتؤثر في البدن.

❖ ثانيا: من أبرز خصائص الطبيعة عدم الاعتدال الذي هو سبب التكوين والتغيير على الدوام، وكذلك القمر فإن نوره دائما في زيادة أو نقصان فلا ثبوت له على حالة واحدة.

❖ ثالثا: للطبيعة من حيث مرتبتها لونان: بياض من حيث استمدادها من اللوح، وظلمة من حيث التصاقها بالهباء أو السبخة السوداء، فنور الطبع على حسب استمداده من نور شمس الروح، وظلمة الطبع على حسب التفاته وانغماسه في ظلمة الكثافة المادية.. وكذلك القمر له نوره وظلمته حسب منزلته في دورته الفلكية.

❖ رابعا: للطبيعة أربعة أركان: حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة وللطبيعة البشرية في الجسم أربعة أخلاط: دم وبلغم وصفراء وسوداء، وللقمر في سيره أربعة مراحل لكل مرحلة أسبوع أو ربع الدائرة الفلكية.

❖ - ما النسبة بين المقام الموسوي وهذا المشهد؟

أشار الشيخ إلى المقام الموسوي في آخر المشهد السابق بقوله عن الساق: (وبه يستمسك صاحب الصخرة) وبقوله في أوله: (إن استمسكت به كلمتك) وعلق ابن سودكين عليه بقوله: (ينظر إلى حديث موسى عليه السلام وكونه ماسكا بقائمة من قوائم العرش...) أي الحديث النبوي المخبر عن إفاقة الخلق من الصعق عند

النفخ في الصور وكون موسى يكون حينئذ ماسكا بقائمة عرشية[1]. ففيه إشارة إلى أنّ للمقام الموسوي الذي هو مقام التكليم علاقة مباشرة بمرتبة الجسم الكل بين الصخرة العرشية والبحر الأخضر في اللوح المحفوظ. وقد بين الشيخ في الفصل (26) من الباب (198) أن الاسم الإلهي المتوجه لإيجاد مرتبة الجسم الكل هو (الظاهر)، فاستمداد المقام الموسوي والملة الموسوية منه، ولهذا كثرت عند بني إسرائيل الآيات الظاهرة المحسوسة، ولما انحرفوا عن ملتهم كانوا أشدّ الناس إغراقا في المادية وطبيعة الجسم الكثيفة. وإلى هذه المعاني من الاسم (الظاهر) أشار الشيخ عند وصفه لغذاء صاحب الصخرة وابنه، فهو الشطر الظاهر من الحوت، أي العلم الظاهر من الوحي الذي به حياة الإنسان والأمم، أي هو علم ظاهر الشريعة كما ظهر ذلك في قصّة موسى مع الخضر عليهما السلام، وكان أكل الغذاء والقعود على الصخرة طول النهار، أي زمن الظهور والحركة الحسية بعكس الليل الذي يرمز للغيب الباطن وللحركة الروحية، ولهذا قالت الصخرة عن أصحاب هذا المقام: (فارقوني بالليل).

❖ - وقولها(انبسط عليّ البحر الأخضر فغمرني بمادة القمر) إشارة إلى استمداد الجسم العرشي من اللوح المحفوظ بالمادة القمرية أي بظهور آثار الطبيعة فيه. فظهرت البروج الاثنا عشر لكل برج طبعه الخاص وأثره الخاص في العالم. وقد بين الشيخ في (عقلة المستوفز) وفي الفتوحات أن لكل برج ملكا يستمد مباشرة من اللوح المحفوظ. وأملاك المنازل الفلكية القمرية وغيرها من الكواكب والسبعة السيارة تستمد من أولئك الاثني عشر، ومنها الكوكب القطبي أي الشمس التي خصّها بالذكر في قوله: (فلما أبصر الشمس انحصر عني فانكشفت الشمس) وقد خصص أبوابا من كتابه (التنزلات الموصلية) في بيان كيفية استمداد السفليات من العلويات وتطابق ذلك مع الحركات الفلكية الظاهرة.

❖ - لماذا انكدرت النجوم عند محادثة البحر الأخضر للقمر؟

(1) روى البخاري في صحيحه، باب نفخ الصور من كتاب الرقاق، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أصعق فأفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور».

للنجوم فلك المنازل، وهو ظاهر الكرسي في الدنيا، وهو الأعراف في الآخرة، وهو سقف جهنم، وهو سطح الجنة، وهو بداية العالم الطبيعي العنصري، وما فوقه للعالم الطبيعي فوق العنصري. فأصحاب مقام الكرسي لا علم لهم بعلوم مقام العرش وكيفية استمداده من اللوح بفعل الطبيعة، أو بعبارة أخرى: نجوم معارف أصحاب الكرسي تنكدر في مقام أصحاب العرش واللوح، فالفرق بينهما كالفرق بين الأبرار والمقربين. من ناحية أخرى: عالم الطبيعة العنصرية هو عالم العبودية وما فوقه عالم العبودة والحرية وهو ما أشار إليه ابن سودكين بقوله عن انكدار النجوم: (لما طلعت العبودية ذهب التخلق بالأسماء الربانية فعلوم الاهتداء للسالكين وعلوم الأسماء للمتخلقين فإذا صحّ الوصول ذهبت هذه الأعلام فانكدرت نجومها). فكأنه يقول إن مرتبة الأفعال تنكدر نجومها عند ظهور بحر الأسماء بأنواره في قمر قلب السالك. ومرتبة الأسماء تنكدر نجومها عند ظهور محيط الذات بشموسه في مقام: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ ﴾ سورة القيامة الآية 9.

❖ - ما معنى سقوط القمر في قبة أرين بعد طلوعه من المغرب وتحذيره من غيبته في المشرق؟

المغرب القمري عبارة عن ميل الطبع إلى عالم الروح وعلوم الحقيقة والباطن، ومشرقه عبارة عن ميله إلى دواعي الشهوات الحسية بفعل الهوى وانغماسه في المادة ووقوفه مع الظواهر، ولهذا حذّره من الغيبة في الشرق بالطرد لأن من اتبع هواه وأخلد إلى أرض الشهوات طرد من حضرات القرب والصفاء. وأمره بالثبات في قبة أرين أي في مقام الاعتدال الطبيعي بين دواعي الروح والباطن واللطافة ودواعي الجسم والظاهر والكثافة، فيكون جامعا للأطراف كامل الأوصاف محمّدي المشرب كالزيتونة المباركة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار.

❖ ما معنى قوله: (أيها القمر شرف الشرق بطلوعك ولو مرة واحدة في السنة)؟

يقول ابن سودكين ما خلاصته: الشرق هو مطلع الشمس، ونور الشمس ذاتي لها. ونور القمر من الشمس. كأنه يقول لقمر قلب السالك: اطلع يوما بنورك الذاتي لا بالنور العرضي. والنور الذاتي للسالك هو شهوده الدائم لعبودته. فالشمس

ترى نفسها في مرآة القمر، كذلك مرتبة الألوهية في مرآة الكون، بخلاف الذت العلية الغنية عن العالمين.

❖ ما معنى قوله: (أيها القمر حرمت عليك الطلوع.. ولا تخرج منه أبدا)؟

يقول ابن سودكين: [أي يا من لا يتقيد حرمت عليك أن تظهر بحقيقتك ما دام الجسم باقيا مدبرا لك]. انتهى.

وبعبارة أخرى: أيها السالك ليكن طبعك وهمّتك مستغرقان في التوجه نحو المزيد من الترقي في العلم بالله تعالى وإياك والميل نحو الظهور والطلوع فتتوقف عن الزيادة وتظهر الأسرار في غير محلها. فمحلها فوق المشارق والمغارب أي فوق عالم الطبيعة العنصرية وفوق الدنيا. وإن ظهرت فلا تظهر إلا لحيتان البحر الأخضر أي لإخوانك في مقامك المشاهدين لأسرار اللوح المحفوظ والمستغرقين في بحر العلم اللدني الأخضر، أي لمن بينك وبينه اشتراك في التحقق بالحياة الحقيقية.

❖ - ما معنى قوله: (يا أيها القمر قل للبحر الأخضر يضم عليك أكنافه... نكايته). كما نهاه في الفقرة السابقة عن ميل الطبع للحسّ والأرض، نهى البحر الأخضر هنا، أي سلطان حكم الروح والانجذاب الكلي للغيب، نهاه عن أن يتغلب كلية على الحس والجسم والظاهر لأن في ذلك خروج عن الاعتدال الجامع للطرفين. فتموج البحر ودويّه عبارة عن الشطحات الصادرة من بعض الناقصين من أهل السلوك.

❖ وقوله: (حجبتك عن حيتانه) عبارة عن حرمان الحكمة أهلها.

❖ وقوله: (أظهر نفسه)عبارة عن الدعاوي والظهور بلا أمر رباني.

وقوله: (لا يتموج ولا يتراكم) عبارة عن ستر الحكمة والسرّ على غير أهلهما.

وقوله: (أسلط عليه دابة من دوابي تشربه...) عبارة عن قول الشاعر:

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم ... وكذا دماء العاشقين تباح

وقوله: (وألقيك في البحر الأبيض) عبارة عن الجوع والمجاهدات البدنية بعد أن كان غارقا في بحار المعارف والعوارف الغيبية، أي الذي يظهر بالشطحات والدعاوي يوشك أن يسلب من الفتح ويرجع إلى الحجاب وحال العوام وأن يرميه علماء الظاهر بسهام الإنكار بل الإعدام. والدابة الجساسة عندما تخرج في آخر

الزمان تنفخ في وجوه الناس فيتميز الكافر من المؤمن. وكذلك أهل الظاهر يرمون الذي يشطح بالكفر ويميزونه عن بقية المسلمين.

- وقوله مخاطبا طبع السالك: (انغمس في كل عين غمستين.... وثلثك في ثالث غمسة) أي للظاهر غمسة وللباطن غمسة وللثلث الثالث وهو البرزخ الغمسة الثالثة أي أن السالك الكامل المعتدل يعطي لكل عالم من عوالمه حقه ومقامه فللجسم والظاهر دورته وحضرته الكاملة وكذلك للروح والباطن وكذلك للنفس والبرزخ...

- وقوله: (لا تنظر إلى الصخرة فتنسى...) أي لا تحتجب بالوقوف مع الجسم وشهواته فتنسى حقيقتك الروحية وتنسى نفسك كما قال تعالى: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾الحشر الآية 19.

- قوله: (لا تسقط في قبة أرين فتكون قمرا) أي لا يمكن أن تثبت في مقام الاعتدال الكمالي الجامع للأضداد حتى يكون طبعك معتدلا قمريا لا هلالا تغلب ظلمة حسه وجسمه على نور روحه وسرّه، ولا بدرا يغلب شعاع سرّه وباطنه على ظلمة ظاهره. فالعارف- كما قيل - لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وقيل: من تصوف ولم يتفقه تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف تفسّق، ومن جمع بينهما تحقق. والله الموفق.

المشهد التاسع/ مشهد نور الأنهار بطلوع نجم الرتب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا المشهد التاسع مناسب لسورة النمل المفتتحة بالحرف الذي عدده 9 أي (الطاء) من: (طس).

أشهدني الحق الأنهار وقال لي: تأمل وقوعها. فرأيتها تقع في أربعة أبحر: النهر الواحد يرمي في بحر الأرواح، والنهر الثاني يرمي في بحر الخطاب، والنهر الثالث يرمي في بحر المزمار والسكر، والنهر الرابع يرمي في بحر الحبّ.

يقول ابن سودكين:

يريد بالأربعة أنهار ما ورث من علم محمد صلى الله عليه وسلم وموسى وعيسى وداود صلوات الله عليهم أجمعين، وهو علم ما ظهر منهم، والأبحر هي علمهم الذي هم عليه، والبحر المحيط علم الله. فبحر الأرواح لعيسى عليه السلام. والبحر الثاني الخطابي لموسى عليه السلام. وبحر المزمار والسكر لداود عليه السلام. ونهر الحب لمحمد صلى الله عليه وسلم.

هذا الشرح لابن سودكين موافق لما ذكره الشيخ في الباب (167) من الفتوحات عند وصفه لسدرة المنتهى فوق السماء السابعة حيث يقول: [وعاين هنالك أربعة أنهار منها نهر كبير عظيم وجداول صغار تنبعث من ذلك النهر الكبير. وذلك النهر الكبير تنفجر منه الأنهار الكبار الثلاثة. فسأل التابع عن تلك الأنهار

والجداول، فقيل له هذا مثل مضروب أقيم لك: هذا النهر الأعظم هو القرآن وهذه الأنهار الثلاثة الكتب الثلاثة التوراة والزبور والإنجيل. وهذه الجداول الصحف المنزلة على الأنبياء فمن شرب من أي نهر كان أو أي جدول فهو لمن شرب منه وارث، وكل حق، فإنه كلام الله، والعلماء ورثة الأنبياء بما شربوا من هذه الأنهار والجداول. فاشرع في نهر القرآن تفز بكل سبيل للسعادة فإنه نهر محمد صلى الله عليه وسلم الذي صحت له النبوة وآدم بين الماء والطين، وأوتي جوامع الكلم، وبعث عامة، ونسخت به فروع الأحكام ولم ينسخ له حكم بغيره.]انتهى.

كذلك في الباب (367) من الفتوحات المخصوص بسورة الإسراء، يصف معراجه عند وصوله للسدرة يقول: [وأما الأنهار الأربعة فعلوم الوهب الإلهي الأربعة التي ذكرناها في جزء لنا سميناه مراتب علوم الوهب.] ويتكلم الشيخ في الفصل (20) من الباب (198) على مظاهر هذه الأنهار في الآخرة فيقول: [.. وقسّم الجنات على ثلاثة أقسام للثلاثة الوجوه التي لكل برج: جنات الاختصاص وهي الأولى، وجنات الميراث وهي الثانية، وجنات الأعمال وهي الثالثة. ثم جعل في كل قسم أربعة أنهار مضروبة في ثلاثة فيكون منها اثنا عشر نهرا، ومنها ظهر في حَجَر موسى اثنتا عشرة عينا لاثنتي عشرة سبطا قد علم كل أناس مشربهم. النهر الواحد نهر الماء الذي هو غير آسن يقول غير متغير وهو علم الحياة، ونهر الخمر وهو علم الأحوال، ونهر العسل وهو علم الوحي على ضروبه ولهذا تصعق الملائكة عند ما تسمع الوحي كما يسكر شارب الخمر. ونهر اللبن وهو علم الأسرار واللب الذي تنتجه الرياضات والتقوى، فهذه أربعة علوم. والإنسان مثلث النشأة: نشأة باطنية معنوية روحانية، ونشأة ظاهرة حسيّة طبيعية، ونشأة متوسطة جسدية برزخية مثالية، لكل نشأة من هذه الأنهار نصيب، كل نصيب له نهر مستقل يختلف مطعمه باختلاف النشأة فيدرك منه بالحس ما لا يدركه بالخيال ويدرك منه بالخيال ما لا يدركه بالمعنى، وهكذا كل نشأة. فللإنسان اثنا عشر نهرا: في جنة الاختصاص أربعة، وفي جنّة الميراث مثلها، وفي جنات الأعمال مثلها..] انتهى.

وقد تكلم الشيخ على النشآت الإنسانية الثلاثة وجناتها وعلاقتها بالأخلاق الإلهية في جوابه عن السؤال (48) من أسئلة الترمذي الذي هو: (إن لله مائة وسبعة عشر خلقا. ما تلك الأخلاق؟) فيبدو من إشارات الشيخ في جوابه أنّ هذه الأخلاق

هي عين تلك الأنهار الأربعة فمنها (114) للقرآن، أي على عدد سوره، وواحد للتوراة، وواحد للزبور، والأخير للإنجيل.

ومن الملة الابراهيمية الحنيفية تفجرت هذه الأنهار الأربعة. يقول الحق تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ۝١٧ ﴾ - الرعد: 17 -.

وفي ما يلي نذكر شروح ابن سودكين على كلام الشيخ في هذا المشهد مع تعقيبات حولها.

ويتفرّع من هذه الأنهار جداول تسقي زراعات الزارعين.

يريد ما يخرج على ألسنة العلماء إلى السالكين.

ثم رمـيت ببصري في الأبحر، فرأيتها تنتهي إلى بحر واحد يحيط بجميعها ترمي فيه هذه الأبحر. ورأيت الأنهار الأربعة تتفجر من ذلك البحر المحيط ثم ترجع إليه بعد الامتزاج بهذه الأربعة الأبحر.

يريد بالبحر المحيط علم الله تعالى، وسبب رجوعها إليه أنه ليس للنبي فيه مدخل، كما كان عيسى ينفخ في الطائر ثم يكون طيرا بإذن الله تعالى لا به. ورؤية رجوعها إلى البحر وخروجها منه هو ما يقتضيه حكم الوجه الخاص الذي لكل موجود من الحق سبحانه عز وجل. وقوله: (بعد الامتزاج بهذه الأربعة الأبحر) أي كونها نبوية، بحيث لا يكون بنظر من الفكر بل من الميراث النبوي لأنها علوم نبوة، وهذا تحرز من علوم الفلاسفة.

فقـال لي: هذا البحر المحيط بحري وأولئك أبحري لكن ادّعت السواحل أنها لها.

يريد بالادعاء التخصيص الذي ارتبطت به الشريعة وربطت به المتشرع، ألا ترى النبي- صلى الله عليه وسلم - لما دخل على عمر - رضي الله تعالى عنه -

ورأى في يده ورقة فيها دعاء من التوراة غضب وقال صلى الله عليه وسلم: «في القرآن غنية. لو كان موسى حيّا ما وسعه إلا أن يتبعني[1]» فأضاف الاتباع إلى نفسه لا إلى الله سبحانه وتعالى. فالإشارة إلى هذا وأمثاله.

فمن رأى البحر المحيط قبل الأبحر والأنهار فذلك صدّيق.

أي قول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -: «ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله».

ومن شاهدها دفعة واحدة فذلك شهيد.

أي هو مقام عمر - رضي الله عنه - القائل: «ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه». وكل هذه أصول لنا، ولهذا سمينا المقامات باسمهم، ولما جئنا بعدهم كنا بحكم التبع في الترتيب الزماني فاعلم ذلك.

ومن شاهد الأنهار ثم البحر ثم الأبحر فذلك صاحب دليل.

أي أن النظر في الحوادث الكونية يفضي إلى معرفة الحق المعبر عنه بالبحر المحيط، ومن معرفة الحق تعرف منزلة الرسل وهي الأبحر.

ومن شاهد الأبحر ثم الأنهار ثم البحر فذلك صاحب آفات لكنّه ناج.

أي آمن بالرسل الذين هم الأبحر، ثم الورثة الذين هم الأنهار، ثم أخذ منهم معرفة الحق تقليدا، وهو صاحب آفات أي قد تطرأ عليه شبهة تزلزله لكونه أخذها من طريق الإيمان لا من طريق العلم لكنه ناج بالاتباع.

ثم قال لي: من كان من أهل عنايتي أنشأت له مركبا يجرى به في الأنهار حتى يقطعها.

أي مركب الاعتبار.

فإذا رميت به في الأبحر جرى فيها حتى ينتهي إلى البحر المحيط، فإذا انتهى إليه علمَ الحقائق وكاشف الأسرار، وإلى هذا البحر ينتهي المقربون. وأما من فوقهم.

يشير إلى طائفة هي أعلى من المقربين. وهم خلاصة خاصة الكمل من أهل

(1) الحديث أورده السيوطي في الخصائص الكبرى وقال إن أبو نعيم أخرجه.

الذات العلية.

فإنهم يجرون فيه ألف سنة.

الألف هو انتهاء العقد والدور في وجود الأعداد. أي أنهم يستولون على كل مظاهر الكثرة لتحققهم بالوحدانية.

حتى ينزلوا بساحله فيخرجون في صحراء قفراء لا تدرك لها نهاية ولا غاية

الصحراء تشير للحيرة. وهي الحيرة العرفانية في النقطة الأزلية الجامعة للأضداد من محيط إطلاق العظمة الذاتية.

فيتيهون فيه ما بقيت الديمومة فإذا فنيت فنوا.

قد خصص الشيخ لمقام القربة ورجاله رسالة عنوانها: (كتاب القربة) مطبوعة ضمن رسائله، وعدة أبواب من الفتوحات منها: (30/31/32/161/309/461...)

وقوله: (وأما من فوقهم) فيعني أكابر الأفراد وكمل الورثة والرسل، لأنّ بعض المقربين لما يتحققون بالقربة ويصلون إلى البحر المحيط يبقون هناك مستهلكين كالملائكة المهيمين، وهم الذين وصفهم الشيخ في تجلي الفردانية من كتاب "التجليات "بقوله: [لله ملائكة مهيمون في نور جلاله وجماله، في لذة دائمة ومشاهدة لازمة، لا يعرفون أن الله خلق غيرهم، ما التفتوا قط إلى ذواتهم فأحرى. ولله قوم من بني آدم هم الأفراد الخارجون عن حكم القطب لا يَعرفون ولا يُعرفون، قد طمس الله عيونهم فهم لا يبصرون، حجبهم عن غيب الأكوان حتى لا يعرف الواحد منهم ما ألقي في جيبه أحرى أن يعرف ما في جيب غيره أحرى أن يتكلم على ضميره، يكاد لا يفرق بين المحسوسات وهي بين يديه جهلا بها لا غفلة عنها ولا نسيانا، وذلك لما حققهم به سبحانه من حقائق الوصال، واصطنعهم لنفسه فمالهم معرفة لغيره، فعلمهم به ووجدهم فيه وحركتهم منه وشوقهم إليه ونزولهم عليه وجلوسهم بين يديه لا يعرفون غيره، قال سيّد هذا المقام عليه السلام: «أنتم أعرف بمصالح دنياكم»].

وأما أكابر هذه الطبقة كالرسل عليهم السلام وكمّل الورثة فمع تحققهم بالقربة يرجعون رجوعا اعتباريا إلى الخلق للخلافة والدعوة إلى الله تعالى والتربية وإقامة الشريعة في عالم الحكمة التي هي من مظاهر الحقيقة والقدرة.

فقوله: (إنهم يجرون ألف سنة في البحر المحيط حتى ينزلوا بساحله) يمكن فهمه من وجهين: الأول هو أن كلمة (ألف سنة) تشير إلى نهاية الأعداد والحروف أي فناء الأكوان في شهود العظمة الأزلية، فنهاية محيط العظمة في مشهد القربة يفضي إلى ساحل صحراء الحيرة التي لا نهاية لها. وقد عبر الشيخ عن هذا المقام في تجلي الحيرة من كتاب " التجليات" فقال: [جل جناب الحق العزيز الأحمى عن أن تدركه الأبصار فكيف البصائر. فأقامهم في الحيرة فقالوا زدنا فيك تحيرا إذ لا يحيرهم إلا بما يتجلى لهم، فيطمعون في ضبط ما لا ينضبط فيحارون، فسؤالهم في زيادة التحير سؤالهم في إدامة التجلي] .

الوجه الثاني: هو أن كلمة (ألف سنة) تعني يوما من أيام الاسم (الرب) أي أن كمل الورثة والرسل يتحققون ويتخلقون بأخلاق (الرّب) حتى يكونوا مربين ومصلحين لأممهم ومريديهم. فعند كمال تخلقهم بكمالات التربية ينزلون إلى ساحل برّ الشريعة وأحكام الظاهر ويبقون فيها ما بقيت الديمومة أي ما دامت دولة الشريعة قائمة بأصولها في الدنيا وبفروعها سعادة وشقاء في الآخرة، فإذا فنيت الدنيا ارتفع حكم الشريعة والرسالة وتفنى صفة الرسالة والوراثة.

ثم قال لي: انظر فرأيت ثلاث منازل.

أي الأفعال والصفات والذات. والذات ها هنا عبارة عن صفة السلب كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ - الشورى 11-. وهذه المنازل الثلاثة مناسبة لحروف الرقمية الثلاثة الفاتحة لسورة هذا المشهد: (طاسين. فحرف (طا) العمودي على السطر المتصل بألف القيومية مناسب لمنزل الذات. وحرف (سي)الأفقي الموازي للسطر المتصل بياء الكسر مناسب لمنزل الصفات. وحرف (ن) المستدير تحت السطر الساكن مناسب لمنزل الأفعال.

ففـــتح لي المـــنزل الأول فـــرأيت فيه خزائن مفتحة، ورأيت السهام قد تعاورتها، ورأيت الرعاع يطوفون بأرجائها يريدون كسرها.

أي يضيفون الأفعال إليهم مع أنّ خالقها هو الله وحده، فتقع المشاركة من غير بابها ولا سبيل إلى تحقيق **مشهد** الفعل عند الأكابر إلا في الموافقة الشرعية من طريق الشهود، ويشهدون فيه الأمرين معا فيعطيهم الحيرة النفي والإثبات. والثاني

منزل الصفات والثالث منزل الذات من جهة الأوصاف السلبية، أي نعوت التنزيه.

فخرجت من ذلك المنزل، وأدخلني المنزل الثاني فرأيت خزائن مقفلة ومفاتيحها معلقة على أقفالها فقال لي: خذ المفتاح وافتح وتنزّه واعتبر. ففتحت الأقفال فرأيتها مملوءة دررا وجواهر وحللا ما لو اطلع عليها أهل الدنيا لاقتتلوا عليه. ثم قال لي: خذ منها حاجتك وردها كما وجدتها. فقلت: لا حاجة لي بها. فأغلقتها. فقال ارفع رأسك. فرأيت على أبوابها طاقات.

الطاقات عبارة عن الصفات الخلقية التي تشترك في الاسم مع الصفات الحقية مثل: السميع البصير الرؤوف الرحيم. ولهذا فسرها ابن سودكين بقوله: أي من صفاتك تعرف صفاته

وخوخات لا يشرف عليها إلاّ الطوال من الناس من كان طوله مائة ذراع فصاعدا:

يريد بالمائة ذراع المائة اسم إلهي والتحلي بها، والزائد للصاعد هو قوله عليه الصلاة والسلام عن الأسماء الحسنى في مناجاته لله تعالى: «أو استأثرت به في علم الغيب عندك[1]». فهذا الغيب الباطن يفتح منه للأكابر على قدر استعدادهم.

ورأيت من دون الطوال المتعلقون بحلق تلك الأبواب ويقرعون بها، فإذا استدام القرع وكثر الصياح ينبعث لهم من تلك الطاقات معصم يمسك سراجا يستضيئون به ويرى بعضهم بعضا ويتآنسوا

كلمة (معصم) تشير إلى الاعتصام بالمعصوم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن معصمه هو الحامل لسراج نور الهداية الشرعية التي من اعتصم بها سلك ونجى وسعد، ولهذا قال ابن سودكين: [يريد بالمعصم قدرة أزلية عن عناية تلك الطائفة ويريد بالسراج علما خاصا يهتدى به].

وتنفر سباع كانت تؤذيهم ودخلت الأفاعي جحرها

أي الشبه والخيالات الفاسدة.

---

(1) هذا الدعاء جزء من الدعاء النبوي: (أسئلك بكل اسم هو لك، أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

وحصل لهم الأمن من كل ضرر كانوا يحذرونه في الظلمة:

أي الفكر الفاسد.

ورأيت في جوانب تلك الخزائن سهاما قد تعاورتها دون الأولى.

يريد بالسهام ها هنا ما ترمي به البدع والأهواء للجناب العزيز، أي العقائد الباطلة.

ثم أخـــرجني إلى المنزل الثالث فأدخلني فيه، فرأيت خزائن مقفلة ليس لها مفاتيح

هذه الخزائن هي عبارة عن حضرات أسماء التنزيه وأسماء الذات الغنية عن العالمين، أي الأسماء الدالة على نعوت لا يمكن للعبد التخلق بها.

فقلت له: أين مفاتيح هذه الخزائن؟ قال: رميت بها في البحر المحيط. فأنشأ لي مركبا

أي مركب الذكر والخلوة ليرى صفة التنزيه ما متعلقها وهي نفي محض، ولذلك خرج منها نار أحرقت المفاتيح التي هي الذكر والخلوة وغيرهما، فلا يصح أن يعلم صفة التنزيه إلا التنزيه لا الواصف بها.

وجريت في البحر ستّة آلاف سنة.

البحر هنا هو العلم الكلي، والآلاف الستة تشير إلى الأسماء الأمهات الستة وهي: الحي، المريد، القدير، القائل، السميع، البصير. فبقية الأسماء الحسنى مرجعها إلى هذه الستة مع الاسم: العليم.

فلما كان في الألف السابع قال لي: تجرد عن ثيابك.

أي اخرج عن نسبة الفعل والصفة إليك.

فإنك في وسطه، واغطس على تلك المفاتيح فهنا ﴿ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ هـــود/6. فتجردت عن ثيابي فأردت إزالة مئزري، فقال لي: لولا المئزر ما قدرت أن تنغمس، فشددت مئزري

المئزر من حيث ستره للعورة يشير لوجوب ستر الولي لحاله وكراماته التي من أجلّها التصريف والتكوين بإذن الله تعالى، وإلى هذا المعنى أشار ابن سودكين بقوله: أراد بالمئزر ستر العورة، وهو ستر ما يكون به التكوين، فأمر بستره بعد

معرفته وشهوده، فأمر أن لا يبديه، وها هنا تظهر الأمانات عند الناس.

ورميت بنفسي من المركب حتى وصلت قعر البحر:

أي موضع استقرار تلك المفاتيح. وقعر البحر الإلهي يختلف من شخص إلى آخر حسب استعداده وهمّته.

فأخرجت المفاتيح

أي علمت صفات التنزيه.

فلما حصلت على ظهر البحر خرجت نار من المفاتيح فأحرقت المركب

أي فأعطت تلك الصفة أمرا ففني به الجميع، وذلك من حيث قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾- القصص 88-.

فصعدت حتى وصلت الخزائن فطارت المفاتيح من يدي

طيران مفاتيح الخزائن عبارة عن استحالة جولان الفكر في ذات الحق تعالى، من حيث قوله تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ - آل عمران 28 -.

وبادرت إلى فتح الأقفال

المبادرة إلى فتح الأقفال الذاتية لا تكون إلا بالله في الله تعالى، من حيث قوله تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ - الانسان6- قال ابن سودكين في شرحه لهذه الجملة: [يريد تعلق الصفة بالموصوف فإن تعلقها به لنفسها، ما هو متعلقها بالمكان الذي تعلقها به، فإنها ما تحتاج إلى معلق] .

ففتحت الأبواب ودخلت الخزائن فرأيت بداية من غير نهاية

أي عرفت بالجملة أن ثم ذاتا. فبذاتها حصول أن ثم موجود ليس كمثله شيء. وعدم النهاية فيها أن صفات التنزيه لا نهاية لها. وكذلك الحوادث لا تتناهى فتعلق الصفات بها لا يتناهى.

ونظرت أن أرى فيها شيئا فما رأيت فيها شيئا إلاّ فارغة.

أي صفة سلب: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ - الشورى 11-.

فقال لي: ما رأيت؟ قلت له: ما رأيت شيئا. قال لي: الآن رأيت؛ من هنا تكلم كل ذي سرّ وهذا عشّه. اخرج. فخرجت فرأيت كل شيء مكتوبا على

ظاهر الأبواب.

يقول ابن سودكين: [أراد بكل شيء: الباء. والأبواب هي كل صفة يوصف بها الحق سبحانه، وعليها مكتوب: أنا والباء].

كأن الشيخ يشير في هذه الفقرة إلى أنّ العارف إذا تحقق بالمعرفة الجامعة للتنزيه والتشبيه وخرج لحضرة الخلق لا يشهد للخلق وجودا إلا بالقيومية الإلهية التي عبر عنها ابن سودكين بالباء. وهي باء البسملة الفاتحة لكل باب من أبواب سور القرآن الممدّة لجميع الحضرات الخلقية.

وقوله السابق: (ما رأيت شيئا) يشير إلى مقولة: (العجز عن الإدراك إدراك والتفكر في ذات الله إشراك).

وقدعبر عن هذا المعنى في تجلي العلامة من كتاب" التجليات " فقال: [علامة من عرف الله حقيقة المعرفة أن يطلع على سره فلا يجد فيه علما به فذلك الكامل الذي لا معرفة وراءها وفضل رجال الله بعضهم بعضا باستصحاب هذا الأمرعلى السّر وفى هذا التجلي رأيت أبا بكر بن جحدر، يعني الشبلي] انتهى.

والشبلي هو الذي قال عن تلك الباء: (أنا نقطة باء البسملة) كما قال الآخر: (ما رأيت شيئا إلا رأيت عليه الباء مكتوبة) وللشيخ رسالة خاصة عنوانها: (الباء). وقوله: (فطارت المفاتيح من يدى وبادرت المفاتيح إلى فتح الأقفال) إشارة إلى أنّ صاحب المقام الذاتى قائم بحق الله لا بأمره والتصاريف تظهر فيه ذاتيا لابتصرف همة أو توجه فكرة وهذا هو مقام سليمان. فقد ذكر الشيخ في الفص السليماني من كتابه (فصوص الحكم) أن الريح كانت تمتثل بمجرد أمره لها وبدون همّة من طرفه. وقد عبّر عن هذا المقام فى تجلى الحق والأمر من كتاب "التجليات" فقال: [لله رجال كشف لهم عن قلوبهم فلاحظوا جلاله المطلق، فأعطاهم بذاته ما تستحقه من الآداب والإجلال، فهم القائمون بحق الله لا بأمره، وهو مقام جليل لا يناله إلا الأفراد من الرجال، وهو مقام أرواح الجمادات، ومن هذا المقام تدكدك الجبل فصعق موسى عليه السلام ولم يفتقر في ذلك الى الأمر بالتدكدك والصعق، فهؤلاء خصائص الله قاموا بعبادة الله على حق الله، وهم الخارجون عن الأمر. ولله عبيد قائمون بأمر الله، كالملائكة المسخرة الذين يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون، وكالمؤمنين الذين ما حصل لهم هذا المقام فهم القائمون بأمر الله وهم

القائمون بحقوق العبودية. وهؤلاء قائمون بحقوق الربوبية. فهؤلاء محتاجون إلى أمر يصرفهم وهؤلاء يتصرفون بالذات بصرف الخاصية] .

ثم نظرت في جوانب الخزائن فلم أر فيها من السهام إلاّ قليلا.

يشير إلى سهام أقوال قوم تكلموا في الذات. والسهام المرئية فيها هي السهام التي علقت بخزائن خيالهم، وهي منزهة عن سهام غيره.

ثم قال لي: كل ما رأيت فهو كون ناقص، ارق حتى لا ترى كونا فرقيت، فرمى بي في بحر الحيرة وتركني أسبح فيه.

أمره بالرقيّ إلى التحقق بمقام: ﴿ رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ طه الآية 114. وفي هذا إشارة إلى المشهد العاشر التالي المناسب لسورة طه التي منها هذه الآية.

المشهد العاشر/

مشهد نور الحيرة بطلوع نجم العدم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المشهد مناسب لسورة (طه). وهو من أوّله إلى آخره جامع للأضداد لأن (طه) هي أقرب الفواتح لتقليب قلب (يس). فـ:(طه) و(يس) من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم. وفي كليهما حرفان[1].

وقد أشار الشيخ إلى علاقة (طه) بهذا المشهد عندما ختمه بآيتها (14): ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾. ففي هذه الكلمة ظهرت نون الإنية الإلهية ثلاث مرات. ولهذا كان مدار هذا المشهد حول إنية الحق الذاتية المطلقة وإنية العبد المخلوق المقيدة. وأعظم حيرة في المعرفة هي العلاقة بين الإنيتين. ولهذا كان مدار هذا المشهد حول الحيرة أيضا، وعنوانه: مشهد نور الحيرة بطلوع نجم العدم. فنجم العدم هو إنية المخلوق الوهمية إذا توهمت استقلالها عن الإنية الإلهية الذاتية.

والحق تعالى إذا تكلم في القرآن عن حضرته المقدسة يأتي بضمير (نحن) أو (إني) أو (أنا). فـ:(نحن) لحضرة الأسماء لأنها كثيرة. و(إني) و(أنا) لحضرة الذات لأن لها الأحدية. وفي آية (طه): ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ تجل للذات

---

(1) وعدد (طه = 8+5 =14) ضعف عدد (يس = 1+ 6 = 7)أي على عدد المشاهد الأربعة عشر التي قلبها يس أي أن (يس) قلب (طه). وعدد تفصيل (ياسين = 14) هو عدد (طه).

حيث لا ظهور للأسماء فلا رجوع ولا إقبال ولا حركة ولا سكون ولا نعت ولا وصف وهو ما عبر عنه الشيخ بقوله: (فقال لي: أقبل فلم أجد أين. وقال لي: ارجع فلم أجد أين) وهذا هو طلوع الوقفة من الآية (67) من (يس): ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ ومن الآية (9): ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ وعدم الإبصار هو الحيرة أي حيرة العقل في حضرة الذات وهو قول الشيخ (فحيرني) لأن العقل يريد كيفية للحقائق أي عقلها وتقييدها ولا يدرك جمع الأضداد في نفس العين...

وكثيرا ما تكلم الشيخ عن الحيرة العرفانية وأنها نهاية العلماء والعارفين وعليها فُطر الحيوان، كما فطر الجماد على العبودية المحضة. وهي نهاية فاتحة الكتاب إذ أن آخر كلمة منها (الضالين) والمعنى العلوي للضلالة هو الحيرة العرفانية. وهو ما عبر عنه الشيخ في جوابه عن السؤال (154) من أسئلة الترمذي: ما تأويل أم الكتاب حيث يقول:

[... فمن جمعية هذه الأمة أن جعل الله لأوليائها حظا في نعوت أهل البعد عن الله بطريق القربة فيقع الاشتراك في اللفظ والمعنى ويتغير المصرف... منهم الضالون وهم التائهون الحائرون في جلال الله وعظمته كلما أرادوا أن يسكنوا فتح الله لهم من العلم ما حيرهم وأقلقهم فلا يزالون حيارى لا ينضبط لهم منه ما يسكنون عنده بل عقولهم حائرة فهؤلاء هم الضالون الذين حيرهم التجلي في الصور المختلفة]. انتهى.

وهذه الزيادة في العلم بالله تعالى هي الواردة في الآية (114) من (طه): ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ ، وفي الآية 110: [يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما]، وفي الآية 52: [قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى]. وإلى هذا العلم اللامتناهي يشير الشيخ بقوله في الباب (364) من الفتوحات المخصوص بسورة (طه): [ما رأيت ثبوت العلم على صورته لا يتغير إلا في هذا المنزل فأورثني الطمأنينة فيما علمت أنه لا يزول وأن الشبه لا تزلزله...] وهذه الطمأنينة مناسبة للراحة التي ذكرها الشيخ لابن سودكين في قوله: [لما عجز

الصديق رضي الله تعالى عنه استراح]. يشير إلى قول أبي بكر: (العجز عن الإدراك إدراك). ولهذا جعل الشيخ عنوان الباب (364) المخصوص بـ(طه): [منزل سرّين من عرفهما نال الراحة في الدنيا والآخرة والغيرة الإلهية]، كما جعل عنوان فقرة هذا الباب في الباب (559 / **IV** ص 402): [ما يعطي خطاب الجود والسماحة من الراحة]. فالسران هما سر الطاء وسرّ الهاء. والغيرة الإلهية أشار إليها داخل هذا المشهد في قوله: (ليس الحيرة حيرة وإنما هي غيرة مني عليك..).

فمن هذه الغيرة إحراق ثوب دعوى الظهور بالإنية الإلهية كما ظهر بها فرعون في قوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾- النازعات 24- وإليه أشار ابن سودكين في قوله: [... حيث كان لبسه بغير حق وهو قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ سورة غافر الآية 35 - أي مثل فرعون في دعواه الألوهية]. ومن تلك الغيرة إحراق العجل الذي اتخذه السامري إلها لبني إسرائيل فقال تعالى عن عَبَدَة فرعون في الآية (78 - 79) من (طه): ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩ ﴾ أي أغرقهم في الحيرة بإظهار الإنية الإلهية في نفسه بغير حق. وقال عن عبدة العجل والسامري: ﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨ ﴾ - الآية (88) من (طه) - إلى الآية (97): ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴾، كما غرق فرعون وجنوده في اليمّ. فاليمّ لتطهير الصفات، والنار لإحراق الدعوى وإزالة الوهم وتطهير الذات.. وإلى هذا التطهير أشار ابن سودكين في قوله: (يحترق وسخه لا هو). وذلك لأن ثمة علاقة أصيلة بين الطهارة و(طه) فالشيخ عبد العزيز الدباغ يقول في كتاب (الإبريز) أن حرف (طَ) في السريانية يشير إلى كمال طهارة جنس الشيء وذاته وأن حرف (هـَ) يشير إلى الرحمة الطاهرة التي لا نهاية لها. والطهر والرحمة هما من صفات (طه) رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولهذا قال القشيري في تفسيره (لطائف الإشارات):

[(«الطاء») إشارة إلى خلو قلبه - عليه السلام - من غير الله. و" الهاء" إشارة إلى اهتداء قلبه إلى الله. وقيل: طَأْ بسرّك بساط القربة فأنت لا تهتدي إلى غيرنا...].

ويقول القاشاني في تفسيره: [الطاء إشارة إلى الطاهر، والهاء إلى الهادي].

ثم نعود فنقول إن السِرَّان المذكوران في عنوان منزل (طه) هما سرّ إنية الربوبية والألوهية وسرّ إنية العبودية. فسر إنية الربوبية ظهر من النار المحرقة للدعوى في الآيتين (13/11) من (طه): ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ وسرّ إنية الألوهية والعبودية في الآية (14): ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ . وبين الإنيتين تظهر الهوية كظهورها(4) مرات في الآيات (8/7/6) من (طه)" ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ فنسب الأسماء المتعددة للهوية ولهذا قال الشيخ: (الإنية متحدة والهوية متعددة) وفي الحقيقة الإنية هي عين الهوية لأن الظاهر عين الباطن [1]. وفي الصلاة تتقابل الإنيتان إنية العبد وإنية الرب وورد في الحديث عن الصلاة (هن خمس وهن خمسون) بفضل تدخل موسى خلال معراج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فمن خلال الحضرة الموسوية تنطوى الخمسون من نون الأسماء أو الإنية الصفاتية في خمسة الهاء أو إنية الذات التي لما تجلت للجبل (خر موسى صعقا) وإلى الانطواء تشير الآية (12): ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ وإلى تدكدك جبل الإنية الوهمية تشير الآيات (107/106/105...) ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ وحينئذ لا بقاء إلا للباقي أبدا أزلا: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ ... ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ - طه: 108.. 111 - ولهذا يرى البعض أن من إشارات (طه) الطي في الهوية. فابن مسرة مثلا يقول في (رسالة الحروف):

---

(1) ولهذا كان عدد الهاء أي الخمسة هو عين عدد نون الإنية الذاتية التي عددها بالجزم الصغير خمسة. أما عدد نون الصفات فله الجزم الكبير أي خمسون. وقد ذكرنا علاقة حرف (ن) بالعدد (14) في المشهد الأول.

[فأما (طه) فقيل إنها كناية عن الطور. وقيل عن طوى (طويا) وهو الذي ذكر الله في هذه السورة: ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾][1] وقد خصص الشيخ في فصل المنازلات من الفتوحات الباب (328) المناسب لسورة المائدة للكلام على هذا الموضوع فجعل عنوانه: (منازلة الاستفهام عن الإنيتين) - كما أن موقع المائدة في كتاب التراجم عنوانه: (ترجمة الاستفهام)، إشارة إلى الاستفهام الوارد في آيتها 116: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ...﴾.

ولسر الإنية وما يتفرع منها من أسرار مرموزة في (طه) اختصت هذه السورة بكمال الصورة فهي السورة التي يقرأها الحق تعالى على أهل الكثيب في مقام الرؤية في أعلى جنة عدن. وفي هذا يقول الشيخ في باب الاسم (المهيمن) من الباب (559) من الفتوحات:

[.. فإذا تلا على أهل السعادة من الخلق سورة طه تلاها عليهم كلاما وتجلى لهم فيها عند تلاوته صورة، فيشهدون ويسمعون. فكل شخص حفظها من الأمة يتجلى بها هنالك كما تحلى بها في الدنيا بالحاء المهملة، فإذا ظهروا بها في وقت تجلي الحق بها وتلاوته إياها تشابهت الصور فلم يعرف المتلو عليهم الحق من الخلق إلا بالتلاوة، فإنهم صامتون منصتون لتلاوته ولا يكون في الصف الأول بين يدي الحق في مجلس التلاوة إلا هؤلاء الذين أشبهوه في الصورة القرآنية الطاهية ولا يتميزون عنه إلا بالإنصات خاصة. فلا يمر على أهل النظر ساعة أعظم في اللذة منها. فمن استظهر القرآن هنا بجميع رواياته حفظا وعلما وعملا فقد فاز بما أنزل الله له القرآن وصحت له الإمامة وكان على الصورة الإلهية الجامعة. فمن استعمله القرآن هنا استعمل القرآن هناك ومن تركه هنا تركه هناك: ﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾- طه 126 -]. انتهى.

فقوله: (فلم يعرف المتلو عليهم الحق من الخلق إلا بالتلاوة) إشارة إلى تقابل الإنيتين إنية الحق وإنية الخلق في مرآة طه.

---

(1) وكذلك عدد (طا=9+1=10) هو ضعف خمسة النون أو الهاء ففي العشرة نونان أو هاء ونون ﴿تلك عشرة كاملة﴾ لجمعها بين الإنيتين.

أشهدني الحق بمشهد نورالحيرة وقال لي: ارجع فلم أجد أين فقال لي: قف فلم أجد أين. قال: ولا تخلو فحيرني

ثم قال لي: أنت أنت وأنا أنا:

أي العبد عبد والرب رب والحقائق لا تتبدل.

ثم قال لي: (أنت أنا):

أي لا وجود ولا قيام لإنيتك إلا بي أنا.

(وأنا أنت):

أي لا ظهور لي إلا بك فلا ظهور للحق إلا بالخلق.

ثم قال لي: (لا أنت أنا وأنا أنت):

أي لا ذوق للعبودية في الربوبية وللربوبية ذوق العبودية لأنه لا قيام للعبودية إلا بالله تعالى فله الإطلاق حقا وخلقا وأما العبودية فلها التقييد الذي هو من مظاهر الإطلاق.

ثم قال لي: (لا أنا أنت وأنت أنا):

أي أنا منزه عن قيود العبودية وأنت مقيد بها فلا أنا أنت. لكن عبوديتك لا وجود ولا قيام بها إلا بي فأنا الظاهر بها فأنت أنا.

ثم قال لي: (لا أنت أنت ولا أنت غيرك):

أي إنيتك لا قيام لها بنفسها بل بالإنية الإلهية فلا أنت. ولكن إنيتك مظهر مقيد للإنية المطلقة فلزم وجودها فلا أنت غيرك لأن للغير إنيته المقيدة بالغيرية. ولو كنت أنت غيرك لما تميزت الحقائق ولما ظهر الظاهر.

ثم قال: الإنية متحدة والهوية متعددة. ثم قال لي: (أنت في الهوية وأنا في الإنية):

أي العبد في التقييد والتعدد الذي هو من مقتضيات الهوية المشيرة لضمير الغائب أي للغيرية، وأما الحق تعالى فله الإنية المطلقة التي بها ظهرت الإنيات المقيدة.

ثم قال لي: شهود الحيرة حيرة. ثم قال لي: الحيرة مع الغيرة. ثم قال لي: (الحيرة حقيقة الحقيقة):

لأن الحيرة تحصل عند شهود الأضداد في نفس العين وهذه هي حقيقة الحقيقة لأن ذلك من مقتضيات الكمال اللامتناهي. والتحقق بذلك هو عين المعرفة ولهذا قال:

من لم يقف في الحيرة لم يعرفني.

ثم قال لي: من عرفني لم يدري ما الحيرة. ثم قال لي: في الحيرة تاه الواقفون وفيها تحقق الوارثون وإليها عمل السالكون وعليها اعتكف العابدون وبها نطق الصديقون، وهي مبعث المرسلين ومرتقى همم النبيين. فلقد أفلح من حار فمن حار وحّد ومن وحّد وجد ومن وجد فني ومن فني بقي ومن بقي عبد ومن عبد جاز ومن جاز فهو الأعلى، وأفضل المجازاة الإنية وفيها الحيرة.

ثم قال لي: ليس الحيرة حيرة وإنما هي غيرة مني عليك، فغر عليّ واسترني واحجبني ولا تظهر في الوجود غيري. ثم قال لي: أوقفهم في الحيرة ولا تدل عليّ أحدا ووصلهم إليّ وعرفهم بي ولا تعرفهم بمكاني، وعرفهم بمكاني ولا تعرفهم بي، فإذا لزموا مكاني وجدوني:

إشارة إلى الآية (5) من سورة (طه) ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ وإلى الآية (14): ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ وهو تعالى جليس من ذكره. والإشارة إلى المكان العرشي وعلاقته بطه نجدها أيضا في عنوان فقرة من الباب (559) وهو: (منزل الأدباء من السماء والعرش والعماء) وهي الفقرة التابعة لمنازلة الباب (413) من الفتوحات لمعرفة المكان عند أهل الله تعالى فقال مع حذف لبعض كلامه:

[... المكان نعت إلهي في العموم والخصوص. أما في العموم فقوله ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ وأما في الخصوص فقوله: "وسعني قلب عبدي المؤمن ". وأما عموم العموم فأن يكون بحيث أين وهو قوله: " وهو معكم أينما كنتم". فذكر الأينية. والمكان في الذوات كالمكانة في المراتب. والمكان عند القوم منزلة في البساط هي لأهل الكمال الذين جازوا المقامات والأحوال والجلال والجمال فلا صفة لهم ولا نعت ولا مقام كأبي يزيد. واعلم أن عبور المقامات

والأحوال هو من خصائص المحمديين ولا يكون إلا لأهل الأدب جلساء الحق على بساط الهيبة مع الأنس الدائم، لأصحابه الاعتدال والثبات والسكون غير أن لهم سرعة الحركات في الباطن في كل نفس ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ .. فهم بين تقييد وإطلاق لا مقام يحكم عليهم فإنه ما ثمّ... فهم من حيث مكانتهم متنوعون ومن حيث مكانهم ثابتون فهم بالذات في مكانهم وهم بالأسماء الإلهية في مكانتهم. فمن الأسماء لهم المقام المحمود والمكانة الزلفى في اليوم المشهود والزور والوفود، ومن الذات لهم المكان المحدود والمعنى المقصود والثبات على الشهود وحالة الوجود ورؤيته في كل موجود في سكون وخمود. يشهدونه في العماء بالعين التي يشهدونه بها في الاستواء بالعين التي يشهدونه بها في السماء الدنيا بالعين التي يشهدونه بها في ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾. وهذا كله من نعوت المكان وأما شهودهم من حيث المكانة فتختلف عيونهم باختلاف النسب..] إلى آخر ما ذكره رضي الله عنه.

وإذا وجـــدوني لم يروا شيئا، وإذا رأوا شيئا لم يروا مكاني، وإذا لم يروا مكاني فأحرى أن يروني.

ثم قـــال لي: هذا ثوبي سر به إليهم، فمن لبسه فهو مني وأنا منه، ومن لم يلبـــسه فليس مني ولست منه. ثم قال لي: ارم به في النار فإن احترق فهو ثوبي وإن سلم فليس ثوبي. ثم قال: إن احترق فليس ثوبي وإن سلم فهو ثوبي، ومن لبس ثوبي فليس مني ومن تركه فهو مني.

ثوب الحق عبارة عن أسمائه وصفاته. وقوله: [من لبسه فهو مني وأنا منه] يعني التخلق بالأخلاق الإلهية في مواطنها اللائقة. واحتراق ذلك الثوب عبارة عن حال من يظهر بنعوت الربوبية بغير حق وفي غير موطنها وهو قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ سورة غافرالآية 35، وقوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ الدخان الآية 49. وعدم احتراق الثوب يعني الظهور بالأخلاق الربانية بالإذن الإلهي والإلباس الرباني مثل قوله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة الآية 128، وقوله تعالى:

﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ القصص الآية 77. فالنار لا تحرق إلا الدعاوي الباطلة والأوهام العارضة.

ثم قال لـــي: شهد العدم للحيرة ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾.

هذه هي الآية 14 من سورة (طه)، وقد ختم بها هذا المشهد كإشارة لتناسبه لفاتحة [طه] التي عددها 14، وفيها تمهيد للمشهد التالي المناسب لسورة [مريم]حيث مشهد نور الألوهية بطلوع نجم (لا). وثمّة علاقة لطيفة بين (طه) و(مريم) أشار إليها الشيخ في إحدى قصائد ديوانه تكلم فيها عن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وذهابه لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فيقول:

ويمشي إلى خير الأنام مجاورا   لينكحه الأم الكريمة في العلا

المشهد الحادي عشر /

مشهد نور الألوهية بطلوع نجم لا

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا المشهد مناسب لسورة (مريم) أم عيسى عليهما السلام. ولهما علاقة متميزة بالرموز الحرفية، كرموز حرف (لا). وهو ما نجده في الفتوحات من أبواب متعلقة بسورة (مريم) كالباب (26) الذي عنوانه: (في معرفة أقطاب الرموز وتلويحات من أسرارهم وعلومهم في الطريق) وموقعه في الباب 559 في الفقرة التي عنوانها: (أسرار الرموز والكنوز) ص **IV**- 333 وكذلك الباب (365) الذي عنوانه: (منزل أسرار اتصلت في حضرة الرحمة بمن خفي مقامه وحاله عن الأكوان) يعني بالأسرار الحروف (كهيعص) المتصلة برحمة زكرياء ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ ﴾... -مريم: 2 - 3- ثم إن حرف (لا) له علاقة متميزة بمقام عيسى عليه السلام حيث إن كُلاً منهما ممتزج النشأة كالقلب الياسيني الذي يتقلب بين الأضداد[1]، فهو جامع للمتناقضات كلها من اسمه تعالى (الجامع الواسع).

---

(1) من حيث الإشارات العددية: إذا عوض في (يس) حرف الياء بعدده (1) وحرف السين بعدده (3) نتحصل على الرقم 31 وهو عدد: لا = 30 + 1 حول بعض دلالات حرف (لا) في الفتوحات ينظر ب 2: ص 52-75-76/ب 22 177/ب73 ج 2 ص 122- 123 / 198 ص 449 ب 278 ج 2 ص 603/ وج3 ص 382 - 383 / 559 ج 3ص 386/ الموقف =

فحرف (لا) من حيث الرقم واحد، ومن حيث اللفظ حرفان: الألف للذات، واللام للصفات، أو الألف للحق واللام للخلق. ثم إنه جامع للنفي والإثبات، ففي النفي كمثل قوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾- الزمر الآية 61- وفي الإثبات كقوله تعالى: ﴿ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً ﴾- الحشر الآية 13 - ونجد في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) المعنيان ف (لا) الأولى نافية و(لا) في (إلا) مثبتة.

وعيسى عليه السلام ممتزج النشأة من بشرية ماء مريم عليها السلام ونفخ الروح الأمين جبريل عليه السلام. ولما رفع أسكنه الله تعالى في سماء الامتزاج سماء الكاتب الثانية، فهي ممتزجة الطبائع، وكذلك كوكبها فيه امتزجت كل الصفات الكوكبية المعروفة عند علماء الفلك. ولشدة ظهور الامتزاج فيه عليه السلام اختلطت حقيقته عند أكثر أتباعه وحاروا بين لاهوت الألف وناسوت اللام [1]... فالنفي من حرف (لا) يشير إلى معرفة الله تعالى من حيث تنزيه ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ ﴾، وفي هذه الحضرة يُنعت الحق بكمالات الألوهية المقابلة لنقائص وقيود وعجز العبودية. أما الإثبات من حرف (لأ) - بالهمزة - فهو يشير إلى تشبيه (وهو السميع البصير) وإلى الحديث الشريف (خلق الله آدم على صورته). وكمال المعرفة هو الجمع بين شقيها: شق التناسب والتناظر والتقييد والتشبيه مع شق التقابل والتعاكس والإطلاق والتنزيه. والكلام في آخر المشهد عن البقاء والفناء مناسب للآية الأخيرة من سورة مريم: ﴿ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴾.

أشـــهدني الحـــق في الألوهية بطلوع نجم لا. فلم تسعها العبارة وقصرت الإشـــارة وزال النعت والوصف والاسم والرسم وقال وقلت وأنت وأقبل وأدبر

=

215 من كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري.

(1) لاحظ أنه بحساب الجمل الصغير عدد (عيسى ابن مريم = 12 + 8 + 11 = 31) هو عدد (لا).

وقم واقعد وكلّ شيء، وبدا لي كل شيء ولم أر شيئا. ورأيت الأشياء ولم أر رؤية، وزال الخطـــاب وانعدمت الأسباب وذهب الحجاب ولم يبق إلاَّ البقاء وفني الفناء عن الفناء بأنـــا.

فختم المشهد بضمير (أنا) إشارة إلى انطواء كل الأضداد في الواحدية الأحدية من تلك الآية في آخر سورة (مريم): ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ وفي هذا تمهيد للمشهد الموالي الذي مطلعه (مطلع نور الأحدية).

المشهد الثاني عشر/ مشهد نور الأحدية بطلوع نجم العبودية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المشهد مناسب للحروف الفواتح (الر) الفاتحة لخمس سور هي (الحجر- إبراهيم - يوسف - هود - يونس). فالألف للأحدية الساطع نورها في قائمة اللام، والراء للعبودية الطالع نجمها في تعريقة اللام الأوسط الرابط بينها وبين الألف. ومن حيث أعداد هذه الحروف فللألف واحد الآحاد، وللاّم المرتبة الثالثة في العشرات وللراء المرتبة الثانية في المئات (231).

وليس في جميع الحروف من هو متحقق بكمال محض العبودية مثل الراء، لأن عدده الشفعي (200)ناتج عن سريان عدد الباء (2) في المائة حضرة من الأسماء الحسنى، إذ أن لكل اسم إلهي عبوديته الخاصة به، وللباء مقام الحقيقة المحمدية في محض عبوديتها. وكذلك من حيث الشكل فليس للراء أي ظهور فوق السطر وإنما تنزل إلى الأسفل وتبقى ثابتة في نزولها الذاتي ولا تصعد إلى السطر كما نراه في (ن) أو (ص) وهذا ما انفردت به عن بقية الحروف. وحتى أمثالها من الحروف الثابتة في نزولها مثل (و) و(م) و(ز)لها ظهور فوق السطر بالدائرة أو النقطة.

فالإنسان الكامل الذي من رموزه (لا) - كما سبق ذكره - هو الجامع بين أحدية الألف ومحض عبودية الراء وذلك ما صرّح به الشيخ في الباب (255) من الفتوحات في معرفة المحق ومحق المحق حيث يقول ما خلاصته: [لا يتمكن

الخليفة أن يقوم في الخلافة إلا بعد أن يحصل معاني حروف أوائل السور، سور القرآن المعجمة.. فهو يشهد الله بالله، ويشهد الكون بنفسه لا بالله. ويكون في هذا المقام متحققا من حروف أوائل السور المعجمة بالألف والراء خاصة، مع علمه بما بقي منها، غير أن الحكم فيه للألف والراء في هذا المقام حيثما وقعا من السور. وأما حكمه في العالم في هذا المقام فمن باقي هذه الحروف، وبها يظهر في العالم في مقام محق المحق، وبالألف والراء يظهر في المحق. وهم الأولياء الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا رؤوا ذكر الله» وذلك لأن عين تجليهم بهذين الحرفين في الصور الظاهرة عين تجلي الحق، فمن رآهم رأى الحق إذا رؤوا ذكر الله لتحققهم بصفته فهم يشاهدون الحق فيه إذا تجلى لهم في صورة حق.] انتهى.

ومن هؤلاء الخلفاء الكمل الرسل وعددهم (313)[1] ومنهم يونس وهود ويوسف وابراهيم أي السور المفتتحة بـ(الر) وأما الحجر فهي الجامعة لجميعهم فهي تتألف من (99) آية وتكرر فيها حرف الراء (99) مرة، ولجمعيتها سمّاها الشيخ (منزل المنازل) إذ أنَّ موقعها في الفصل الأول من الفتوحات هو الباب الثاني والعشرون في معرفة علم منزل المنازل وترتيب جميع العلوم الكونية، ومنزلها فيه خلاصة كل المنازل القرآنية الأخرى. ولهذا عدّد الشيخ تلك المنازل في هذا الباب (22). وهذا ما فعله أيضا في الباب (369) من فصل المنازل المخصوص بسورة (الحجر) وهو في معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود حيث قال: إن بين منزل (الحجر) ومنازل كل السور الأخرى وُصلة بنسبة خاصة، وبيَّن هذه النسبة مع منازل السور الثلاث والعشرين الأخيرة بدءًا من (الناس) وصعودا إلى سورة (الليل)... فخزائن الجود القرآني مفاتيحها في الحجر قال تعالى في آيتها (21) ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ . وقال في آيتها (87): ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ . فسورة (الحجر) مثلها مثل الإنسان الجامع أي نسخة صغرى لنسخة العالم الكبرى، كبنات نعش الصغرى والكبرى التي ذكرها الشيخ وابن سودكين في آخر هذا المشهد.

---

(1) وهذا العدد هو مجموع عددي الألف والراء مفصلين مع اعتبار الهمزة كالألف في العدد (الف + راء = 111 + 202 = 313).

وقد أشار الشيخ إلى خصوصية الراء من (الر) في إشارات سورة الحجر من كتابه " إشارات القرآن في عالم الإنسان" فقال:

[الألف لها الانفصال القبلي، واللام لها الاتصال القلبي، والرّاء لها الامتزاج المثلي فقد تطاول لها دون أخواتها السرّ الحقيقي وإن اختلفت الأعيان.].

وكلام الشيخ في هذا المشهد ينقسم إلى خمس فقرات على عدد سور (الر)، فكلامه حول الأحدية والوترية راجع ليونس وهود. ولهذا نجده في إشارات سورة يونس من كتابه (إشارات القرآن) يقول: [فاز بحياة الأبد من وحّد خالقه وتوحّد وكان توحيده محمدي المحتد وعلا مشهده فوق كل مشهد] إشارة للآيات (104-107) ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ﴾ . كما أشار الشيخ في كتابه الفصوص عن علاقة هود بالأحدية حيث جعل عنوان الباب العاشر: (فص حكمة أحدية في كلمة هودية). وكلامه حول النجوم والكواكب وقطبها وبنات نعش يذكّر بسورة يوسف إذ أنّ مدارها حول رؤيا يوسف لإخوته ولأبويه على صورة الكواكب... وكلامه حول مراتب الرجوع من الفرع إلى الأصل ثم النزول من الأصل إلى الفرع يذكّر بسورتي إبراهيم والحجر، ففي سورة إبراهيم نجد الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة في الآيات(34 الى 36) كما نجد تسخير الأكوان للإنسان في الآيات (32 إلى 34). وذلك الرجوع والنزول عبر قاب قوسين هو المعراج الذي نجده في سورة الحجر الجامعة للمنازل القرآنية ولهذا استفتح الشيخ بابها الثاني والعشرون من الفتوحات بالإشارة إلى المعراج الصعودي ثم النزول عبر القوس الثاني من آيتها (14): ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ، فيقول:

عجبا لأقوال النفوس الساميه ... إن المنازل في المنازل ساريه
كيف العروج من الحضيض إلى العلا ... إلاّ بقهر الحضرة المتعاليه
فصناعة التحليل في معراجها ... نحو اللطائف والأمور الساميه
وصناعة التركيب عند رجوعها ... بسنا الوجود إلى ظلام الهاويه

ومدار هذا المشهد على شهود الشفع في عين الوتر وشهود الوتر في عين الشفع. وقد فصّل الشيخ هذه الحقائق في فقرات من الفتوحات منها الباب (364)

الذي هو منزل سورة (طه) تكلم فيه على سرّ تثنية الواحد نفسه. ومنها الباب (463) حيث يقول عن علوم القطب الذي سورته (تبارك الملك): (فما ثمّ إلاّ شفع وكل واحد من الشفع وتر فما ثم إلاّ وتر. والفجر وليال عشر والشفع والوتر. فالشفع يطلب الشفع والوتر يطلب الوتر وهو طلب الثأر[1]:

فشفعه في وتره ظاهر ووتره في شفعه مندرج
يباين الضد بها ضدّه وشكله بشكله مزدوج)

ثم إن في عدد (الر= 231) إشارات لبعض ما ذكره في هذا المشهد فالرقم 1 يشير للأحدية والرقم 2 (أو 200) يشير للعبودية، والبرزخ بينهما (3 أو 30) يشير للارتباط بينهما كارتباط (لا). ومقارنته للمسلم والنصراني والمجوسي تستند إلى أن الرقم واحد لألف المسلم وللنصراني تثليث اللام، وللمجوسي ثنائية الراء.

أشهدني الحق بمشهد نور الأحدية وطلوع نجم العبودية وقال: ارتبطت الأحدية بالعبودية ارتباط هذا: لا.

الألف لأحدية الحق تعالى، واللام لشفعية العبد، والعبد لا انفكاك له عن قيومية أحدية الحق مثلما لا ينفك اللام عن الألف في (لا).

ثم قال لي: أنا الأصل وأنت الفرع. ثم قال لي: الأصل أنت والفرع أنا.

أي أن الحق تعالى أصل في الوجود، ووجود الخلق ناتج عن أصله بقوله تعالى إذا أراد شيئا: كن فيكون. فالأصل الإطلاق وفرعه التقييد.

أما من حيث المعرفة فالأصل هو معرفة النفس، وفرعها معرفة الرب من حيث (من عرف نفسه عرف ربه) قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ...﴾ - فصلت الآية 53 - وقال: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ - الذريات 21 - فمن معرفة العبودية تتفرع معرفة الربوبية.

---

(1) وانظر ما ذكره الشيخ في حضرة (الواحد الأحد) في الباب (559 / II ص 293) وعن حضرة الإفراد (ص 276). وكذلك ما ذكره عن (الواحد الأحد) في جوابه عن السؤال (48) من أسئلة الترمذي. وما ذكره عن الأحدية في الباب (272) الذي هو منزل سورة (الإخلاص). وانظر أيضا ما فصّله الشيخ عن الوتر والفرد في باب معرفة مقام التوحيد وهو الباب (172) وباب التثنية الذي يتلوه.

ثم قال لي: أنت الواحد وأنا الأحد فمن غاب عن الأحدية رآك ومن بقي معها رأى نفسه. هي حضرة التوالي، لو انقسمت لم تكن.

أخصّ الأسماء الذاتية وأولها هو (الواحد الأحد) والاسمان (الواحد الأحد) مقترنان اقتران الألف واللام في (لا) فللأحدية الذاتية الألف، وللواحدية اللام. فالإنسان الكامل المخلوق على صورة الرحمن هو بالنسبة لحضرة الحق تعالى، كفردية اللام بالنسبة لأحدية الألف. وعدد اللام - بالجزم الصغير - هو 3=2+1، وعدد الألف هو 1. ففي اللام ظهرت الشفعية (أي العدد 2) مرتبطة بالأحدية (أي العدد 1.). فمن غاب عن الأحدية - أي العدد 1 - رآك، أي لم يبق من (2+1) إلا شفعية (2). ومن بقي معها، أي بقي مع أحدية العدد 1، غائبا عن شفعية (2)، رأى نفسه من حيث (كان الله ولا شيء غيره)[1] -.

وقوله (حضرة التوالي لو انقسمت لم تكن)أي أن الواحد يظهر في مراتب الأعداد إلى ما لا نهاية فهو قيومها ومُظهرها وأولها وآخرها إذ به تحفظ مراتبها، وذلك عبارة عن رؤية وجه الحق في كل شيء من حيث ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ - البقرة الآية 115- وليس للأحدية أبعاض فتنقسم، إذ لا وجود إلا وجودها وحقيقة الوجود لا تقبل القسمة ولا الاتحاد ولا الحلول ولا الاتصال ولا الانفصال. فلو انقسمت لم تكن أحدية بل تكون شفعية خلقية.

ثم قال لي: لا تنم إلاّ على وتر. ثم قال لي: لا وتران في ليلة فإن أحدنا يبقى.

قوله (لا تنم إلا على وتر)النوم عبارة عن ما يُشهد باطنا. فالنوم على وتر عبارة عن الشهود الباطني الدائم لوترية الحق تعالى وفردانيته [2].

قوله (لا وتران...) الوتر قبل النوم يشفع وترية المغرب المثلث بفردانيته، فالكمال في لزوم شهود شفعية العبودية مع عدم الغيبة عن شهود فردانية الألوهية ووترية الوحدانية وأحدية الذات.

---

(1) الحديث رواه البخاري في بدء الخلق.

(2) ينظر في الباب 558 من الفتوحات حضرة الإفراد IV ص 286.

ثم قال لي: صلّ المغرب ولا تصلّ العتمة فيجب عليك الوتر فتكون شفعا:

هذا تأكيد للمعنى الأخير السابق أي لا تصل العشاء إلا متبوعا بالوتر ليشفع المغرب، فيدوم شهودك لعبوديتك الشفعية، لكن بدون أن تحجب بها عن شهود الواحد الأحد الفرد الوتر الصمد الحي القيوم.

ثم قال: حجبتك بالأحدية ولولا الأحدية ما عرفتني، وما عرفتني قط:

الأحدية ماحقة لكل توهم وجود للغير، فهي الحجاب الأعظم عن ما دونها من الحضرات، وهي حضرة «كان الله ولا شيء معه». لكن من حيثية أخرى: لولا الأحدية ما عُرِفَ شيء أصلا لأن لكل شيء أحديته التي يتميز بها عن غيره، ولولاها لما كان له تميّز ولا ظهور. ولما كان للإنسان أحدية تميّزه عن غيره، علم أن الله تعالى أحدية يتميز بها وإن لم يعرف كنهها إلا هو تعالى. فلا يعرف الله تعالى إلا الله تعالى وهو قوله: «وما عرفتني قط».

ثم قال لي: لا توحد فتكون نصرانيا:

التوحيد من العبد تفعيل، ووحدانيته تعالى منزهة عن التفعيل، بل هي فاعلة لكل فعل، فما وحّد الواحد إلا الواحد، وتوحيد الخلق لربهم هو من منته عليهم، فهو الموحد نفسه بنفسه على ألسنة خلقه، فهو تعالى الواحد لذاته من غير توحيد موحِّدٍ كالنصراني الذي يقول بأن التثليث توحيد، فيقول باسم الأب والابن وروح القدس. فالنصارى واقفون مع فردية ثلاثية اللام، أما المسلم فيقول: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾- آل عمران 18 -.

وإن آمنت كنت مقلدا وإن أسلمت كنت منافقا:

النفاق يكون عند مخالفة الظاهر للباطن. فإذا كان الحاكم على الظاهر أحكام الشرع بينما الحاكم على الباطن أحكام الفكر أو الهوى فذلك نفاق قال تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾- الحجرات الآية 14 -

وإن أشركت كنت مجوسيا:

الشرك هو اعتقاد كثرة الآلهة، وأدنى الكثرة الاثنان كاعتقاد المجوس

بالثنائية في الألوهية: إله النور والخير وإله الظلمات والشر. قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ - الأنعام الآية 1 -.

ثم قال لي: اللذات في المطاعم والمطاعم في الثمر والثمر في الأغصان والأغصان تتفرع من الأصل والأصل واحد، ولولا الأرض ما ثبت الأصل ولولا الأصل ما كان الفرع ولولا الفرع ما كان الثمر ولولا الثمر ما وجد الأكل ولولا الأكل ما وجدت اللذة، فالكل معلق بالأرض والأرض مفتقرة إلى الماء والماء مفتقر إلى السحاب والسحاب مفتقر إلى الريح والريح يسخرها الأمر والأمر من الحضرة الربانية يصدر، ومن هنا ارق وانظر وتنزّه ولا تنطق. ثم قال لي: احفظ الوسائط:

بعد أن تكلم الشيخ عن الأحدية السارية في كل واحد، وعلى توحيد الواحد لنفسه في مراتب تجليه، وعلى الشرك المتوهم الباطل في ثنايا أوحال التوحيد، تكلم في هذه الفقرة على كثرة الوسائط السببية في عين الوحدة الكلية، أي كيف يتسلسل ترتيب الموجودات تنزلا من أصل الأمر الإلهي إلى الأرض ثم إلى ذوق اللذة في المطعم؛ أو صعودا من ذوق اللذة في الثمر إلى الفرع إلى الارض وعروجا إلى حضرة الحق تعالى في إطلاقها بين قدرة وحكمة. فطريق التنزل لأهل الجمع والوجود، وطريق الصعود لأهل الدليل والعقل.

وقوله: (احفظ الوسائط) يعني أنه من الحكمة الشرعية مراعاة الأسباب التي يفعل الله عندها لا بها، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾- آل عمران الآية 31 -.

ثم قال لي: كتبت طه في بنات نعش الصغرى.

عدد (طه) هو 14 على عدد أبواب هذه المشاهد فكأنه يشير إلى انطواء كل المشاهد في حقيقة الإنسان. [1] والعدد 14 هو أيضا عدد نصف المنازل الفلكية.

(1) الحروف 28 ومجموع أعدادها بحساب الجمل 5995 فالشطر الشمالي لهذا الرقم 59 =

وحيث إنه قرنه ببنات نعش الصغرى التي قيل إنها من الكواكب الجنوبية الموازية لليمن فذلك يعني النصف الجنوبي اليماني للكرة الفلكية، وقد ورد في الحديث الشريف: «إني لأجد نفَس الرحمن يأتيني من قِبَل اليمن[1]» وهو مناسب لفاتحة (طه): ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ ﴾ .

ثم قال لي: القطب اليماني هو القطب الشمالي وقد أودعتها أوّل سورة الحديد. ثم قال لي: لو كان قطبان ما دار الفلك ولو لم يكن قطبان لتهدّمت البنية وما جرى الفلك.

ثم قال لي: لا تنظر وجود القطبين وانظر ما غاب في النكرة وحينئذ تقول ما شئت، إن شئت اثنين وإن شئت واحداً:

استعمل الشيخ في هذه الفقرة رموزا فلكية: فبنات نعش الكبرى تشير إلى مواقع النجوم أي العالم الكبير أي آيات الله تعالى المبثوثة في الآفاق. وبنات نعش الصغرى تشير إلى (طه)أي الإنسان الكامل الجامع لحقائق كل الوجود وفيه انطوى العالم الأكبر قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ ﴾ سورة الذاريات الآية 21. وفي الحديث القدسي: «لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن[2]». فهو نسخة العالم ونسخة الحضرة الإلهية[3]. والكوكب القطبي الشمالي المعروف بالنجم الثاقب مقترن في سورة الطارق بالحفظ قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا

=

يتشكل من عددي الحرفين طه، وهو كالصورة في المرآة للشطر اليميني 95. ولهذه الرمزية الرقمية صلة عميقة بمرآة النظر بين الحق والخلق. وقد ورد في الحديث أن الحق تعالى يتلو سورة (طه) على أهل الجنة في الكثيب. انظر ما كتبه حول طه في الباب 558في حضرة الاسم المهيمن.

(1) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برواية: «وأجد نفس ربكم من قبل اليمن». وينظر في الفتوحات ج 1 ص 266 وما بعدها، ج 2 ص 390 وما بعدها.

(2) ينظر هذا الحديث القدسي في كشف الخفاء للعجلوني رقم 2254 - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

(3) ينظر تفصيل هذا المعنى في فص آدم الأول من كتاب فصوص الحكم للشيخ الأكبر.

حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾ أي أنه مقترن بحفظ الأنفس. ووظيفة الحفظ هي من أهمّ وظائف القطب الخليفة المتحقق بقوله تعالى في الآية 3 من سورة الحديد ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾.

فبوجود مظهرين لمرتبة القطب: مظهر آفاقي في العالم الكبير، ومظهر نفسي في العالم الإنساني، حفظ العالم كله، وهو قوله: (لو لم يكن قطبين لتهدمت القبة وما جرى الفلك). لكن هذين المظهرين ما هما في الحقيقة إلا أمر واحد وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ - القمر الآية 50- وهو معنى قوله: (لو كان قطبين ما دار الفلك). فالمظهران الاثنان للقطب الواحد مثل الألف واللام في (لام الألف) مرتبطان في سرّ لا ينكشف وهو سرّ النكاح الوجودي الساري في جميع الذراري كنكاح السماء والأرض لتلد من كل زوج بهيج. وختم الشيخ بآية سورة الرعد المسموع صوته عند نكاح السماء للأرض كتمهيد للدخول لفاتحتها (المر) في المشهد التالي.

وفي ارتباط اللام بالألف سرّ لا ينكشف أودعته في قولي: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ الرعد 2.

المشهد الثالث عشر /

مشهد نور العمد بطلوع نجم الفردانية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا المشهد الثالث عشر مناسب لسورة الرعد التي فاتحتها (المر)، وهي الحروف الأربعة التي قال عنها الشيخ في كتابه "إشارات القرآن في عالم الإنسان": [الألف قيوم الحروف. واللام ارتباط الصفة بالموصوف. والميم العلم المحكم الموصوف. والراء اتحاد المعرفة بالعارف والمعروف. فقد ربط الوجود بالزوجين].

وسورة الرعد لها نور العمد، لقوله تعالى في آيتها 2: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ . ولهذا سماها الشيخ في الباب (22) من الفتوحات (منزل الأمر الذي مسك الله به الأفلاك السماوية). وقد خصص الشيخ لها الباب الطويل (371) حيث بين أن هذا العمد هو الإنسان فقال: (... ورفع السماء قبة فوق قبة على عمد الإنسان). وقال في الفصل الرابع من هذا الباب: [الفصل الرابع في فلك المنازل وهو المكوكب وهيئة السماوات والأرض والأركان والمولدات والعمد الذي يمسك الله السماء به أن تقع على الأرض لرحمته بمن فيها من الناس مع كفرهم بنعمه فلا تهوي السماء ساقطة واهية حتى يزول الناس منها «...» وأمسك الله صورة السماء على السماء لأجل الإنسان الموحد الذي لا يمكن أن ينفي فذكره "الله الله" لأنه ليس في خاطره إلا الله، فما عنده أمر آخر يدعي عنده

ألوهية فينفيه بلا إله إلا الله، فليس إلا الله الواحد الأحد، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله[1]». وهو الذكر الأكبر الذي قال الله فيه ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ - العنكبوت 45 - فما قال الرسول صلى الله عليه وسلم من يقول: لا إله إلا الله. فهذا الاسم هو هجير هذا الإمام الذي يقبض آخرا وتقوم الساعة فتنشق السماء، فإن هذا وأمثاله كان العمد...]

وقد أكد الشيخ هذا المعنى في الباب السابع من الفتوحات حيث يقول: [... وقام سبحانه هذه الصورة الإنسانية بالحركة المستقيمة صورة العمد الذي للخيمة فجعله لقبة هذه السماوات فهو سبحانه يمسكها أن تزول بسببه فعبرنا عنه بالعمد، فإذا فنيت هذه الصورة ولم يبق منها على وجه الأرض متنفس انشقت السماء فهي يومئذ واهية لأن العمد زال وهو الإنسان، ولما انتقلت العمارة إلى الدار الآخرة بانتقال الإنسان إليها خربت الدنيا بانتقاله عنها علمنا قطعا أن الإنسان هو العين المقصودة لله من العالم وأنه الخليفة حقا وأنه محل ظهور الأسماء الإلهية...] ولهذا قال الشيخ في آخر هذا المشهد أنه بإخراج العمد من القبة انهارت الخيمة. فالذين خرجوا بالعمد هم أتباع الرسل الخلفاء أهل السعادة الذين منازلهم في الجنة التي أرضها فلك المنازل المحيط بالسماوات السبعة. والذين بقوا في الخيمة المنهارة وهم يموجون ويتلاومون هم الكفار والأشقياء يوم القيامة حين لا يستطيعون جواز الصراط الصاعد فوق جهنم إلى الجنة. ثم ترسل النار المحرقة على الخيمة ومن فيها، أي الدنيا بسماواتها السبعة وأراضيها السبعة تتحول إلى نار جهنم...

وأما موقع سورة (الرعد) في فصل المنازلات من الفتوحات ففي الباب (420) في معرفة التخلص من المقامات، وهو مقام العمد أي الإنسان الكامل ولهذا يقول الشيخ في هذا الباب: [... لا يخلص من المقامات إلا وارث محمد صلى الله عليه وسلم الذي آتاه الله جوامع الكلم[2]، وعلم الأسماء كلها وعلم الأولين

(1) الحديث رواه أحمد في مسنده ومسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه.

(2) عدد كلمة (عمد) هو 114 أي عدد كلمة (جامع) وهو عدد سور القرآن والاسم الخاص =

والآخرين، فكل الصيد في جوف الفرا، فما ثم عمن تتميز، فإن العالم كله في وارث محمد صلى الله عليه وسلم كما هو في محمد صلى الله عليه وسلم، فقد خلص من حكم المقامات عليه فهو يحكم بها بحسب ما تعطيه الأحوال فإنه العليم الحكيم]. ولهذا نجد الشيخ في هذا المشهد يتكلم على أهمية عدم الوقوف مع أي أمر يظهر لأن الوقوف حجاب، حتى في أعلى المشاهد الذي هو مشهد رؤية العمد، أي رؤية الحق في مظهر الإنسان الكامل، فالوقوف مع تلك الرؤية حجاب فقال: (من رأى العمد فقد حجب) كأنه يشير إلى معنى: (كن أنت العمد الفرد فلا تحتجب برؤيته عن التحقق به) وهو قول من قال: (ليس الشأن أن تعرف الاسم الأعظم وإنما أن تكون أنت عين الاسم الأعظم!). وذلك لأن الاسم وضع للدلالة على الحق، والانسان الكامل هو الدلالة العظمى عليه تعالى.

وتكلم الشيخ أيضا عن الرؤية والأحوال والمقامات في الباب المخصّص لسورة الرعد في كتاب التراجم وعنوانه: (ترجمة التسخير) أي تسخير كل الكون للإنسان الكامل الذي هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فهو عليه الصلاة والسلام قطب الرسل والأقطاب من حيث رسالته، وهو قطب الأفراد من حيث ولايته. ولهذا قرن مشهد نور العمد بنجم الفردانية، لأن الإنسان الكامل هو العبد الفرد، وأكد الشيخ هذا المعنى في (فصوص الحكم) لما قرن محمداً صلى الله عليه وسلم بالفردانية في الباب الأخير الذي عنوانه: (فص حكمة فردية في كلمة محمدية) وبدأه بقوله: [إنما كانت حكمته فردية لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني ولهذا بدئ به الأمر وختم..] فهو الفاتح الخاتم. ولعلاقة الفاتحية بالفردية نجد الشيخ في الفصوص يخصص الباب الحادي عشر للكلام على الفردية وعنوانه: (فص حكمة فتوحية في كلمة صالحية) فيقول إن الثلاثة هي أول الأفراد؛ وعن هذه الحضرة وجد العالم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ - النحل 40 - وهذه ذات وإرادة وقول. ولهذا تكلم ابن سودكين في شرح هذا المشهد عن الحروف الثلاثة لكلمة التكوين (كن). وقد ظهر

=

بمحمد صلى الله عليه وسلم هو (عمد الجامع) كما في الباب 273 من الفتوحات.

الأمر بالتكوين على لسان عيسى عليه السلام فأبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى ونفخ الروح في الطير بإذن الله تعالى. ولهذا نجد الشيخ يقرن بين سورة (الرعد) والعلوم العيسوية. فموقع سورة (الرعد)في الفصل الأول من الفتوحات له الباب (20) الذي عنوانه: (في العلم العيسوي ومن أين جاء وإلى أين ينتهي وكيفيته وهل تعلق بطول العالم أو بعرضه أو بهما). وفي هذا الباب تكلم عن كلمة التكوين (كن) وفرديتها الثلاثية والتساعية. وختم الباب ببيان أدوار العذاب الجهنمي أي بعد خروج العمد من الخيمة السماوية وحرقها بالنار هي ومن بقي فيها.

أشهدني الحق بمشهد نور العمد وطلوع نجم الفردانية:

قرن العمد بالفردانية لأن أول الأفراد الثلاثة؛ وكلمة (العمد) تستلزم ثلاثة حقائق: السماء والأرض والعمد الواصل بينهما، أو الإطلاق والتقييد والبرزخ الجامع لهما وهو الإنسان الكامل، أو الحق والخلق والواسطة بينهما وهي الحقيقة المحمدية. يقول ابن سودكين: [إن الأحد لا يوجد عنه أصلا وإنما يقع الوجود عن الفردية لأنه لا يقع الوجود إلا من ثلاث نسب ولهذا عبر عنه بكن وهو ثلاثة أحرف كاف وواو ونون. وإنما خفيت الواو لالتقاء الساكنين، فحذفها عارض والأصل بقاؤها ألا تراها تظهر في قوله: كونوا لزوال العلة التي هي سكون النون. [1]].

وقال لي: حجبته عن الرؤية في الفناء وأظهرته في البقاء[2].

في حال الفناء يغيب العبد عن نفسه وتقييده فلا يرى لإنيته الشخصية وجودا. وأما في مقام البقاء فيشاهد الحق تعالى متجليا بصورة العبد المقيد بدون احتجاب عن الإطلاق، لكن لا يشاهد العبد إلا صورته في الوجود الحق، لأن العبد لا يرى من الحق تعالى إلا قدره ولهذا تفاضلت الرؤية.

حجبته فيما ظهر وأظهرته فيما غاب وخفي:

أي أن من وقف مع أي مظهر من مظاهر التجليات الحقيّة مهما علت وشرفت وظنّ أن كل الأمر منحصر فيه، فهو محجوب عن لا نهاية الإطلاق. وأما من لم يقف وعلم أن وراء كل مظهر ومجلى باطن مطلق، فذلك العارف المتحقق

---

(1) حول تلك الثلاثية ينظر كتاب الشيخ عبد الواحد يحيى (René Guénon) بالفرنسية (La grande triade).

(2) حول الفناء والبقاء ينظر في الفتوحات البابان 220/221.

بظهور الحق في عين بطونه وببطونه في عين ظهوره.

ثم قال لي: أظهرته في الفناء وألقيت الأغطية على الأبصار حتى لا تدركه:

هذا الخطاب للإنسان الكامل الذي هو عمد قبة الوجود والتي لا تظهر مرتبته للعبد إلا بفنائه عن إنيته الشخصية المقيدة. وقوله: (حتى لا تدركه) أي أن الأبصار لا تتمكن أبدا من إدراك الحقيقة المحمدية أي العنصر الأعظم في الإنسان الكامل [1] لأنه البرزخ الأكمل الجامع لكل مظاهر الإطلاق والتقييد، يقول عنه القطب عبد السلام بن مشيش (ت: 625هـ) في صلاته المشهورة: [اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق].

ثم قال لي: ضربت القبّة وأركزت العمد وأوثقت الأوتاد وأبحت الدخول لجميع من في الوجود فيها. فمن طائفة حجبوا بذات القبّة وحسنها وجمالها، ومن آخرين حجبوا بالأوتاد فاستمسكوا بها، ومن طائفة حجبوا بأسباب القبّة فبقوا معها، ومن آخرين حجبوا بأثاثها ومتاعها؛ والكل ما رأوا عمد القبة حتى دخلت طائفة فقالوا: قبة من غير عمد محال. فبحثوا حتى وجدوا العمد فنظروا من أين حجب هؤلائك عن العمد فوجدوا على أعينهم أغطية. فاستمسكوا بالعمد وفازوا به واقتلعوه من الأرض وأخرجوه فسقطت القبة على من بقي.

فلو رأيتهم يموجون فيها ويدخلون، بعضهم في بعض، ويؤذي بعضهم بعضا وهم لا يهتدون كالحيتان في شبكة الصائد. فلما رأيت تخبطهم أرسلت عليهم نارا فأحرقتهم وأحرقت القبة والأساس والأثاث والأوتاد، ثم أحييتهم فقلت لهم: انظروا إلى ما استمسكتم به فنظروا فوجدوا هباءً منثورا.

يقول ابن سودكين:

قوله: ضربت القبة وألقيت الأوتاد. الفصل إلى آخره له وجهان: القبة المراد بها في حق المستمسكين بالدنيا وزينتها، وفي حق من هم أعلى من هذه الطائفة المستمسكين بكل ما سوى الله وما يتعلق به من زينة العلوم والمعارف، ويدخل في

(1) حول العنصر الأعظم ينظر الباب الأول من كتابه: " عقلة المستوفز " للشيخ الأكبر.

هذه الدنيا. والنار المنزلة عليهم نار الطبيعة التي تردها إلى الاستحالة. وأما إذا كانت القبة عبارة عن الوجود الممكن فالنار المرسلة عليهم هي أنوار السبحات والسبحات أنوار الذات ونوره عين ذاته. والذي انبعث من السبحات أنوار السبحات فإنه لا يصح أن تشهد السبحات أبدا، فإنها تحرق ما يشهدها، فالفناء فناء إضافي، لأنه ما يعدم الحق شيئا بعدما أوجده أبدا.

ثم قال لي: كن مع أصحاب العمد وإن لم تكن معهم هلكت:

أي كن مع أصحاب الإنسان الكامل الفاتح الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فالسعادة العظمى عندهم، وفي الإعراض عنهم الهلاك.

وإن صاحبتهم هلكت. ثم قال لي: من رأى العمد فقد حجب، وإياك والحجاج فإنّه يورث الهلاك:

أي أن معيتهم إنما هي مع الحق أي تكن معهم مع معيتهم لا مع أنفسهم فإنك إذا كنت في معيتهم كنت مع من يكونوا معه لا معهم. فالله وحده هو المقصود من صحبتهم.

قوله: (من رأى العمد فقد حجب). يقول ابن سودكين: أي من رآه ووقف معه فقد حجب حجاب الرؤية في زمن الرؤية، فإن وقف معها في الزمن الثاني كان محجوبا بالرؤية، وإن لم يقف معها في الزمن الثاني فلا حجاب عليه. والإنسان مفطور على السريان فإن وقف في زمن ما فلا يصحّ وقوفه، لكن يكون سريانه رجوعا يرجع به القهقرى، فالأولى به أن يكون في سريانه متقدما لا متأخرا ليكون في زيادة لا في نقص والسلام.

المشهد الرابع عشر/ مشهد نور الحجاج بطلوع نجم العدل

بسم الله الرحمن الرحيم

أشـــهدني الحق بمشهد نور الحجاج وطلوع نجم العدل، فرأيت الساهرة[1] قــد مدّت، والارض قد ألقت ما فيها وتخلّت، وقال لي: يا عبدي تأمل ما أصنع بأهل المراء والجدال والأهواء والبدع وأنا القاهر. فرأيت سرادقا مضروبا عموده مــن نار وأرجاءه وأطنابه من قطران فقال لي: هذا سرادق لك. أفي يقع خلاف أم بغيري يتكلم؟[2] إليّ يُقَدَّر؟ هيهات هيهات لما تخيّلوا وتبت أيديهم بما كسبوا.

ثم قــال لي: يا عبدي إذا دخل المتناظرون في هذا السرادق فانظر فريقك فــسر معــه فإن نجوا نجوت وإن هلكوا هلكت. ألق السمع واشهد، فهذا ميزان العــدل قد نصب وصراط الحق قد مدّ وجحيم الخلاف قد سعرت وجنان الموافقة

(1) الساهرة هي أرض الموقف يوم القيامة، وفيها قال تعالى ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ النازعات الآيتان (13 - 14).

(2) يعني أنه لاينبغي الكلام في الله تعالى بالفكر لأنه لا قدرة للفكر على الجولان في ذات الحق تعالى، ولذلك اختلف أهل الفكر، خلافا لأهل الحق من أتباع الرسل الذين عقيدتهم في الله تعالى لا اختلاف فيها لأنها مأخوذة من كلامه تعالى فلا يسمى تعالى إلا بما سمى به نفسه في وحيه على رسله.

قد أزلفت.

فــإذا الــنداء: أيــن ذوو العقول بزعمهم؟ فجيء بالفلاسفة ومن تبعهم وأدخلــوا في السرادق. فسئلوا: فيم صرفتم عقولكم؟ قالوا: فيما يرضيك. قال: ومــن أين علمتم ذلك، بمجرد العقل أم بالاتباع والاقتداء؟ قالوا: بمجرد عقولنا. فقــال: لا عقلــتم ولا فلحــتم، لكنكم تحكمتم. يا نار تحكمي فيهم. فسمعت ضــجيجهم من أطباق النيران بالويل. فقلت: من يعذبهم. قال لي: عقلهم فهو كان معبودهم، ما سألهم سواهم ولا عذبهم غيرهم.

ثم قيل: أين الطبيعيون؟ فأتي بهم. فرأيت أربعة أملاك غلاظ شداد بأيديهم مقامــع، فقالــوا لهم: يا ملائكة الله ما تبغون منا؟ قالوا: نهلككم ونعذبكم فقالوا: ولأيّ شــيء؟ قالوا كنتم في الدنيا تزعمون أناّ آلهتكم وكنتم تعبدوننا من دون الله وترون الأفعال منا. إن الله سلطنا عليكم لكي نعذبكم في نار جهنم. فكبكبوا فيها.

ثم قيل: أين الدهرية؟ فأتي بهم. فقيل لهم: أنتم القائلون ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ (الجاثية الآية 24)، هل حدثتم أنفسكم أنكم ستردون على هذا المقام؟ فقالوا: لا، يا ربنا. فقال: ألم تأتكم الرسل بالبينات فكذبتم وقلتم ﴿ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾الملك(الآية 9) أخسئوا فلا حجة لكم. فكبوا على وجوهم في نار جهنم.

ثم قيل: أين المعتزلة الذين اعتزلوا عن الصراط المستقيم؟ فأتي بهم جميعاً فقــيل لهــم: ادعيتم الربوبية تقولون ما شئنا فعلنا فسحبوا على وجوهم في نار جهنم.

ثم قيل: أين الروحانيون؟ فأتي بهم. فرأيتهم أقبح الناس صوراً وأشمت الناس حــالا إلا طائفــة واحــدةً عزلت عنهم في كنف النبيين والصديقين تحت سرادق الأمن. فقال لي: انتظم معهم إن أردت النجاة واسلك سبيلهم. ولا تنتظم معهم ما دامت الميم، فإذا فني الميم فانتظم معهم ما دامت المعية، فإذا فنيت المعية فاحكم

بمـــا شـــئت ولا جناح عليك. ورأيت السبعة الأحزاب من الروحانيين قد سئلوا وصـــاروا محجـــوبين، قـــد لعبت بهم الأهواء واستهواهم الشيطان، فاستعاذ جميع الطوائـــف مـــنهم ومن عذابهم وحصلوا بين أطباق النيران. ثم قيل لهم: هذا الذي كنـــتم بـــه تكذبـــون. أين لاهوتكم يشفع في ناسوتكم ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ﴾ (الإسراء الآية 81).

فدخلت الجنان مع الحزب الثامن فأزلت الميم كما قال، فبقيت المعية بسبعين ألف حجاب. فلم تزل المعية تقطع الحجب وتخرقها حتى هلكت في آخر حجاب وما بقي حجاب ولا معية. فإذا الحزب الثامن ينادي: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا ﴾ (آل عمران الآية 194). قال العبد الفقير إلى رحمة ربه: فتجلى لهم في صورة العلم فتفاضلت الرؤية، وقال لي: هذه صورتك، ابرز لهم فيها[1].

ثم قـــال لي: ادخل السرادق يعود ناره نوراً، ادخل النيران تَعُدْنَ جنة. لا تدخل مكانا إلا بي ولا تقصد إلا إليّ.

قامـــت الحجـــج على أهل الحجاج فقيل من سلم؟ قلت: من لم يكن له حجة. قال: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (الأنعام 149) فصاحب الحجة يسلم.

أي أن السّالم هو من كانت حجته التسليم لحجة الله البالغة كما في الآيتين 88 -89 من سورة الشعراء: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾. وفي مثل هذا المعنى يقول الشاعر:

---

(1) يشير إلى التحقق بالصورة الرحمانية الإلهية التي هي مجلى الكمال وذلك عند رؤية الحق تعالى في الصورة المحمدية بالعين المحمدية وبها يرجع العبد الكامل رحمة للعالمين وشفيعا للمذنبين فتنقلب نيرانهم أنوارا وهو ما عبر عليه بقوله التالي.

وجهـــــك المـــــيمون حجّتـــــنا   يـــوم يـــأت الـــناس بـــالحجج.

ثم قـــال لي: أرجـــع فخـــبر وإيـــاي ﴿ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝ ﴾ **(المدثر 3 – 5) وفي هذا المقام فاعتبر.**

ثم قـــال لي: لا تعمل شيئا مما ذكرت لك أن تعمله وإن لم تعمله هلكت وإن عملته هلكت. فكن على حذر ولا تفارق الأمر.

هذا المشهد الأخير مناسب لسورة الأعراف. قال الله تعالى في آيتها: (46) ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَٰهُمْ ﴾ فالأعراف هو المنزل الأوسط بين الجنة والنار بحيث يطلع صاحبه على جميع طوائف السعداء والأشقياء. والأعراف عند الشيخ رمز لمقام الكمال المتعالي على المنازل كلها فلا تقيده صفة. وقد وصف الشيخ في الباب (25) من الفتوحات أهل الأعراف وسماهم بأهل الحدّ فقال: [وأما رجال الحد فهم الذين لهم التصرف في عالم الأرواح النارية عالم البرزخ والجبروت «...» فعند هؤلاء الرجال استنزال أرواحها وإحضارها، وهم رجال الأعراف. والأعراف سور حاجز بين الجنة والنار برزخ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فهو حد بين دار السعداء ودار الأشقياء، دار أهل الرؤية ودار الحجاب، وهؤلاء الرجال أسعد الناس بمعرفة هذا السور، ولهم شهود الخطوط المتوهمة بين كل نقيضين مثل قوله: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ ﴾ – الرحمن 20 – فلا يتعدون الحدود. وهم رجال الرحمة التي وسعت كل شيء، فلهم في كل حضرة دخول واستشراف، وهم العارفون بالصفات التي يقع بها الامتياز لكل موجود عن غيره من الموجودات العقلية والحسية] .

وقد خصّص الشيخ الباب (40) من الفتوحات لمنزل الأعراف بدون أن يصرح به فبدأه بقوله: (إن هذا المنزل منزل الكمال وهو مجاور منزل الجلال والجمال وهو من أجل المنازل والنازل فيه أتم نازل «...» من حصله ساد على أبناء جنسه وظهر حاكما على صاحب الجلال والجمال، وهو من مقامات أبي يزيد

البسطامي والأفراد)؛ ولهذا نجد الشيخ في هذا المشهد يصف حال أهل الجلال والحجاب من أهل النار وحال أهل الجمال والرؤية من أهل الجنة. فقسمهم إلى اثني عشر طائفة الناجية منهم واحدة وهم أتباع الرسل الجامعين بين الظاهر والباطن والحس والمعنى، وباقي الطوائف الأخرى هم أتباع الفكر والهوى، وعددهم (11) على عدد الأفلاك الجهنمية الواقعة تحت فلك المنازل الذي هو عين سور الأعراف وهو الكرسي. لأنه بعد يوم القيامة يكون فلك المنازل سقفا للنار وأرضا للجنة التي سقفها العرش ببروجه الاثني عشر. فتحت الأعراف السماوات السبعة وأفلاك الأثير والهواء والماء والتراب، وهذه الطوائف الاثنا عشر على عدد العيون المذكورة في الآية (160) من الأعراف: ﴿ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا ﴾[1].

وأحيانا أخرى يأخذ الشيخ من كلمة (أعراف) معنى الروائح أي الأنفاس الرحمانية[2].

وقد خصص الشيخ لرجال الأعراف أبوابا من الفتوحات منها الأبواب: (15/34/35/198).

وفي كتاب (العبادلة) نجد عدة أبواب ترجع لسورة الأعراف كالباب (13) الذي عنوانه: (عبد الله بن يحيى بن عبد الصمد) ونسب هذا الباب ليحيى لأنه هو عليه السلام الذي يذبح كبش الموت على الأعراف عند نهاية يوم القيامة كما ورد

---

(1) حول علاقة البروج بأنهار الجنة ينظر الفصل 20 من الباب 198 من الفتوحات. وقد خصص الشيخ لسورة الأعراف في الفتوحات أبوابا منها الباب (377) وموقعه في الباب (559) في فقرة عنوانها (الفاصل بين الحالي والعاطل - IV ص 405) والباب (426) من فصل المنازلات وفي كتاب التراجم باب ترجمة النوراني.

(2) لهذا نجده في ديوانه يقول عن سورة الأعراف:

[في مشام العارفين الأعراف الطيبة وهم المسمون عالم الأنفاس وما رأيت منهم سوى رجلين من الكمل باشبيلية وممن نزل على الكمال منهم القنجباري:

إذا كانت الأعراف تعطي عوارفا ... فإن السليم الشم ينشق العرفا]

في الخبر. والباب (16) الذي بدأه بقوله: [الرجل من عرف الفرقتين ولم يتميز في فرقة عنهم في وقت الوزن. ثم ينظر إلى ضنائن الحق خلف ستر العزة مكتنفين بالنور الحجابي والنار تسطع من سبحات وجوههم، في زوايا سرادقات كونهم فتحرق كل ما أدركه بصرهم منهم فيبقون مع الحق أعيانا قائمة بلا معنى، فيكون الحق معناهم فهم نور في نور، فيطمع هذا الرجل باللحوق بهم من عين التوحيد أو المنة. فإن رفع له الميزان التحق بهم من عين توحيده، وإن لم يرفع له ميزان التحق بهم من عين المنة وكان عند ذلك ممن كمل...]

وفي هذا المشهد بين الشيخ أسباب الشقاء التي أصلها الإعراض عن ما جاءت به رُسُلُ الله من الشرائع، وبين أن نار جهنم هي المعبود الوهمي فأصلها الجهل. فمعبود الفلاسفة الفكر، ومعبود الدهرية الدهر، ومعبود المعتزلة الإرادة البشرية عندما يتوهمون استقلالها عن الإرادة الإلهية. ومعبود الطبيعيين الطبيعة. ولهذا كُلّفَ أربعة ملائكة بعذابهم وهم ملائكة أركان الطبيعة أي ملك الحرارة وملك البرودة وملك اليبوسة وملك الرطوبة وما تحتهم من أملاك العناصر. وقد ذكر الشيخ هؤلاء الأملاك الأربعة في الباب السابع من الفتوحات وقال عنهم: [وجعل هؤلاء الأملاك كالولاة على ما أحدثه سبحانه دونهم من العالم من عليين إلى أسفل سافلين..]. وقد قسم الشيخ الروحانيين إلى ثماني طوائف: سبعة أشقياء على عدد السماوات السبعة، لكل طائفة نسبة خاصة مع روحانيات سماء تناسبها، والثامنة هم أتباع الرسل وهم سعداء. ومقامهم مناسب لمقام الكرسي الأعرافي لأنه محل تدلي قدمي الأمر والنهي الشرعيين، ومنه تتنزل الشرائع، فالأشقياء منهم أنواع كغلاة الباطنية الذين يؤوّلون ظواهر الشرع تأويلات معنوية باطلة وكالقائلين بإسقاط التكاليف الشرعية لأهل المعرفة لأنه بحصول المعرفة تم المقصود والتكاليف للعوام، وكالقائلين بحلول اللاهوت في الناسوت، وكالمنكرين للبعث والحشر والجزاء المحسوس ويؤولون كل ذلك تأويلات روحية، وكعبدة الروحانيات الكوكبية والسماوية والحرفية كالصابئة وأمثالهم، إلى غير ذلك من طوائفهم... وقال

الشيخ عنهم أنهم أقبح الناس صورا وأشدهم عذابا لأنهم أبعد الناس عن العمل بأحكام الشريعة، فهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وحسن صورة الإنسان في الآخرة على حسب إتقانه للتكاليف الشرعية.

وقد قسم الشيخ الأدوار الأخروية إلى ثلاثة أدوار: دور الميم ودور المعية ودور "لا جناح". وقد أعطى ابن سودكين تفسيرا لطيفا للميم والمعية من قوله: (لا تنتظم معهم ما دامت الميم) أي الميم الآخرة من قوله: (معهم) فيبقى(معه) والمعية تقتضي المصاحبة، ولولا المصاحبة ما قامت الحجة، وهذا يعني: إذا لم يبق حجاب فيبقى هو ولا أنت، فإن عملت هلكت برؤيتك عاملا، وإن لم تعمل هلكت برؤيته عاملا. أي أن العمل كالأعراف له وجهان وجه لله تعالى من حيث الخلق والمشيئة والتقدير، ووجه للعبد الذي يظهر به العمل فيكسبه، ولذلك يجازى عليه، فلا بدّ للعبد الكامل أن يرى في نفس الوقت الوجهين معا.

ويمكن إبراز فهم آخر فيما يخص الميم: فعدد الميم أربعون وهو عدد (الف لام ميم صاد = 12+8+9+11)- بالجزم المغربي الصغير- أي عدد فاتحة الأعراف. فمن حيث عدد الميم فهو يشير إلى النشأة الجسدية لأن أطوار نمو الجسد تمر عبر الأربعينيات أياما وشهورا وأعواما. فقول الشيخ: (لا تنتظم معهم ما دامت الميم) أي لا تسلك سبيل الروحانيين ما دامت النشأة الجسدية موجودة في الدنيا والآخرة بل أعطها حقها وزينها بالطاعات الشرعية لتكون من السعداء. ومن حيث إن عدد الميم هو عدد فاتحة الأعراف فقوله يعني: ما دام لسور الأعراف وميزان العدل وجود فلا تنتظم مع الذين يظنون أن التكاليف متوجهة على العوام لا على العارفين والواصلين فإن هذا الظن باطل ومآله الشقاء.

من ناحية أخرى حرف الميم يشير إلى الآية (40) من الأعراف، أي يشير إلى الآية التي عددها عدد الميم من الأعراف وهي: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾. وشكل الميم (م)هو شكل سم الخياط. أي أن الكفار

ومنكري الرسل والعصاة لا يذوقون السعادة ما دامت الميم، أي حتى تفنى صورتهم الحيوانية التي هي حجابهم والمشار إليها بالجمل، فإذا فني جَمَلُهُمْ وَوَلَجَ سمّ خياط التوحيد في دائرة ميم النشأة أو ميم الملك بدرجاته الأربعين تحصل لهم السعادة بدخولهم الدور الثاني وهو دور المعية.

ودور المعية يبدأ عند انتهاء يوم القيامة واستقرار أهل كل دار في دارهم خالدين فيها أبدا. فقول الشيخ: (فإذا فني الميم فانتظم ما دامت المعية) أي بانتهاء يوم القيامة انتظم مع أهل الجنان إلى أن تفنى المعية بظهور دورة " لا جناح" أي عند انتهاء إقامة الحدود على أهل النار وتجلي (الرحمن الرحيم) بعموم الرحمة في الدارين، عند ذلك "لا جناح" عليك أن تكون حيثما شئت وأن تنتظم مع من أردت بلا قيد ولا حدّ لأن دورة التكليف انقضت والرحمة الشاملة عمّت. وبفناء آخر درجات المعية ما يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام شاهدا ومشهودا. وينظر ما فصله الشيخ حول يوم القيامة والنار والجنة في كتابه (التنزلات الموصلية) وفي الأبواب: 65/64/63/62/61 من الفتوحات والباب 371: الفصول 8/7/6/5/4/3. كما ينظر كلامه حول الكثيب ومراتب السعداء في نظرهم إلى ربهم في أجوبته على أسئلة الترمذي (67-68-69-70-71-72) وفي الفصل الثامن من الباب 371 من الفتوحات وفيه يقول:

[اعلم أن الكثيب هو مسك أبيض في جنة عدن، وجنة عدن هي قصبة الجنة وقلعتها، وحضرة الملك وخواصه لا تدخلها العامة إلا بحكم الزيارة، وجعل في هذا الكثيب منابر وأسرة وكراسي ومراتب، لأن أهل الكثيب أربع طوائف: مؤمنون وأنبياء وأولياء ورسل، وكل صنف ممن ذكرنا أشخاصه يفضل بعضهم بعضا. قال تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة 253] وقال: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء 55] فتفضل منازلهم بتفاضلهم وإن اشتركوا في الدار. ومن هذا الباب قوله: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ [الأنعام165] يعني الخلق، فدخل فيه جميع بني آدم دنيا وآخرة. فإذا أخذ الناس

منازلهم في الجنة استدعاهم الحق إلى رؤيته، فيسارعون على قدر مراكبهم ومشيهم هنا في طاعة ربهم، فمنهم البطيء، ومنهم السريع، ومنهم المتوسط، ويجتمعون في الكثيب، وكل شخص يعرف مرتبته علما ضروريا يجري إليها ولا ينزل إلا فيها، كما يجري الطفل إلى الثدي، والحديد إلى المغناطيس، لو رام أن ينزل في غير مرتبته لما قدر، ولو رام أن يتعشق بغير منزلته ما استطاع، بل يرى في منزلته أنه قد بلغ منتهى أمله وقصده، فهو يتعشق بما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا لا يقوم بنفسه ما هو عنده أحسن من حاله، ولولا ذلك لكانت دار ألم وتنغيص ولم تكن جنة ولا دار نعيم، غير أن الأعلى له نعيم بما هو فيه في منزلته وعنده نعيم الأدنى. وأدنى الناس منزلة - على أنه ليس ثم من دنيء- من لا نعيم له إلا بمنزلة خاصة، وأعلاهم من لا أعلى منه له نعيم بالكل، فكل شخص مقصور عليه نعيمه فما أعجب هذا الحكم.

ففي الرؤية الأولى يعظم الحجاب على أهل النار والتنغيص والعذاب بحيث إنهم لا يكون عندهم عذاب لأشد عذابا من ذلك، فإن الرؤية الأولى تكون قبل انقضاء أجل العذاب وعموم الرحمة الشاملة وذلك ليعرفوا ذوقا عذاب الحجاب. وفي الرؤية الثانية إلى ما يكون بعد ذلك تعم الرحمة. ولهم أعني لأهل الجحيم رؤية من خوخات أبواب النار على قدر ما اتصفوا به في الدنيا من مكارم الأخلاق. فإذا نزل الناس للكثيب للرؤية، وتجلى الحق تعالى تجليا عاما على صور الاعتقادات في ذلك التجلي الواحد، فهو واحد من حيث هو تجل، وهو كثير من حيث اختلاف الصور، فإذا رأوه انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلي، وظهر كل واحد منهم بنور صورة ما شاهده، فمن عَلِمَهُ في كل معتقد فله نور كل معتقد، ومن علمه في اعتقاد خاص معين لم يكن له سوى نور ذلك المعتقد المعين، ومن اعتقد وجودا لا حكم له فيه بتنزيه ولا تشبيه بل كان اعتقاده أنه على ما هو عليه فلم ينزه ولم يشبه وآمن بما جاء من عنده تعالى على علمه فيه سبحانه، فله نور الاختصاص لا يعلم إلا في ذلك الوقت فإنه في علم الله، فلا يدري هل هو أعلى ممن عمم

الاعتقادات علمه أو مساو له، وأما دونه فلا. فإذا أراد الله رجوعهم إلى مشاهدة نعيمهم بتلك الرؤية في جناتهم قال لملائكته وزعة الكثيب: ردوهم إلى قصورهم، فيرجعون بصورة ما رأوا ويجدون منازلهم وأهليهم منصبغين بتلك الصورة فيتلذذون بها، فإنهم في وقت المشاهدة كانوا في حال فناء عنهم، فلم تقع لهم لذة في زمان رؤيتهم، بل اللذة عند أول التجلي حكم سلطانها عليهم فأفنتهم عنها وعن أنفسهم فهم في اللذة في حال فناء لعظيم سلطانها، وإذا أبصروا تلك الصورة في منازلهم وأهليهم استمرت لهم اللذة وتنعموا بتلك المشاهدة فتنعموا في هذا الموطن بعين ما أفناهم في الكثيب، ويزيدون في ذلك التجلي وفي تلك الرؤية علما بالله أعطاهم إياه العيان لم يكن عندهم، فإن المعلوم إذا شوهد تعطي مشاهدته أمرا لا يمكن أن يحصل من غير مشاهدة كما قيل:

ولكـــن للعـــيان لطـــيف معنـــى   لـــذا ســـأل المعايـــنة الكلـــيم

وهذا ذوق يعرفه كل من أقيم في هذه الحال لا يقدر على إنكاره من نفسه.

فهرس المحتويات

AL-ŠARḤ AL-QURʾĀNI

LIKITĀB MAŠĀHID AL-ʾASRĀR AL-QUDSIYYAH

by

ʿAbdūl-Bāqi Miftāḥ



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

هذا الكتاب

الشرح القرآني لكتاب مشاهد الأسرار القدسية

للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

هذا الكتاب يندرج في إطار دراسات كتب وآثار الشيخ الأكبر محيي الدين أبي عبد الله محمد ابن العربي الحاتمي (560 - 638 هـ) الترجمان الأعظم للتصوف الإسلامي. ونشير إلى أنّ جل كتب الشيخ ترجع بكيفية جلية أو خفيّة إلى سور القرآن الكريم وآياته أو إلى حضرات الأسماء الحسنى وآثارها في الآفاق والأنفس. فآيات القرآن والأسماء الحسنى هي مفاتيح فهم ما كتبه الشيخ الأكبر.

أمّا عن كتاب الشيخ الأكبر "مشاهد الأسرار القدسية"، فإنه لمّا بلغ من العمر ثلاثين سنة (590هـ)، وفي بحثه المتواصل عن أولياء عصره خصوصا خلفاء الشيخ أبي مدين (ت: 589 هـ)، زار الشيخ تونس حيث صحب أحد أولئك الخلفاء وهو الشيخ عبد العزيز المهدوي (توفي 621هـ). وكان من عادة الشيخ الأكبر عند اجتماعه برجال الطريق أن يرفع هممهم إلى طلب المزيد من الترقي في مدارج العلم الإلهي... وخلال مذاكراته مع بعض مريدي المهدوي وقعت لهم حيرة وإنكار على تعابير كان يتكلم بها الشيخ.

فلما رجع الشيخ من تونس إلى المغرب الأقصى بدأ في كتابة تأليف موجّه لأصحاب المهدوي وخصوصا لابن عمّه أبي الحسين علي ابن العربي الذي كان أيضا من تلاميذ المهدوي، وقسّم التأليف قسمين:

- القسم الأول: مقدمة بدأ كتابتها في سنة 590 هـ يبيّن فيها وراثة الأولياء لعلوم الأنبياء وأحوالهم، وأنّ الإنكار على إلهامات وأسرار الأولياء ليس له سند شرعي.
- القسم الثاني: هو كتاب المشاهد هذا بأبوابه الأربعة عشرة وخاتمته، وهو يمثل شهادة عملية واقعية لتلك المقدمة النظرية.


ISBN 978-2-7451-6700-2
Designed & Printed By: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah


دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban
ص.ب. 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107
هاتف: 12/11/804810 5 961+
فاكس: 804813 5 961+
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
www.al-ilmiyah.com